كتاب
المحاسن والمساويء
الجزء الثاني

تأليف

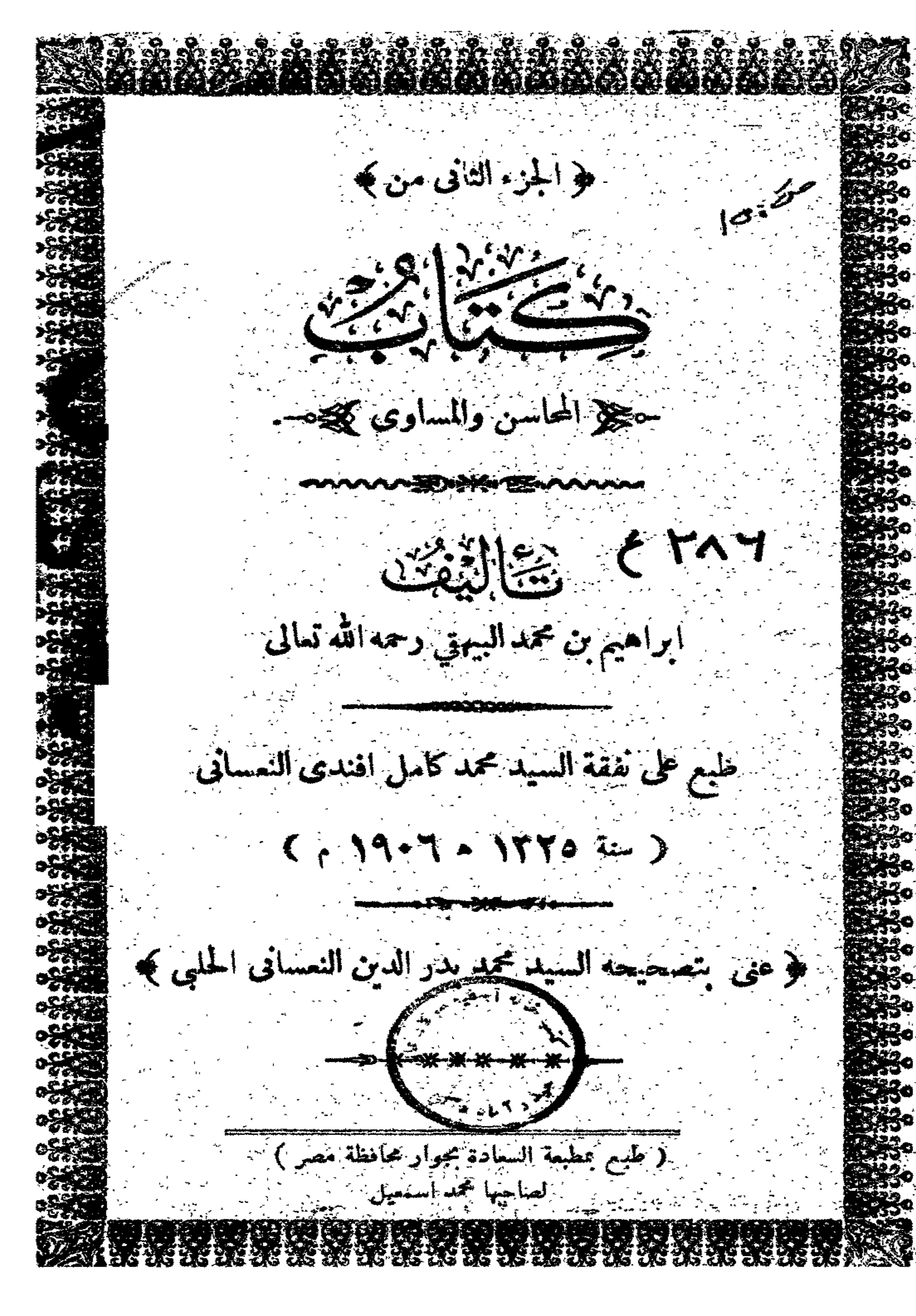
ابراهيم بن محمد البهيقي

Ibrahim bin Mohammed Al-Buhaqi

ضبط

السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي

Al-Sayed Mohammed Badr Al-Din Al-Nu'sani Al-Halabi



الجزء الثاني من

كتاب

المحاسن والمساوي

تأليف

ابراهيم بن محمد البيهقي رحمه الله تعالى

طبع على نفقة السيد محمد كامل افندى النعسانى

(سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ م)

عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبي

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

لصاحبها محمد اسمعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

مساوئ من كره الوطن

قال بعض الفلاسفة اطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا مالاً غنمتم عقلا كثيراً •• وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيّقُ العطن •• وقيل لآخر ماأصبرك على الغربة فقال أنست بالنوائب حتى ماأعرف غيرها وغُذيت بالمكاره فما أجد ضَيْرَها •• ومدح اعرابي رجلا فقال خرّجته الغربة ودرّبته التجربة وضرّسته النوائب •• وقال آخر ماحنّ أحد الى بلد ما جُمع فيه شمله الا لوصمةٍ في عقله ولا نزعت نفسه الى بلد قل به رِفده الا لاستيلاء الموق عليه •• وقيل لآخر ماالعيش فقال دوران البلدان ولقاء الاخوان ومغازلة القيان واستماع الأغاني والنغمات من الزير والمثاني •• وقد قيل من صبر على الغربة أمِن الكُرْبة وأفضل العُدّة الصبر على الشدة • وقالوا لاتوحشنّك الغربة اذا أنست بالكفاية ولا تجزع لفراق الأهل مع لقاء اليسار •• وقيل الفقير في الأهل مصروم والغني في الغربة موصول ••وقيل أوحش قومك ماكان في ايحاشهم أنسك واهجر وطنك مانبتْ عنه نفسك وقرئ على باب خان بطرسوس

مامِنْ غريبٍ وانْ أبدَى تجلُّدَهُ إلاّ تذكَّرَ عندَ الغُرْبةِ الوَطنا

وأسفله مكتوب

أيرُ الحمارِ وأيرُ البغلِ فى القرَنِ فى استِ الغريبِ اذاماحنَّ للوَطن

الطائى

لا يمنعَنّكَ خفضَ العيش نَطْلُبُهُ نِزاعُ شوقٍ الى أهلٍ وأوطانِ
تلقى بكلّ بلادٍ انْ حللتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيران

•• ولآخر

نَبَتْ بِكَ الدارُ فَسِرْ آمناً فالافق حيثُ انتهى دارُ

وروى عن كعب بن مالك انه وصف وحشة المدينة لغيبة النبي صلى الله عليه وسلم فقال تنكّرت البلاد فما هي بالبلاد التي نعرف وتنكّر الناس فما هم بالناس الذين نعرف وفي معناه قال الشاعر

فما الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتُهم ولا الدارُ بالدارِ التي كنتُ أعرفُ

•• وأنشد

لاتقنعنّ ومطلبٌ لكَ ممكنٌ فاذا تضايقتِ المطالبُ فاقنعِ

•• وقال آخر

كم المقامُ وكمْ تعتادُكَ العِللُ ماضاقتِ الارضُ في الدنيا ولا السُّبُلُ

ان كنتَ تعلمُ أنّ الارضَ واسعةٌ فيها لغيركَ مُرتادٌ ومرتحلُ

فارحلْ فانّ بلادَ الله ماخُلقتْ إلاّ ليسلكَ منها السهلُ والجبلُ

آللهُ قدعوّدَ الحسنى فما برحتْ عندى لهُ نِعمٌ تترى وتتّصلُ

إنْ ضاقَ بي بلدٌ هيّالهُ عوضاً وانْ تأى منزلٌ بي كانَ لي بدلُ

وانْ تغيرَ لي عنْ وُدّه رجلٌ أصفى المودّةَ لي من بعدهِ رجلُ

لم يقطعِ اللهُ لي من صاحبٍ أملاً الاّ تجدّدَ لي منْ بعده أملُ

لاتمتهنْ أبداً خدّيكَ منْ طمعٍ فما لوجهكَ نورٌ حينَ يُبتذلُ

وابغِ المكاسبَ من أزكي مطالبها منْ حيثُ تجملُ حتى ينفدَ الأجلُ

•• ولآخر

اذا ماأطالَ المرءُ مُكثاً ببلدةٍ تعقّبهُ منْ بعد حدّته نكْسُ

ولوأنّ هذى الشمسَ دامَ طلوعها أوالبدرَ لم يحببْ ولا حُببتِ الشمسُ

فجلْ طالباً للرزق في الارض واغتربْ ففي كلّ أرض لافتى الاكلُ واللبسُ

•• ولآخر

واذا الديارُ تنكّرتْ عنْ أسلها فدعِ الديارَ وأسرعِ التحويلا

ليسَ المُقامُ عليكَ حتماً واجباً في بلدةٍ تدعُ العزيزَ ذليلاً

•• آخر

اذا خفتَ منْ دارٍ هوَاناً فانما　　ينَجِّيكَ من دارِ الهوان اجتنابُها

ولآخر

اصبرْ على حدَثِ الزمانِ فانما　　فرَجُ الحوادثِ مثلُ حلِّ عقالِ
واذا رأيتَ من ابن عمكَ جفوةً　　فاشدُدْ يديك بعاجلِ الترحالِ
انَّ المُقامَ على الهوانِ مَذلّةٌ　　والعجزُ آفةُ حيلةِ المحتالِ

وقد قيل فى حبّ الوطن أحق البلدان بنزعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه •• وقيل احفظ بلداً أرسخك غذاؤه وارع حمى أكنّك فناؤه •• وقيل لاتشكونّ بلداً فيه قبائلك ولا أرضاً فيها قوابلك •• وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها توّاقة •• قال ولما خرج الرشيد الى خُراسان وصار بعقبةِ همذان أنشأ يقول

حتى متى أنا فى حلٍّ وترْحالِ　　وطولِ همٍّ بادبار واقبالِ
ونازحُ الدار لاينفكُّ مغترباً　　عن الأحبة لايدرون ماحالى
فى مشرقِ الأرض طوراً ثم مغربها　　لايخطرُ الموتُ من حرصي على بالى
ولوْ قنعتُ أتانى الرزقُ في دَعةٍ　　انّ القنوعَ الغنى لاكثرةَ المال

•• وذكروا ان أبا دُلَف لما ولى الشام طال مُقامه فحنّ الى وطنه فكتب الى يزيد ابن محنشَ

أيزيدُ طالتْ غرْبةٌ ومُقام　　وبُكاً فأسعدَهُ البكاء حمامُ
أيزيدُ هل منْ مطمعٍ فى أوبةٍ　　لمتيَّمٍ طالتْ به الأيامُ
لَعِبَ الفراقُ بنوْمه فأفاتَهُ　　طيبَ الكرى فدُموعُهُ تَسجام
مانامَ عنه وان رقدتمْ شوْقُهُ　　والشوْقُ يَسْرى والعيونُ نيامُ
والشوقُ ألزمهُ البكاء فنفسهُ　　حرَّى وأذْبلَ جسمَهُ التهْمامُ
ياطائفاً أهدَى السلامَ الى فتىً　　تُهدِى اليَّ سلامكَ الأحلامُ
أنّى وكيفَ ينام صبٌّ هائمٌ　　أفضَتْ اليه بسرّه الأقلامُ
ياجانبَ الأهوازِ جادكَ وابلٌ　　وسقاكَ من ديمِ الربيعِ رِهامُ

كم فيك من شجن وما نس وحشة ... ومحبب تشفى به الأسقام
فمتى أحلكما الزمان ببلدة ... من دونها القفرات والآكام
وشواهق تزع السحاب شواغ ... ليست وان دأب المطى ترام
أترى أرى الأيام تجمع بيننا ... والدهر فيه مسرة وغرام
أيزيد ساعدك الزمان وخاننا ... والدهر ليس لحالتيه دوام
تمسى ضجيع خريدة ومضاجعى ... عضب حديد الشفرتين حسام
وتجر أذيال النعيم مرفلا ... وأظل يكسونى الشحوب قتام
متسربلا حلق الحديد بحفنى ... لجب يضيق به الفضاء لهام
من كل أشعث فى الحديد مقنع ... ذرب الحسام كأنه ضرغام
والحرب حرفتنا وليست حرفة ... الا لمن هو فى الوغا مقدام
نعرى السيوف فلا تزال عرية ... حتى تكون جفونهن الهام
ما للزمان اعتاقنا من بينكم ... جرت علينا للزمان سهام
ياليته اذ لم يدم احسانه ... أن لا يكون لما أساء دوام

فبلغ شعره المأمون فقال حن القاسم بن عيسى الى وطنه فأمره بالانصراف ٠٠ قال الأصمعى قدم سعيد بن ضمضم على الحسن بن سهل فأنشده قصيدة يصف فيها حنينه الى سوء حاله بالبادية ويستميحه

سقياً لحي بالمروى عهدتهم ... منذ زمان ثم هذا وبعدهم
عهدتهم والعيش فيه غرة ... ولم يناو الحدثان شعبهم
ولم يبنوا لنوى قذافة ... تقطع حبلى من وصال حبابهم
فليت شعرى هل لهم من مطلب ... أو أجدن ذات يوم بدلهم
أو يعذرن بالبكاء ان بكى ... صب معنى مستحق إثرهم
مكلف بالشوق لاينساهم ... يمنحهم وداً ويرعى عهدهم
وينذر النذور ان رآهم ... وعاد يوماً عيشه وعيشهم
ولا ورب العرش لايلقاهم ... ولا يعود عيده وعيدهم

وكيفَ يلقاهمْ كبيرٌ سنةٌ … وقد مضى الدهرُ وطاحَ نجمُهمْ

هيهاتَ عنهُ النفسَ عن ذكراهمُ … واقصِدْ لنحوِ آخرينَ غيرهمْ

هـذا وقدْ رأيتني فلم ألُمْ … رأيي اذا لامَ الرجالُ رأيهمْ

أدعو ابنَ سهلٍ حسناً ومجدَهُ … حينَ تعيّا بمعالي أمرِهمْ

أظلّ أدعو باسمه ودونهُ … قومٌ كثيرٌ رغبةً تركتهمْ

تخيّراً اخترتُهُ عليهمُ … ولا بهمْ بأسٌ ولا ذممتهمْ

ناموا فلما أنْ رأيتُ نومَهمْ … عني تحمّلتُ فما أيقظتهمْ

يا ابنَ كرامٍ كابراً عن كابرٍ … زانوكَ زيناً باقياً وزِنتهمْ

كانواهمُ الأشرافَ سادوا كلهمْ … مافي جميعِ العالمينَ مثلُهمْ

بنَوْا جميعَ المجدِ فيما قدْ مضى … وأنتَ تبنيهِ كذاكَ بعدَهمْ

في شرفٍ مؤيّدٍ أركانهُ … لم يبْنِهِ بانٍ سواهُم قبلهمْ

فيا ابنَ سهلٍ وابنَ آباء لهُ … كانوا مَناجيبَ قديماً فضلُهمْ

واللهِ مُتصبحٌ بين معشرٍ … الاّ وأنتَ شمسهُم وبدرُهم

والناسُ آخاذٌ وماءٌ ناقعٌ … وغُدُرٌ تجري وأنتَ بحرُهم

والناسُ أجناسٌ كما قد مُثّلوا … وفيهمُ الخيرُ وأنتَ خيرُهم

حاشا أميرِ المؤمنينَ انهُ … خليفةُ اللهِ وأنتَ صِهرُهمْ

اليكَ أشكو صِبْيةً وأمَّهمْ … لا يشبعونَ وأبوهم مثلُهم

قد أكلوا الوحشَ فلم يشبعْهمُ … وشربوا الماءَ فطالَ شُربُهم

وامتذَقوا المذقَ فياذُنياهمُ … والمضغَ انْ نالوهُ فهو حَسْبُهم

لا يعرفونَ الخيرَ الاّ ذكرهُ … والدهرُ هيهاتَ فليس عندهمْ

وما رأوا فاكهةً في عيشها … ولا رأوها وهي تهوي نحوهمْ

وما لهمْ منْ كاسبٍ علمتهُ … على جديدِ الأرضِ الا جحشُهمْ

وجحشهم قدماتَ منهوبَ القرى … ومثلُ أعوادِ الشكاعى كلبهمْ

كأنني فيهمْ وانْ وليتهمْ … كانوا مواليَّ وكنتُ عبدَهمْ

مجتهداً بالنصر لا آلوهم أدعو لهم يارب سلّم أمرهم
وتارةً أقول مما قد أرى يارب باعدهم وباعد دارهم
يأوون بالليل اذا ما أخرجوا الى ذرى اللهيم وهي قدرهم
بها يطوفون اذا ما اجرنشموا وهي أبوهم عندهم وأمهم
زغب الرؤس قرعت هاماتهم من البلاء وأسأد سمعهم
بل لو تراهم لعلمت أنهم قوم مساغيب قليل نومهم
وكالسعالى فى طوى مسوكها فلو يعضون لذكى سمهم
قدجرسوا الدهر وقد بلاهم هذا وهذا دأبه ودأبهم
ولا يعيشون بعيش سابغ ولا يموتون وذاك قصرهم
وقد رجونا بابن سهل نائلا منك يرم فقرهم وبؤسهم
فانما أنت حيا أمثالهم فجد لهم بنائل لاتنسهم
وأسد نعماك اليهم واتخذ حمداً وشكراً كل ذاك عندهم
هذا وأنت إن حرمت حظهم فلا تجودن لخلق بعدهم

فقال له الحسن سل ماشئت وتمن ما أحببت فلو خرجت اليك من ملكى كله ما كافأتك فقال تشترى لى غنيمات وتردنى الى البادية فقال نحن الى مكان تصفه بهذه الصفة قال الوطن الوطن فاشترى له الف شاة وأعطاه عشرين ألف درهم ورده الى وطنه ٠٠ ومما قيل فيمن كره الغربة قال ابن أبي السرنج قرأت على حائط خان بالأهواز .

ان الغريب ولو يكون ببلدة يجبى اليه خراجها لغريب
وأقل مايلقى الغريب من الأذى أن يستذل وقوله مكذوب

قال وقرأت على حائط خان بعسكر مكرم من الاهواز

ان الغريب اذا ينادى موجعاً عند الشدائد كان غير مجاب
فاذا نظرت الى الغريب فكن به متراحاً لتباعد الأحباب

قال وقرأت على حائط خان ببغداد فى الجانب الغربى

غريب الدار ليس له صديق جميع سؤاله كيف الطريق

تعلّقَ بالسؤال بكلّ شيء كما يتعلّقُ الرجلُ الغريقُ
فلا تجزَعْ فكلُّ فتًى ستأتي على حالاته سَعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على باب مكتوبا

عليكَ سلامُ اللهِ ياخيرَ منزلٍ رَحلنا وخلّفناكَ غيرَ ذَميمِ
فإنْ تكنِ الأيامُ فرّقنَ بيننا فما أحدٌ منْ رَيبها بسليمِ

•• وأنشد

أقمنا مُكرهينَ بها فلما ألفناها خرجنا مُكرهينا
وماحُبُّ البلادِ بناولكنْ أمرُّالعيش فرقةُ من هوينا

•• ولآخر

أقمتُ بأرضكمْ بالكُرْه مني فلما طابَ لي فيها المقيلُ
وأوطنتُ البلادَ وجُنَّ قلبي بغِزلانٍ بها أزِفَ الرحيلُ

••ولآخر

وانَّ اغترابَ المرءمنْ غيرِفاقةٍ ولا حاجةٍ يسمُو لها لَعجيبُ
فحسْبُ الفتى ىخسْاًوانْ أدركَ الغني ونَيلَ ثراء أنْ يقالَ غريبُ

•• ولآخر

أيُّ سرورٍ لعيشِ مُغتربٍ فردٍ وحيدٍ ناءٍ عن الوطنِ
لاتطمعُ النفسُ في هواهُ ولا يكحلُ عيناً بمنظرٍ حسنِ

•• ولآخر

سلِ اللهَ الإيابَ منَ المغيبِ فكمْ قدردَّ مثلكَ منْ غريبِ
وَسلِّ الحزنَ عنكَ بحسنِ ظنٍّ ولا تيأسْ من الفرَجِ القريبِ

•• آخر

تَصبَّرْ ولاتعجلْ وُقيتَ منَ الردى لعلَّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ
فقالتْ وفي قلبي جوى لفراقها ألا لاتُعزّيني فاستُ أجيبُ
أعاذلُ حبي للغريبِ سَجيةٌ وكلُّ غريبٍ للغريبِ حبيبُ

لئنْ قلتُ لم أجزَعْ من البينِ أنْ مضَوْا لِطيّتِهمْ إنى اذاً لكذُوبُ
بلى غُبّراتُ الشوقِ أضرمتِ الحشا ففاضتْ لهامنْ مُقلتيّ غُرُوبُ

•• ولآخر

اذا اغتربَ الكريمُ رأى أموراً مُعجّلةً يشيبُ لها الوليدُ

•• قال أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيي بن أبي البغل أنشد أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب

ما كنتُ أحسبُ أنْ يكو نَ كذا تفرّقنا سَريعا
بَخِلَ الزمانُ عليّ أنْ نبقى كما كنا جميعا
فأحلّني فى بلدةٍ وأحلّكَ البلدَ الشسيعا
قد كنتُ أنتظرُ الوصا لَ فصرتُ أنتظرُ الرجوعا

•• ولآخر

إلفانِ كانا لهذا الحبّ قد خُلقا داما عليه فتمّ الوصلُ واتفقا
كنا كغصنَينِ في عودٍ فغالهما رَيبُ الزمانِ وصرفُ الدّهرِ فافترقا
فاصفرّ عودُهما من بعد خُضرتهِ وأسقطَ البينُ من عودَيهما الورَقا

•• ولآخر

أتظعنُ والذي تهوَى مُقيمُ لعَمرُكَ ان ذا خطبٌ عظيمُ
إذا ما كُنتَ للحدَثانِ عوْناً عليكَ وللفِراقِ فمن تلومُ

•• آخر

لقدْ شفّنى أنى أدُورُ ببلدةٍ أخلاّيَ منها نازحونَ بعيدُ
أقلّبُ طرفى فى البلادِ فلا أرى وُجوهَ أخلاّيَ الذينَ أُريدُ

•• آخر

قفْ بالمنازلِ وقفةَ المشتاقِ واسفحْ بهامن دمعِكَ المُهراقِ
لا تبخلنّ على الديارِ بأدمعٍ يجرينَ بين محاجرٍ ومآقِى
تلكَ الديارُ كما عهدْتُ عميرةٌ لكنها صفرٌ من الطرّاقِ

لم يبقها أمدٌ تقادمَ عهدُه ... فالدمعُ ينطقُ والرسومُ بواقِي
لهفي على زمنٍ مضت أيامُهُ ... والعيشُ غضٌ مورقُ الأوراقِ
أيامُنا ما كنتِ الاّ خلسةً ... كسفُ الهلالِ عراهُ وجهُ محاقِ
أو نظرةً من خائفٍ لم يُجهِ ... خوفُ الحِذارِ وشدّةُ الإشفاقِ
وكذاكَ أيامُ السرورِ قصيرةٌ ... لكنَّ أيامَ البلاءِ بواقِي
كيفَ اللقاءُ وقد تطاوحتِ النوى ... شتّانَ بينَ مشائمٍ وعِراقِ
يا ليتَ شِعرى كيفَ عهدُ أحبتى ... لما أطلّهُمُ وشيكُ فِراقِي
ظنّي بهم حسنٌ وكيفَ بأوبةٍ ... تروى غليلَ متيمٍ مشتاقِ

ومنها نجديات

ألاَ هل أرى حُوراً تبرقعنَ بالحِمى ... وهل أجتنى بالعَينِ من خدّهمْ وَرْدَا
لعلّى أرى نجداً ومن حلّ بالحمى ... فأحسِبُ من نجدٍ على كبدِى بَردَا
خليليّ قد داويتُ عقلاً سلبتهُ ... بشحطِ النوى والبعدِ من قربهمْ عمدَا
فلم أرَ بُعدَ الدارِ يشفى من الجوى ... ولا القربَ أيضاً من ديارهمُ أجدى
بلى إنَّ فى النأى التقطعَ والأسى ... وحبُّ سُليمى القلبَ من بينهمْ أودَى

.. ولآخر

نسيمُ الخزامي والرياحُ التي جرتْ ... بليلٍ على نجدٍ تذكّرُني نجدَا
أتاني نسيمُ السّدرِ طيباً من الحمى ... فذكّرني نجداً وقطّعني وجدَا

ولآخر

ألا ليتَ شِعرى هلْ أبيتنّ ليلةً ... بصحراءَ من نجرانَ ذاتِ ثرًى مُندِى
وهلْ أردَنّ الدهرَ حصنَ مجاشعٍ ... وقدْ ضربتْهُ نفحةٌ من صَبا نجدِ

.. ولآخر

أقولُ لصاحبي والعيسُ تُحدَى ... بنا بين المنيفةِ والضِمارِ
تمتّع من شميمِ عرارِ نجدٍ ... فما بعد العشيةِ من عَرارِ
ألا يا حبذا نفحاتُ نجدٍ ... وريّا روضهِ غِبَّ القِطارِ

شهورٌ ينقضِينَ وما شعرْنا ... بأنصافٍ لهنَّ ولا سرارِ
وأما ليلهنَّ فخيرُ ليلٍ ... وأقصرُ ما يكونُ من النهارِ

قال وقال الفتح بن خاقان ورد عليَّ أعرابيٌّ من البادية نجديٌّ فصيحٌ فبات ليلةً عندي على سطح مشرف على بستان فسمع فيه صوت الدواليب فقال ما أشبه هذا الابحنين الابل وأنشد

بكرت تحنّ وما بها وجدي ... وأحن من شوقٍ الى نجدِ
فدموعها تحيي الرياضُ بها ... ودموعُ عيني أحرقت خدّي

محاسن الدعاء للمسافر

بأيمن طالع وأسرّ طائر لا كبا بك مركب • ولا أشت بك مذهب • ولا تعذّر عليك مطلب • سهل الله لك السيرَ • ويسر لك القصد • وطوى البعدَ • بمسرّة الظفر وكرامة المذخر بأيمن طائر • وأسعد جد • على الطائر الميمون والكوكب السعد •• وفي رسالة للبحتري الى حيث تتقاصر أيدي الحوادث عنك • وتتقاعس نوائب الأيام دونك •• فصل وخُصصتَ بسهولة المطلب ونجاح المنقلب • كان الله لك في سفرك خفيراً • وفي حضرك ظهيراً •• آخر بسعي نجيح • وأوب سريع وسريح •• آخر قصر الله محله • وهدى رحله • وسرّ بأوبته أهله • ولا زال آمناً • مقيما وظاعناً • آخر بأسعد جد وأنجح مطلب • وأسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة •• فصل فاشخص مصحوباً بالسلامة والكلاءة آيباً بالنجح والغبطة محوطاً فيما تطالعه بالعناية والشفقة في ودائع الله وضمانه وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذماره •• وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اني أريد سفراً فقال في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث كنت •• كتب أبو العيناء أستخلف الله فيك وأستخلفه منك •• لابن أبي السرح

في كنفِ اللهِ وفي سِترهِ ... مَن ليسَ يخلو القلبُ من ذكرهِ

وأنشد لآخر

فارحل أبا بشرٍ بأيمن طائرٍ ... وعلى السعادةِ والسلامةِ فانزلِ

مساوى الدعاء للمسافر

بالبارح الأشأم • والسانح الأعضب • والصَّرِد الأنكد • للسفر الأبعد • لا استمرَّت مطيته ولا استتبّت أمنيته • ولا تراخت منيته • بنحسٍ مستمرّ • وعيشٍ مُرّ • لا قرى ان استضاف ولا آمن ان خاف • • ويقال ان علياً لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده • ولا أسعد رائده • ولا أصاب غيثاً • ولا سار الاريثاً • ولا وافق الا ليثاً • أبعده الله وأسحقه • وأوقد ناراً على أثره • لاحط الله رحله • ولا كشف محله • ولا بشر به أهله • لا زكي له مطلب ولا رحُب له فيه مذهب • لا سقاه الله غماماً • ولا يسر له مراماً • لا فرّج الله همّه • ولا سرّى غمه • ولا حلّ عقده • ولا أورى زنده • جعله الله سفر الفراق • وعصي الشقاق • وأنشد

بأنكدِ طائرٍ وبشرّ فالِ لأبعدِ غايةٍ وأخسّ حالِ
بحدّ السندِ حيث يكون مُوقٍ كما بين الجنوبِ الى الشمالِ
غريباً تمتطي قدميك دهراً على خوفٍ تحنُّ إلى العيال

• • الباهلي

إذا استقلّت بك الركابُ فحيثُ لا درّت السحابُ
وحيثُ لا يُبتغى فلاحٌ وحيثُ لا يرتجى إيابُ

ابن أبي السرج

فسرْ بالنحوسِ إلى بلدةٍ تُمطَرُ فيها ولا تُرزقُ
ولا تمرعُ الأرضُ من نهرها ولا يثمرُ الشجرُ المورِقُ
تغيضُ البحارُ بها مرّةً ويُكدي السّحابُ بها المغدِقُ

• • الباهلي

أدنى خُطاكَ الهندُ والصينُ وكل نحسٍ بكَ مقرونُ
بحيثُ لا يأنسُ مستأنسٌ وحيثُ لا يفرحُ محزونُ
تهوي بكَ الأرضُ الى بلدةٍ ليسَ بها ماءٌ ولا طينُ

محاسن الرؤيا

حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد قال كان المأمون يبطل الرؤيا ويقول ليست بشيء ولو كانت على الحقيقة كنّا نراها ولا يسقط منها شيء فلما رأينا انما يصح منها الحرف والحرفان من الكثير علمنا انها باطل وانّ أكثرها لا يصح وكان بعث بابنه العباس الى بلاد الروم فأبطأ عليه خبره فصلّى ذات يوم الصبحَ وخفق وانتبه ودعا بدابته وركب وقال أحدّثكم بأعجوبة رأيت الساعة كأن شيخاً أبيض الرأس واللحية عليه فروة وكساؤه في عنقه ومعه عصاً وفي يده كتاب فدنا منّي وقد ركبت فقلت من أنت فقال رسول العباس بالسلامة وناولني كتابه فقال المعتصم أرجو أن يحقّق الله رؤيا أمير المؤمنين ويسرّه بسلامته قال ثم نهض فوالله ماهو إلاّ أن خرج فسار قليلاً إلاّ وبصر بشيخ قد أقبل نحوه في تلك الحال فقال المأمون هذا والله الذي رأيته في منامي وهذه صفته قال فدنا منه الرجل فنحاه خدَمُهُ وصاحوا به فقال دعُوه فجاء الشيخ فقال له من أنت قال رسول العباس وهذا كتابه قال فبُهتّنا وطال منه تعجبنا فقلت ياأمير المؤمنين أتبطل الرؤيا بعد هذه قال لا .. وحدثنا عليّ بن محمد قال حدثني أبي عن محمد بن عبد الله قال رأيت فيما يرى النائم في آخر سلطان بني أمية كأني دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسي ونظرت الى الكتاب الذي فوق المحراب فاذا فيه هذا ما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك فاذا قائل يقول يُمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسمُ رجل من بني هاشم يقال له محمد فقلت فأنا محمد فابن من قال ابن عليّ قلت فأنا ابن عليّ فابن من قال ابن عبد الله قلت فأنا ابن عبد الله فابن من قال ابن عباس فلو لم أكن بلغتُ العباس ما شككت أنّي صاحب الأمر فتحدّثت بهذه الرؤيا في ذلك الدهر ولا نعرف نحن المهدي فتحدث الناس بها حتى وُلي المهدي فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فاذا اسم الوليد وإنّي لأرى اسم الوليد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم فدعا بكرسي فأُلقيَ له في صَحْنِ المسجد فقال ما أنا ببارح حتى يمحي ويكتب اسمي مكانه فأمر بان يحضر العمّال

والسلاليم وما يحتاج اليه لذلك فلم يبرح حتى غُيّر وكتب اسمه .. قال ورأى رجل أبا دُلَف فيما يراه النائم فقال ماحالك فقال

فلو أنّا إذا مِتنا تُرِكنا لكان الموتُ راحةَ كلِّ حيِّ
ولكنّا إذا مِتنا بُعِثنا ونُسألُ بعدَهُ عن كلِّ شيِّ

قال ورأى رجل الحجاج بن يوسف فيما يراه النائم فقال له ما حالك فقال ما أنت وذاك لا أم لك فقال سفيهٌ في الدنيا سفيه في الآخرة .. وعن اسحاق بن اسماعيل بن عليّ قال حدثني عمي عيسى بن عليّ قال دخلت على المنصور فقال يا أبا العباس أتذكر رؤياي بالسراة قلت يا أمير المؤمنين أيّ رؤيا قال مثلك ينساها كان يجب أن تكتبها بقلمٍ من ذهبٍ في رَقٍّ وتوصي بها بنيك وبني بنيك قلت فاخبرني بها يا أمير المؤمنين قال رأيت كأني بمكة إذ فتح باب الكعبة فخرج رجل فقال عبد الله بن محمد فقمت وقام أخي فقال الرجل ابن الحارثية فدخل أخي فأبطأ هُنَيهةً ثم خرج وفي يده لواء نخطا خُطا خمسا ثم سقط اللواء من يده ثم خرج الرجل بعينه فقال عبد الله فقمت وقام عمي عبد الله بن عليّ وصعد الدرجة فزحمته ببعض أركاني فسبقت فاذا بأبي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي الرجل ابدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فدعا بلواء فعقده لي ثم قال هاك فيك وفي ولدك حتى تقتلوا به الرجال فخطوت خطا لو شئتُ أن أخبركم بها لأخبرتُكم .. وحدثنا محمد بن يونس قال أخبرني منصور بن أبي مُزاحم عن طَيفور مولى أبي جعفر قال قال المنصور رأيت في السنة التي وَلِيَ فيها هشام بن عبد الملك كأني راكب حمارا أسود وعليه حِمل تبن عظيمٌ وكان بالموصل رجلٌ يعبر الرؤيا فحججت تلك السنة فرأيته بمنًى وقصصت عليه الرؤيا فقال اخبرني لمن هذه الرؤيا فقلت لرجل من افناء الناس قال ما قلت الحق أصدقني وأصدقك فقلت لرجل من بني هاشم قال الآن جئتَ بالحق ان صدقت الرؤيا صار صاحبها خليفة قال فانسللت كالهارب خوفاً أن يظهر من قولي وقوله شيء قال فبينا الربيع ذات يوم اذ دخل الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل بالباب معبر يستأذن قال أدخِله فأدخله فلما رآه تبسم وقال هذا صاحبي فدنا منه وقبّل يده فقال أتذكر رؤياي قال نعم

وهي التي حملتني اليك قال كيف كنت تأوّلتها قال قلت راكب حمارا أسود والحمار جدُّ الرجل وسواده سؤددُه قات وكان على الحمار تبن فقلت الحنطة والشعير تخرجان من التبن وقعد عليه ومن صار مالكه فقد ملك الأقوات فهذا رجل يملك الناس قال لله أبوك ما أحسن ماعبرت وأسرع ما صحت وأمر له بصلة وقال أقم عندنا وحول عيالك فانا نأمر لك بأرزاق تسعك واياهم ففعل ذلك •• وبلغنا عن مزاحم مولى فاطمة بنت عبد الملك عن فاطمة قالت كنت مع عمر بن عبد العزيز وهو نائم فانتبه وقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت أحسن منها قلت حدثني بها يا أمير المؤمنين قال حتى أصبح قال فجاء المنادي فناداه بالصلاة فقام فصلى بالناس الفجر ثم رجع الى مجلسه فأتيته فقلت يا أمير المؤمنين حدثني بالرؤيا فقال رأيت كأني فى أرض خضراء لم أرَ أرضاً أحسن منها ورأيت فى تلك الأرض قصور زبرجد ورأيت جميع الخلائق حول ذلك القصر فبينا أنا كذلك اذ نادى منادٍ من القصر أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم فدخل القصر فقلت سبحان الله أنا فى ملأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فلم ألبث الاقليلا حتى خرج المنادي فنادى أين أبو بكر الصديق فقام أبو بكر رحمه الله فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن الخطاب فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله أنا فى جمع فيهم أبي ولم أسلم عليه فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين عثمان بن عفان فقام عثمان رحمه الله فدخل فمالبثت الا قليلا حتي خرج المنادى فنادى أين عليّ بن أبي طالب فقام عليّ فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادي أين عمر بن عبد العزيز فقمت فدخلت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً ورأيت أبا بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان وعلياً بين يديه فقلت أين أقعد لا أقعد الاّ الى جنب أبي قال فقعدت عند عمر بن الخطاب فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر شاباً حسن الوجه فقلت يا أبت من هذا قال هذا عيسي بن مريم عليه السلام قال فما لبثت الا قليلا حتى سمعت منادياً ينادي يا عمر بن عبد العزيز اثبت على ما أنت عليه قال ثم قمت فخرجت فلم ألبث الا قليلا حتى خرج علي عثمان وهو يقول الحمد لله الذى نصرنى ثم لم ألبث الاقليلا حتى خرج عليّ بن أبى طالب

رضي الله عنه فقال الحمد لله الذى غفر لي

مساوى الرؤيا

روى عن عمر بن حبيب القاضي ان رجلا كان بالبصرة وكانت له امرأة وله منها ابنان فمات وترك لهم شاة فرأت المرأة فى النوم كأن أحد ابنيها يقول يا أمه ما ترين هذا الجدي قد أفنى علينا لبن هذه الشاة وليس بدّ من أن أقوم فأذبحه فقالت لا تفعل يابني فقال لا بدّ من أن أذبحه فقام فذبحه وسمطه وشواه وأخرجه من التنور فقعد هو وأخوه يأكلان فكلمه بشيء فأخذ السكين فشق بطنه فانتبهت فزعة واذا ابنها يقول يا أُمه أما ترين هذا الجدي قد أفنى علينا لبن هذه الشاة أقوم فأذبحه فقالت لا تفعل يا بنيّ فجعلت تتعجب من تصديق الرؤيا فأخذت بيد أخيه فدخلت بيتاً وأغلقت الباب من داخل فبيناهي مفكرة مغتمة اذ غفات فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ما شأنك فخبرته الخبر فنادى يا رؤيا فاذا الحائط قد انصدع وخرجت امرأة جميلة بارعة الجمال فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما أردتِ الى هذه المسكينة قالت لا والذى بعثك بالحق نبياً ما أتيتها فى منامها فنادى ياأضغاث أحلام فخرجت امرأة دونها فقال ماأردت الى هذه المسكينة قالت رأيتهم بخير فحسدتهم فأردت أن أغمهم فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليك بأس فانتبهت وأكلت مع ابنيها ولم يزالوا بخير

محاسن الازكان

قال نظر إياس بن معاوية الى نسوة قد فزعن من بعير فأشار اليهن فقال هذه بكر وهذه حامل وهذه مرضع فقام اليهن رجل فسألهن فكنّ كما قال فقيل له كيف علمته قال رأيتهنّ لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع اليها فوضعت الحامل يدها على بطنها ووضعت المرضع يدها على ثديها ووضعت البكر يدها على قُبلها ٠٠ قال ونظر

اياس يوماً الى رجل متأبط شيئاً فقال معه سكر وقد وُلد له غلام فاتبعه الرجل فسأله فاذا هو كما قال فقيل له فى ذلك فقال رأيت الذباب قد أطافت به فقلت معه حلاوة وهو سكر ورأيته نشيطاً فقلت وُلد له غلام

مساوى الازكان

قال واستقبل اياس رجلا فقال خذوه فانه سرق وسيأتي من يطلبه فأخذوه فلم يتجاوز ساعة حتى جاء قوم يطلبونه فأخذوه فقيل له فى ذلك فقال رأيته يُرعَد ويعدو مُدْلَهاً متغير اللون يُكثر الالتفات فزكنتُ فيه هذا وانه لص .. قال ورأى رجلا على عاتقه جرة عسل فقال فيها سُم أو حية فنظروا فاذا حية فسئل عن ذلك فقال رأيت الذباب تحوم حوله ولا تسقط عليه فعلمت انه حية أو سُم

محاسن الفأل والزجر

حدثنا الحسن بن وهب قال حدثني صالح بن عليّ بن عطية قال كان المنصور ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم ونذر دمه فيها وأجّله ثلاثة أيام فقال خالد ليحيي ابنه اني قد طولبت بما ليس عندى وانما يراد بذلك دمي فانصرف الى حرمتك وأهلك فاكنتَ فاعلا بعد موتى فافعله ثم قال يا بُني ولايمنعك ذلك من أن تاتى اخواننا فتعلمهم حالنا قال يحيي فأتيت اخوان والدى فمنهم مَنْ تجهف بالرد ثم بعث الىّ بمال جليل ومنهم من لم يأذن لى وبعث بمالٍ فى أثرى لكيلا يُخبر به المنصور قال فدخلت على عمارة بن حمزة وهو مقابل بوجهه الى الحائط فسلمت فرد رداً ضعيفاً قال يحيي فضاقت بي الأرض ثم كلمته فيما كنت أتيته فيه فقال انْ أمكننا شيء فسيأتيك فانصرفت عنه وصرت الى أبي فأعلمته ذلك وقلت أراك تثق من عمارة بما لا يوثق به فو الله انى لفى ذلك الحديث اذ طلع رسول عُمارة بمائة ألف درهم ورسول صاحب المصلى بمائة الف درهم ورسول

مبارك التركى بمائتي الف درهم فجمعنا فى يومين الفي الف وسبعمائة الف درهم وبقيت ثلاثمائة الف درهم فتعذر ذلك قال يحيي فوالله انى لمار بالجسر مهموماً مغموماً اذ وثب الىّ زاجر فقال فرخ الطاير قف أخبرك فطويته ولم ألتفت اليه فلحقنى وتعلق بي فقلت ويحك اذهب عنى فاني مشغول عنك فقال أنت والله مهموم ووالله ليفرجن همك ويمرّ بالمواء غداً فى هذا الموضع بين يديك فأقبلت أعجب من قوله فقال لي ان كان ذلك فلى عليك خمسة آلاف درهم قلت نعم ولو قال خمسين الف درهم لقلت نعم لبعد ذلك عنى ثم مضيت فو الله ما انصرفت حتى ورد على المنصور الخبر بانتقاض أهل الموصل وانتشار الأكراد بها فقال المنصور ويحكم من لها وكان المسيب بن زهير عند المنصور وكان صديقاً لخالد فقال عندي والله من يكفيكه وأنا أعلم انك ستلقانى بما أكره ولكنى لا أدع على حال نصحك فقال المنصور قل فلست أرد عليك قال يا أمير المؤمنين ما ترميها بمثل خالد فقال المنصور ويحك وتراه يصلح لما بعد ما أتينا اليه قلت نعم يا أمير المؤمنين وأنا زعيمه بذلك والضامن عليه فتبسم المنصور وقال صدقت والله مالها غيره فليحضر غداً فأحضر فصفح له عن الثلاث المائة الألف درهم الباقية عليه وعقد له قال يحيي فمررت والله بالزاجر واللواء بين يدى فلما رآنى قال أنا هاهنا أنتظرك منذ غدوة قال فتبسمت اليه فقلت امض فمضى معي ودفعت اليه الخمسة الآلاف الدرهم

مساوى مساوى

قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي حضرت مجلس المأمون فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك عن الفضل بن يحيي قال بلى قلت دخلت دار الرشيد واذا الفضل بن يحيي واسماعيل بن صبيح وعبد الملك بن صالح فى بعض تلك الأروقة يتحدثون فلما بصر بى الفضل أومأ الىّ وقال يا اسحاق انتظرناك منذ الغداة لتساعد علىّ ما نحن فيه من المذاكرة فقلت ياسيدى أنا السكيت اذا أجريت الجياد وفاز السابق والمصلّى فقال هيهات عندها مدحت نفسك ولما تكذب فلما فرغ عبد الملك من حديثه قال الفضل ان لقس حديثاً سمعته

من الخليل بن أحمد فهل عند واحد منكم له ذكرٌ فسكت القوم فقلت ياسيدى مانعرف له حديثاً الا حديث خطبته بعكاظ قال ذاك شيءٌ قد فهمته العامة واختبرته الخاصة ثم أطرق ساعة فقلنا ان رأيت أن تحدثنا فقال حدثني الخليل بن أحمد ان قيصر ملك الروم بعث الى قس بن ساعدة أسقف نجران وكان حكيماً طبيباً بليغاً فى منطقه فلما دخل عليه ومُثّل بين يديه حمد الله وأثنى عليه فأمره بالجلوس فجلس فرحب به وأدنى مجلسه وقال ما زلت مشتاقاً اليك مما أحببت من مناظرتك في الطب فكان أول ما سأله عن الشراب ليعجبه به فقال أي الأشربة أفضل عاقبة فى البدن قال ما صفا فى العين واشتد على اللسان وطابت رائحته فى الأنف من شراب الكرم قال فما تقول فى مطبوخه قال مرعى ولا كالسعدان قال فما تقول فى نبيذ الزبيب قال ميت أحيى وفيه بعض المتعة وما يكاد يقوى شيءٌ بعد الموت قال فما تقول فى نبيذ العسل قال نعم شراب الشيخ للابردة والمعدة الفاسدة قال فما تقول فى أنبذة التمر قال أوساخ يطيب مذاقها فى اللهوات وتسوء عاقبتها فى البدن وتولد الأرياح فى البطن لرقتها قال فمن أي شيءٌ يكون الثمل الذى يذهب الغم ويطيّب النفس قال زعموا ان العقل تصعده سَوْرة الشراب الى الدماغ الذى هو أصله بقوة الروح الذى جعل فيه فاذا صعدت السورة الى الدماغ الذي هو أصله فاحتوت عليه حتى تغشاه حُجِب العقل عن منافعه فاحتجب البصر بغير عمى والسمع بغير صمم واللسان بغير خرس والدليل على ذلك ان السكران لا يرى فى نومه شيئاً ولا تصيبه جنابة فلا يزال العقل كذلك محتجباً حتى تفكه الطبيعة من إسار السكر اما بقوة فيعجل وإما بضعف فيبطىء قال فمن أي شيءٌ الخمار من بعد صحو السكران قال من اعياء الطبيعة عن مجاهدة السورة فى افتكاك العقل وتخلصه حتى يردها النوم الى هدُوّ وما أشبهه قال الصرف أفضل أم الممزوج قال الصرف سلطان جائر والجائر مستفسد مذموم والممزوج سلطان عادل والعادل مستصلح محمود قال فصف لي الأطعمة قال الأطعمة كثيرة مختلفة وجملة ما آمرك به الامساك عن غاية الاكثار فان ذلك من أفضل مابلوناه من الأدوية ورأس ماآمر به من الحمية قال له عمن حمات الحكمة قال عن عدة من الفلاسفة قال فما أفضل الحكمة قال معرفة المرء بقدره قال فما تقول فى الحلم قال حِلم الانسان ماء وجهه قال

فما تقول فى المال وفضله قال أفضل المال ماأعطى منه الحق قال فما أفضل العطية قال ان يعطى قبل السؤال قال فاخبرنى عما بلوتَ من الزمان وتصرفه ورأيت من أخلاق أهله قال بلونا الزمان فوجدناه صاحباً يخون صاحبه ولا يعتب من عاتبه ووجدنا الانسان صورةً من صور الحيوان يتفاضلون بالعقول ووجدنا الاحساب ليست بالآباء والأمهات ولكنها هي أخلاق محمودة وفى ذلك يقول أو قال أقول

لقد حلبتُ الزمانَ أشطُرَهُ ثم مَخضتُ الصريحَ من حلبِ
فلم أرَ الفضلَ والمعاليَ فى قولِ الفتى إننى من العرَبِ
حتى يُرَي سامياً الى خُلُقٍ يذُودُ محمودُهُ عن النّسبِ
ماينفعُ المرء فى فكاهته من عقلِ جدٍّ مضى وعقلِ أبِ
ماالمرء الا ابنُ نفسهِ فبها يعرَفُ عندالتحصيل للنوَبِ
حتى اذا الموتُ غالَ مُهجتَهُ ألفيتَهُ تربةً منَ التُّربِ

ووجدنا أبلغ العظات النظر الى محل الأموات وأحمد البلاغة الصمت ووجدنا لاهل الحزم حذاراً شديداً وبذلك نجوا من المكروه والكرم حسن الاصطبار والعزّ سُرعة الانتصار والتجربة طول الاعتبار قال خبّرنى هل نظرت فى النجوم قال مانظرت فيها الا فيما أردت به الهداية ولم أنظر فيما أردت به الكهانة وقد قلت فى النجوم

علمُ النجومِ على العقول وَبالُ وطِلابُ شيء لايُنالُ ضَلالُ
ماذا طِلابُكَ علمَ شيءٍ أغلقتْ من دونه الأفلاكُ ليس يُنالُ
هيهاتَ ماأحدٌ بغامض قدرهِ يدرى كمِ الأرزاقُ والآجالُ
إلاّ الذى فوق السماء مكانهُ فلوَجههِ الاكرامُ والاجلالُ

•• قال فهل نظرتَ فى زجر الطير قال نحن معاشر العرب مُولَعون بزجر الطير قال فما أعجب مارأيته منه قال شخصت أنا وصاحب لى من العرب الى بعض الملوك فألفيناه يريد غزو قوم كانوا على دين النصرانيّة فخرج حتى اذا كان على فراسخ من مدينته أمر بضرب فساطيطه وأرْوقته لتتوافى اليه جنوده وضرب له فُسطاط على شاطئ نهر وأمر بخباء فضرب لى ولصاحبي فبينا نحن كذلك اذ أقبل طائران أسود وأبيض وأنا

وساحبي ترمقهما حتى اذا كانا على رأسه رفرفا وشرشرا ثم غابا ثم رجعا أيضاً حتى اذا كانا قريباً منه طوياه ثم أقبلا نحونا فوقفا ثم رتعا فقال صاحبي مارأيتُ كاليوم طائرين أعجب منهما فأيهما أنت مختار فقلت الأسود قال الأبيض أعجبهما اليّ فتأولتهما قلتُ الليل والنهار يطويان هذا الرجل فى سفره فيموت وتأوّلتُ اختيارك الأبيض انك تنصرف بيد بيضاء مخفقة من المال فاذا هو قد غضب فلما جنّ الليل بعث الينا الملك لنسمر عنده فاذا صاحبي قد أخبره بالخبر فسألنى فأخبرته وصدقته فغضب وقال هذه حيّة منك لأهل دينك فقلت أما أنا فقد صدقتك فأمر بحبسي ومضى لوجهه فلم يتجاوز الا قليلا حتى مات فأوصى لى بعشرين ناقة وقال قاتل الله قُسًّا لقد محضني النصيحة فانصرفت من سفرى ذلك بعدّة من الابل وانصرف صاحبي مخفقاً من المال ⁕ قال الملك وما رأيتَ أيضاً من الزجر أعجب قلتُ رأيت مرة عند الملك الهمام أبي قابوس وقد خرج عليه خارج من مُضر يريد ملكه وقد حشد له فبعث الى بعض عمّاله فى توجيه أربعمائة فارس ووجهنى مع الرسول وأمرنا بالشدّ على أيديهم فى جمع الخيل والرجال وكان الرسول شاعرا فبينا نحن نسير اذ سنحت لناظباء أعنزٌ فيها تيس يقدُمها وكان أبو قابوس واعدنا للقائه في يوم كذا وكذا فنحن نقول ان كان الملك قد خرج فى يوم كذا فهو اليوم فى موضع كذا وقد أقبلنا ونحن نقود جيشاً عرمرماً فأنشأ الرسول يقول

ألاَ ليتَ شعرى ماتقولُ السوانحُ   أغادٍ أبو قابوسَ أمْ هو رائحُ

⁕ قال فنظرت الى التيس عند فراغه من هذا البيت قددخل فى مكنسه حتى توارى فيه فدخلنى من ذلك مالم أقدر على ان أمسك نفسى حتي استرجعت فقال لى رفيقى مالك قلت ان صدق الزجر فصاحبك قد ثوى في التراب والتحفت عليه أطباق الثرى قال كيف؛ ذلك قلت وافقَ فراغك من البيت دخول التيس فى مكنسه فاعرض عنى فلما أصبحت فى اليوم الذى واعدنا للقائه لم يواف ولم يكن بأوشك من أن أتانا الخبر بهلاكه وقعود ابنه فأكرمه قيصر وأحسن جائزته ⁕ قلنا أيدالله الوزير لقد بلغت مابلغت باستحقاق ولقد حزتَ قصب الرهان في كل منقبة فتبسم وقال غن الشريف أدبه واذا

رسول الرشيد قد وافاه فنهض نحوه وتصدع المجلس وانصرفنا فلما مضى من الليل بعضه اذا أنا بطارق قد طرقني وبين يديه غلمان على أعناقهم البدَرُ واذا رسول الفضل وقد حمل اليَّ مائة الف درهم وقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول ضجرت باستماع الحديث وأوجبت عليَّ بذلك مِنّةً وهذه صلةٌ وتحفة في جنب قدرك عندى فخذها ولا تعتدّ بها فقلت سبحان الله الذى خلق هذا الرجل وجبله على كرم بَذَّ به من مضى ومن غبر واذا هو قد وجه الى أصحابي الذين كانوا معى بمثل الذى وجه به اليَّ فغدوتُ اليه وأردت أن أشكره فقال والله لئن ذهبت تكشف ما ستر الله لأجفونك فكأنما ألقمنى بذلك حجراً فاحتبسني عنده فطعمت وشربت ورحت وقد حملني على عدّة أفراس بسروج مذهبة ولجم مذهبة ووجه معى بعشرة تخوت ثياب وعشر بدَرٍ قال فقال المأمون ويحك يااسحاق ثواب حديثك ضعف ماأمر لك به الفضل وقد أمرت لك بمائة الف درهم فقبضت ذلك وانصرفت •• قال وكان محمد بن حازم قال قصيدته التي يقول فيها

فياشامِتاً مهلا فكمْ منْ شماتةٍ تكونُ لها العُقبى بقاصمةِ الظهر

فاعتلّ محمد ولم يكن يرثه الا أخوه وكان بسُرَّ من رأى فوجهت اليه جاريته تعلمهُ بشدة علته فقدم أخوه ومحمد لمابه فادخل الجارية بيتاً في الدار ووطئها قبل وفاة أخيه فلما مات حمل المال والأثاث والجارية الى منزله بسر من رأى وأخذ فى الشراب فانصرف ليلة ثَملاً فأراد المبيت على سطح الدار فمنع من ذلك فامتنع فلما صار في أعلى الدرجة سقط وانقصف ظهره فجعلنا نتذاكر شعر أخيه •• قيل ووفدت عزّة كثيّر على عبد الملك بن مروان فلما دخلت سلمت فردّ عليها السلام ورحب بها وقال ماأقدمك ياعزّة قالت شدة الزمان وكثرة الألوان واحتباس القطر وقلة المطر قال هل تروين لكثير

وقد زَعمتْ أنى تغيَّرتُ بعدَها ومنْ ذَا الذى ياعَزُّ لايتغيَّرُ

قالت لاأروى له هذا ولكنى أروى له قوله

كأنى أنادي صخرَةَ حينَ أعرضَتْ منَ الصُّمّ لو تمشى بها العُصمُ زَلّتِ

فقال ما كنت لتصيرينَ الى حاجةٍ أو تهبين نفسك لي فأزوّجك منه قالت الأمر اليك يا أمير المؤمنين ما كنت لأزهد في هذا الشرف الباقي لي مادامت الدنيا أن يكون أمير المؤمنين وليّي فعظم بذلك قدرها عنده وأمر لها بمالٍ وكتب الى كثير وهو بالكوفة أن اركب البريد وعجّلْ فاني مزوّجك عزّة فأتاه الكتاب وهو مُضنًى من الشوق اليها فرحل فأقبل نحوها فلما كان في بعض الطريق اذا هو بغراب على شجرة بانةٍ واذا هو ينتف ريشه ويطايره وكان شديد الطيرة فلما رآه تطيّر وهمّ بالانصراف ثم غلبه شوقه فمضى وهو مكروب لما رأى حتى أتى ماء لبني نهدٍ فاذا هو برجل يسقي إبله فنزل عن راحلته واستظلّ بشجرة هناك فأبصره النهديّ فأتاه وسأله عن اسمه ونسبه فانتسب فرحب به فأخبره عما رأى في طريقه فقال أما الغراب فغربة وأما البانة فبَيْنٌ وأما نتف ريشه ففرقة فاستُطير لذلك ومضى حتى دنا من دمشق فاذا بجنازة فاستعبر وقال أسأل الله خير ما هو كائن فسأل عن الميت فاذا هي عزّة فخرّ مغشياً عليه فعُرفَ وصُبّ عليه الماء فكان مجهوده ان بلغ القبر فلما دُفنت انكبّ على القبر وهو يقول

سراجُ الدجى صفرُ الحشى مُنتهى المنى ... كشمس الضحى نوّامةٌ حين تُصبحُ
إذا ما مَشتْ بين البيوتِ تخزّلتْ ... ومالتْ كما مالَ النزيفُ المرنحُ
تعلقتُ عزّا وَهيَ رُودٌ شبابُها ... علاقةَ حُبٍّ كادَ بالقلبِ يَرجحُ
أقولُ ونِضوي واقفٌ عندَ رَمسِها ... عليكِ سلامُ اللهِ والعينُ تسفحُ
فهلاّ فداكِ الموتَ مَن أنتِ دُونَه ... ومَن هوَ أسوا منكِ دلّاً وأقبحُ
على أمِّ بكرٍ رحمةٌ وتحيةٌ ... لها منكَ والنائي يَودُّ ويَنصَحُ
مُنعّمةٌ لو يدرُجُ الذرُّ بينها ... وبين حواشي بُردِها كادَ يجرَحُ
وما نظرَت عيني الى ذي بَشاشةٍ ... من الناسِ إلاّ أنتَ في العينِ أملحُ

ثم بكى حتى غُشيَ عليه فأفاق وهو يقول

وما أعيفَ النهديّ لا درّ درُّهُ ... وأزجرَه للطيرِ لا طارَ طائرُه
رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ ... يُنتِّفُ أعلى ريشِه ويُطايرُه

فقال غُرابٌ إغترابٌ من النوى وبانةُ بينٌ من حبيبٍ تُعاشِرُه

ثم لم يزل باكياً حتى أدركه الموت ولم يُرَ ضاحكاً بعدها •• وقيل فيه من الشعر

تَنادَي الطائران ببينِ سلمى على غُصنَين من غَرَبٍ وبانِ

فكانَ البانُ أنْ بانَتْ سُلَيمى وفى الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ داني

أخذه أبو الشيص فقال

أشاقَكَ والليلُ مُلقى الجِرانِ غُرابٌ ينوحُ على غُصنِ بانِ

أحصُّ الجناحِ شديدُ الصياحِ يُبكّي بعينينِ ما تدمعانِ

وفى نعباتِ الغُرابِ اغترابٌ وفِي البانِ بينٌ بعيدُ التداني

•• ولآخر

أقولُ يومَ تلاقينا وقد سجعتْ حمامتانِ على غُصنين من بانِ

ألآنَ أعلمُ أنّ الغصنَ لي غُصصٌ والبانَ بينٌ قريبٌ عاجلٌ داني

فقمتُ تخفضُني أرضٌ وترفعُني حتى وثبتُ وهدّ السيرُ أركاني

•• ولآخر

أقولُ وقد صاحَ ابنُ دَأْيَةَ غُدْوةً ببُعدِ النوى لا أخطأتْكَ الشوابِكُ

أفي كلِّ يومٍ رائعي منكَ روعةٌ ببينونةِ الأحبابِ عِرسُكَ فارِكُ

فلا بضتَ فى خضراء ماعشتَ بيضةً وضاقتْ برحبِها عليكَ المسالكُ

محاسن الشعر فى هذا الفن

لبعضهم

وقالوا عُقابٌ قلتُ عُقبى من النوى دنتْ بعد شحطٍ منهمُ ونزوحُ

وقالوا حمامٌ قلتُ حُمّ لقاؤها وعادت لنا ريحُ الوصالِ تفوحُ

وقالوا دمٌ دامتْ مودّةُ بيننا وطاحَ قتيلَتْ والمطيُّ طلوحُ

وقالوا تغنّى هدهدٌ فوقَ أيكةٍ فقلتُ هُدًى تغدو بنا وتروحُ

وحكي عن النعمان بن المنذر انه خرج يتصيد ومعه عدى بن زيد فمرّ بآرامٍ وهي القبور فقال عديّ أبيتَ اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال انها تقول

أيها الركبُ المُخبو ... نَ على الأرض تمرُّونْ
فكما كنتم فكنّا ... وكما نحنُ تكونونْ

قال أعِدْ فأعاد فرجع كئيباً وترك صيده قال ثم خرج معه خرجة أخرى فوقف على آرامٍ بظهر الكوفة فقال أبيتَ اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال فانها تقول

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربونَ الخمرَ بالماء الزلالِ
ثمّ أضحَوْا عَصَفَ الدهرُ بهمْ ... وكذاكَ الدهرُ حالٌ بعدَ حالِ

فانصرف وترك صيده .. عبد الله بن مسلم قال حُدِّثت عن معاوية انه سأل عبيد بن شرية الجرهمي عن أعجب شيءٍ رآه قال نزلت بحيٍّ من قضاعة في الجاهلية فأخرجوا جنازة لرجل من بني عذرة فخرجت معهم حتى اذا واروه تنحيت جانباً وعيناي تذرفان ثم تمثلت بأبيات من شعر كنت رويتها قبل ذلك الزمان

إستقدِرِ اللهَ خيراً وارضينَّ بهِ ... فبينما العسرُ اذ دارت مَياسيرُ
وبينما المرء في الأحياء مغتبطٌ ... إذصارفي الرمس تعفوه الأعاصيرُ
يَبكي الغريبُ عليهِ ليس يعرفُهُ ... وذو قرابتهِ في الحيِّ مسرورُ
حتى كأنْ لم يكنْ الاّ تذكُّرُهُ ... والدَّهرُ أيتما حالٍ دهاريرُ

قال والى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول فقال أتدرى من قائل هذه الأبيات قلت لا والله قال والذى يُحلَف به انه لَصاحب هذا القبر وهذا ذو قرابته أسَرَّ الناس بموته وأنت الغريب تبكي عليه فعجبت مما ذكره في شعره والذى صار اليه من قوله كأنه نظر الى نفسه بعد موته .. قال ولما بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حيٍّ من تغلب فأغار عليهم وقتلهم وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغني بهذه الأبيات

ألا علّلاني قبلَ جيشِ أبي بكرِ ... لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندرى

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عُنقه واذا رأسه في الجفنة التى كان يشرب

منها ولذلك قيل ⁕ ان البلاء موكل بالمنطق ⁕

وحدثنا الحسين بن الضحاك قال شهدت الواثق وكان قاعداً في مجلس وكان أول مجلس قعده فكان أول ما تغني من الغناء في ذلك المجلس صوت ابراهيم بن المهدي فغنت به شارية جارية ابراهيم

ما درى الحاملون يوم استقلوا ... نعشهُ للثواء أم لِلقاء
فلتقُلْ فيك باكياتٌ كما شئـ ... ـنَ صباحاً وعندَ كلِّ مَساء

قال فبكى والله وبكينا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه ثم اندفع بعض المغنين فغنى

ودِّع هريرة ان الركبَ مرتحِلُ ... وهل تُطيقُ وَداعاً أيها الرجلُ

قال فازداد والله في البكاء ثم قال أسمعت كاليوم قط تعزية بأب ونعي نفس ثم ارفض ذلك المجلس . وحدثنا ابن المكي عن أبيه قال قال محمد الأمين في آخر أيامه يا مكي والله أحب أن أقعد يوماً قبل أن يحال بيننا وبين ما نريد فقلت يا أمير المؤمنين افعل ذلك فقال اغد عليّ في غد قال فانصرفت وغدا عليّ رسوله في السحر فجئت اليه وهو في صحن داره وعليه جبة وشي مذهبة تأتلق وعمامة مثلها ما رأيت لأحد قط مثل ذلك وتحته كرسي من ذهب مرصع بالجوهر فدعا بكرسي فجلست عليه عن يساره ثم قال لخادم على رأسه ادع لي فلانة وفلانة حتى عد أربع جوار ما منهن جارية الا وأنا أعرف حذقها وجودة غنائها فخرجن وجلسن عن يمينه ثم قال يا غلام عليّ برطل فأتي برطل وقدح بلور مكلل بالجوهر فالتفت الى التي تليه فقال لها غني فضربت ضرباً حسناً وتغنت بشعر الوليد بن عقبة بن أبي معيط

همُ قتلوهُ كيْ يكونوا مكانَهُ ... كما فعلَت كسرى بكِسرى مرازبُه
بني هاشمٍ ردوا سلاحَ أخيكمُ ... ولا تنهبوه لا تحلُّ مناهبُه

قال فرمى بالقدح في وسط الدار ثم قال لعنك الله ما هذا قالت لا والله يا سيدي ما جاء على لساني غير هذا ثم التفت الى الغلام فقال اسقني فأتاه بقدح مثل الأول وقال للأخرى غني فغنت ما قيل في كليب وائل

كُليبٌ لعمري كانَ أكثرَ ناصراً ... وأيسرَ ذَنباً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فرمى بالقدح في صحن الدار وكسره ثم قال يا غلام عليَّ برطل وقال للثالثة غنى فغنت

أتقتُلُ عمراً لا أبا لكَ شارداً ... وتزعمُ بعدالقتـلِ أنكَ هاربُ

فلو كنتَ بالأقطارِ مافتَّ ضربتي ... وكيف تفوتَ الحَينَ والدَّمُ طالبُ

قال فرماها بالقدح وقال يا غلام عليَّ برطل وقال للرابعة غنى فغنت

كأنْ لم يكنْ بين الحَجونِ الى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكة سامِرُ

بلى نحنُ كنا أهلها وأبادَنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ

قال فالتفت اليَّ وقال قد سمعت هذا أمر يريده الله جلَّ وعزَّ قال فامضت أيام حتى رأيت رأسه بين شُرْفتين من شُرَف قصره

محاسن ترك التطير

روى عن عكرمة قال كنا جلوساً عند ابن عباس وابن عمر فمرَّ طائر يصيح فقال رجل من القوم خير فقال ابن عباس لا خير ولا شر ٠٠ وأنشد فى مثله

ما فرَّقَ الأحبابَ بعـــدَ اللهِ الاَّ الابـلُ

والناسُ يلحَوْنَ غرا ... بَ البَينِ لمَّا جهلوا

وما على ظهر غرا ... بِ البين تُطوَى الرحَلُ

ولا إذا صاحَ غُرا ... بٌ فى الديار احتملوا

وما غرابُ البيـنِ إ ... لاَّ ناقةٌ أوْ جمـلُ

٠٠ ولآخر

اترحلُ عمَّنْ أنتَ صبٌّ بمثلهِ ... وتلحَى غُرابَ البينِ انكَ ذو ظلْمِ

أقِمْ فغرابُ البينِ غيرُ مفرِّقٍ ... ولا نازلٌ إلاَّ على أفضلِ الحكْمِ

٠٠ آخر

غَلِطَ الذينَ رأيتُهمْ بجَهالةٍ ... يَلحَونَ كلهُمُ غراباً يَنعِقُ

ماالذنبُ الاَّ للجمال فانها ... مما يشتِّتُ جمعَهمْ ويُفرِّقُ

إنَّ الغرابَ بيمنِهِ يُدنى النوى ... وتُشتتُ الشملَ الجميعَ الأينُقُ

محاسن المواعظ

قال وحكي عن الأوزاعي قال بعث اليَّ المنصور فقال لِمَ تبطيءُ عنَّا قلت وما تريد منَّا قال لآخذ عنكم وأقتبس منكم فقلت له مهلاً فان عروة بن رُوَيم أخبرني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من جاءته موعظة من ربّه فقبلها شكر الله له ذلك ومن جاءته فلم يقبلها كانت حجة عليه يوم القيامة مهلاً فان مثلك لا ينبغي له أن ينام انما جُعِلَت الأنبياء رعاة لعلمهم بالرعيَّة يجبرون الكسير ويُسمِنون الهزيلة ويردون الضالّة فكيف من يسفك دماء المسلمين ويأخذ أموالهم أعيذك بالله أن تقول إن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعوك الى الجنة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في يده جريدة يستاك بها فضرب بها قرن اعرابي فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ان الله تبارك وتعالى لم يبعثك جبّاراً مؤيساً مقنّطاً تكسر قرون أمتك ألق الجريدة عن يدك فدعا الاعرابي الى القصاص من نفسه فكيف بمن يسفك دماء المسلمين ان الله عز وجل أوحي الى من هو خير منك الى داود عليه السلام ﴿ يا داودُ إنَّا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكُمْ بينَ الناس بالحقّ ﴾ وأوحي اليه ياداود اذا أتاك الخصمان فلا يكونن لأحدهما على صاحبه الفضلُ فأمحوك من ديوان نبوّتي واعلم أن ثوباً من ثياب أهل النار لو عُلِّق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه فكيف بمن تقمّصه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وُضعت على جبال الدنيا لذابت كما يذوب الرصاص حتى تنتهي الى الأرض السابعة فكيف بمن تقلدها .. قال ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقال يا أمير المؤمنين ان الله عزوجل يقفك ويُسائلك عن مثقال ذرّة من الخير والشر وأن الأمة خصماؤك يوم القيامة وان الله جل وعز لايرضي منك إلاّ بما ترضاه لنفسك ألا وانك لاترضى لنفسك إلاّ بأن يعدل عليك وان الله جل وعز لايرضى منك إلاّ بأن تعدل على الرعية ياأمير المؤمنين ان وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور والله ما يُحكم وراء بابك بكتاب الله ولا بسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم قال فبكى المنصور فقال سليمان بن مُجالد وهو واقف على رأس المنصور ياعمرو قد شققتَ على أمير

المؤمنين فقال عمرو يا أمير المؤمنين من هذا قال أخوك سليمان بن مجالد قال عمرو ويلك ياسليمان ان أمير المؤمنين يموت وان كل ماتراه يَنْفَدُ وانك جيفة غداً بالفناء لاينفعك إلاّ عملٌ صالح قدّمتَه ولقُرْبُ هـذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قُربك اذ كنت تطوى عنه النصيحة وتنهى مَن ينصحه يا أمير المؤمنين ان هؤلاء اتّخذوك سُلّماً الى شهواتهم قال المنصور فأصنعُ ماذا أدْعُ لي أصحابَك أُوَلِّهم قال ادعهم أنت بعمل صالح تُحْدِثه ومُرْ بهذا الخناق فليُرفع عن أعناق الناس واستعمل في اليوم الواحد عمّالا كلما رابك منهم ريبٌ أو أنكرت على رجلٍ عزلته ووليت غيره فوالله لئن لم تقبل منهم إلاّ العدل ليتقربّن به اليك من لانيّة له فيه ٠٠ وحدث محمد بن عبد الله قال قال المنصور لجعفر بن حنظلة البهراني عِظْني قال فقلت يا أمير المؤمنين أدركتُ عمر بن عبد العزيز سنتين لم يتّخذ مالاً ولم يُنشِئْ عيناً ولم يستخرج أرضاً ولم يضع لبنةً على لبنة ولا أُحصِي كمْ من ولده تحمّل الحمالات وحمل على الخيل وولى هشام بن عبد الملك ثمان عشرة سنة مامنها سنةٌ إلاّ وهو ينشئ فيها عيوناً ويتّخذ فيها أموالا ويقطع لولده القطائع ولا أعرف اليوم من ولده رجلا يشبع فقال والله لقد وعظتَ وأحسنتَ قال جعفر ففرحت ان نجحَت عِظَتي فى أمير المؤمنين قال فأطرق ساعةً ثم قال ياغلام أدْع لي سليمان بن مجالد فدعاه فقال ياسليمان علّقْ أصحاب قيايا بأرْجلهم حتى يؤدّوا ما عليهم وكان قد جعلها لصالح ابنه فعلمتُ ان عِظَتي لم تنفع قليلا ولا كثيراً ٠٠ وحدث محمد ابن عبد الله الخراسانى قال حدثني المفضل الضّبّي قال سمعت المسيب بن زهير يقول بينا المنصور يطوف بالبيت وأنا قُدّامه واذا رجلٌ مستلم الركن فقلت له تنحّ فقد جاء أمير المؤمنين كرّتين أو ثلاثا فلم يبرح حتى رمقه المنصور وسمعه وهو يقول اللهم إنى أشكو اليك ظهور الجور والبغي والفساد فى الأرض وما يحول بين المرء وقلبه من الطمع فلما سمعه قال لي يا مسيب عليّ بالرجل فقلت له أما إذ قد ابتليت بك فأجبْ قال حتى أُتم طوافى فلما أتم طوافه قلت له أجب الآن فقد فرغت من طوافك قال حتى أُصلّي ركعتين قلت نعم فصلّ فصلي ركعتين ثم أدخلته على المنصور فلما رآه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال وعليك السلام ماهذا الكلام

الذى سمعتك تلفظ به آنفاً عند الركن قال أوَسمعته ياأمير المؤمنين قال نعم قال هو ذاك ألستَ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لست الخايفة مابقيت غاية إلاّ وقد بلغتها أتطمع أن تنال ماعند الله جل وعز بما أنت فيه قال وفيم أنا قال أُخبرك بما لا تقدر أن تدفعه قال وما هو قال عمدتَ الى الطين فأوقدتَ عليه فصيَّرت منـه الآجُر ثم عمدت الى الرمل وأوقدت عليه فصيرت منه الجص وصيرت بعضه فوق بعض فبنيتَ لك منها الحصون المشيّدة والقصور العالية ثم غلّقت عليها أبواب الحـديد فاحتجبت عن الناس أجمعين ثم أقعدت على الأبواب أقواماً عبدوك من دون الله فلما قال له ذلك استوى جالساً ثم قال أنا قال نعم أنت أما سـمعت الله جل ذكره يقول (إتَّخَـذوا أحبارَهُمْ ورُهبانَهُمْ أرباباً مِنْ دونِ اللهِ) ما صلوا لهم ولا صاموا ولكنهم أمروهم فأطاعوهم فى كل ما أرادوا ولم يخالفوهم فكانت تلك رُبوبيتهم ثم اتخـذتَ بطانةً يسـيرة وقلتَ لايدخل عليّ إلاّ فلان وفلان فرفع أولئك اليك من أمور المسلمين ماهان عليهم وخف عليك فاذا جاء المظلوم الى الباب لم يصِلْ اليك فصار الى بعض من يصـل اليك فقال ارفع قصتى هذه الى أمير المؤمنين قال نعم فدفعها اليه فاذا هو يتظلم من بعض من يصل اليك فأرسل اليـه الظالم الذى ظلم صاحب القصة والله لئن رفعت قصة فلان الى أمير المؤمنين لأرفعن قصة فلان الذي ظلمته فى كذا وكذا فأمسك القصة ولم يرفعها فعند ذلك اقتطعت حقوق الناس دونك وأنت محصور فى قصرك تظن انك فى شئ أو على شئ والناس وراء بابك يُقتَلون ويؤكَلون والله لقد دُفِعْتُ الى جزيرة من جزائر البحر واذا ملك تلك البلاد مُشرك وصنمه فى كمه وتُسمى البلاد الصين فرأيتُه ذات يوم وهو يبكي فى مجلسه فقام اليه وجوه مملكته فقالوا ما يُبكيك أدام الله ملكك وأعزّك أيها الملك أليس قد مكّن الله لك أليس قد مهد الله لك قال أبكي لصمم قـد اعترانى أخافُ أن لا أسمع صوت مظلوم وصارخ بالباب ألا وقد آليت عليكم أن لا يركب منكم الفيل ولا يلبس ثوباً أحمر إلاّ مظلوم حتى أعرفه قال فلقد والله رأيته يركب بالغداة والعشي يتصفح الوجوه هل يرى مظلوماً فينصفه فهذا لايعرف الله جل وعز ولا يريد بذلك رفعةً عند الله جل وعز ولا زُلفى لديه ولا رجاء ثواب ولا مخافة عقاب ولكن شفقةً على

ملكه وخوفاً من أن ينتشر عليه أمره فيخاف أن يذهب ملكه وهو مشرك يفعل هذا ويتفقده من نفسه ورعيته وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أولى بهذا الفعل من ذلك المشرك قال صدقت قد عرفتُ الذى قلتَ وفهمتُ ما وصفتَ والأمر على ماذكرت ولكن كيف أصنع وقد نُبيتُ بأمر الأمة ودعوت الفقهاء فلاناً وفلاناً على أن أستعين بهم على ما أنا فيه فهربوا منى قال انهم لم يهربوا منك ولكن لم يعلموا انك تريدهم للعمل بالحق وكان العمل معك ومعونتك أوجب عليهم من الصلاة والصيام والحج والنوافل ولكنهم هربوا خوفاً على أبدانهم من عذاب الله وذلك أنهم تخوّفوا أن تحملهم على مثل رأيك قال المنصور فهذا عمي عيسى بن علي الضامن عليّ أنك ان أتيتني بهم أطاقتْ أيديهم في انصاف الناس ولا أخالفُ أمرهم فقال الرجل أكذا ياعيسى أنت الضامن على ماقال الخليفة قال نعم قال الله حتى قالها ثلاثاً قال وأقيمت الصلاة فافترقنا فلما صلينا طُلِب الرجل فلم يوجد فكانوا يرون أنه الخضرُ عليه السلام أو مَلَك أُرسل اليه .. وحكي عن الحجاج قال حججت فنزلت ضريّةَ فاذا اعرابيٌّ قد كوّر عمامته على رأسه وتنكّبَ قوسه وصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال أيها الناس انما الدنيا دار ممَرٍّ والآخرة دار مقرٍّ فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم أما بعد فانه لم يستقبل أحدٌ يوماً من عمره إلاّ بفراق آخر من أجله فاستصلحوا لأنفسكم ماتقدمون عليه بما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لاقوىّ أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه وكيف يهربُ من يتقلّب فى يدَىْ طالبه وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور .. وقال بعض الاعراب ان الموت ليقحم على الشيب تقحّم الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن فيها على بَلْوى ولا طالبٌ أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار أرديَاهُ ومن وُكِّلَ به الموت أفناه .. وقال اعرابى كيف تفرح بعُمُرٍ تنقصه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات ولقد عجبت من المؤمن يفر من الموت وهو سبيله الى الثواب ولا أرى أحداً إلاّ سيُدْركه الموتُ وهو منه آبقٌ ..

وقال عتيق بن عبد الله بن عامر بن الزبير كنت عند سليمان بن عبد الملك فدخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين بالباب اعرابي له حزمٌ ودين ولسان فقال يؤذن له فلما دخل قال له سليمان تكلم قال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته فان وراءه ماتحب قال يااعرابي انا لنحتمل ممن لاينصح وأنت الناصح جيباً والمأمون غيباً فقال أما اذا أمنتُ بادرةَ غضبك فاني سأطلق من لساني ماخرست عنه الألسن تأديةً لحقّ الله جل ذكره وحقّ امامتك يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك قوم قد أساؤا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حربٌ للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ماائتمنك الله جل وعز فانهم لايألون للأمانة تضييعاً وللأمة خسفاً وعسفاً وأنت مسؤل محاسب على ما اجترحتَ فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبناً بائع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان يااعرابي ان لسانك لأقطع من سيفك قال أجل يا أمير المؤمنين هو لك لاعليك فقال له هل لك حاجة في ذات نفسك قال لاحاجة لي في شيء خاص دون عامّ .. وعن أبي بكر الهذلي قال بعث عمر بن هبيرة الى الحسن البصري وابن سيرين والشعبي فقدموا عليه وهو بواسط وكان رجلا يحبّ حسن السيرة ويسمع من الفقهاء فلما دخلوا عليه ألطفهم وأمر لهم بنزل وحسن ضيافة فأقاموا على بابه شهراً فغدا عليهم حسن بن هبيرة ذات يوم فقال ان الأمير داخلٌ عليكم فجاء يتوكّأ على عُكّازٍ له حتى دخل فسلم ثم قال ان يزيد بن عبد الملك عبد من عبيد الله أخذ عهودهم وأعطاهم عهده كي يسمعوا له ويطيعوا وانه يأتيني منه كتبٌ أعرف في تنفيذها الهلكة فان أطعته عصيتُ الله فما ذا تأمرون فقال الحسن يا بن سيرين أجب الأميرَ فسكت فقال للشعبي أجب الأمير فتكلم بكلام هيبةٍ فقال ياأبا سعيد ماتقول فقال أما إذ سألتني فانه يحقّ عليّ أن أجيبك ان الله جل وعز مانعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله وانه يوشك ان ينزل بك ملكٌ من السماء فيستنزلك من سريرك وسعة قصورك الى باحة دارك ثم يخرجك من باحة دارك الى ضيق قبرك ثم لايوسع عليك الا عملك يابن هبيرة اني أنهاك عن الله جل وعز فانما جعل الله جل وعز السلطان ناصراً

لعباده ودينه فلا تركبوا عباد الله بسلطان الله فتذلوهم فانه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق يابن هبيرة لاتأمن أن ينظر الله جل وعزّ اليك عند أقبح ماتعمل فى طاعته نظرة مقت فيغلق عنك باب الرحمة يابن هبيرة انى قد أدركت أناساً من صدور هذه الأمة كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا لحسناتهم أن لاتقبل أخوف منكم لسيآتكم أن لاتغفر وكانوا لثواب الآخرة أبصر منكم لمتاع الدنيا بأعينكم وكانوا عن الدنيا وهي عليهم مقبلة أشد إدباراً من اقبالكم عليها وهي عنكم مدبرة ياعمر انى أخوّفك مقاماً خوّفكه الله جل وعز من نفسه فقال (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدى) ياعمر ان تكن مع الله على يزيد يكفك الله بائقته وان تكن مع يزيد على الله يكلك اليه قال فبكى ابن هبيرة وقام فى عبرته وانصرف وأرسل اليهم من الغد بجوائزهم وأعطى الحسن أربعة آلاف درهم وابن سيرين والشعبي ألفين ألفين فخرج الشعبي الى المسجد وقال من قدر منكم أن يؤثر الله جل وعزّ عن خلقه فليفعل فان ابن هبيرة أرسل الىّ والى الحسن وابن سيرين فسألنا عن أمر والله ماعلم الحسن شيئاً جهلته ولا علمت شيئاً جهله ابن سيرين ولكنا أردنا وجه ابن هبيرة فأقصانا الله جل وعز وقصر بنا وأراد الحسن وجه الله فحباه تبارك اسمه وزاده ٠٠ وعن المدائنى عن على ابن حرب قال قال الشعبي جمعنا عمر بن هبيرة بواسط وفينا الحسن البصرى فقال أما ولىّ هذه الرعية وربما كان منى الشئ الذى لاأرضاه وأمورٌ ترد علىّ من رأى أمير المؤمنين أكره امضاءها وانفاذها فقال الشعبي لاعليك أيها الأمير انما الوالى والد يخطئ ويصيب وما يرد عليك من رأى أمير المؤمنين فان استطعت أن تردّه فاردده والا فلا ضيرَ عليك فقال ماتقول ياأبا سعيد فقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعاه الله جل وعز رعية فلم يحط من ورائها بالصيحة حرم الله عليه الجنة وأما رأى أمير المؤمنين فاذا ورد عليك فاعرضه على كتاب الله فان وافقه فأمضه وان خالفه فاردده فان الله جل وعز يمنعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله ثم أقبل الحسن على الشعبي فقال ويلك ياشعبي يقول الناس ان الشعبي فقيه أهل الكوفة فدخل على جبار من الجبابرة فزين له المعصية فقال والله ياأبا سعيد لقد قلت وأنا أعلم مافيه قال

ذلك أوكد للحجة عليك وأبعد لك من العذر ‥ قيل ووجد في كتب بزرجمهر صحيفة فيها ان حاجة الله جل وعز الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء بعد الفناء كيف يأسى المرء على مافاته والموت يطلبه فقال كسرى لم يكن ممن حقّ عليه أن يُقتل وأنا نادم على ذلك ‥ قيل وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف حالك فقال كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويقدم على ملك عادلٍ بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

مساوي المواعظ

قال لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع عليه عمرُ جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً أتعزّى به أو واعظٍ يخففُ عني فأتعزّى وأتسلّى فقال رجل من أهل الشام ياأمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب الى مكان فتبسم عمر رحمه الله ثم قال ويحك مصيبتي فيك زادتني مصيبة ‥ قيل وأصيب الحجاج بمصيبة وعنده رسول عبد الملك بن مروان فقال ليت أني وجدت انساناً يخفف عني مصيبتي فقال رجل ممن حضر أقول قال قل فقال كل انسان يفارق صاحبه يموت أو يصلب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يسقط في بئر أو يُغشي عليه أو يكون شئ لايعرفه فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حيث وجه بمثلك رسولا

محاسن ماقيل في المراثي

قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى التيميّ أحسن مناطق الشعر المراثي والبكاء على الشيب وكان بنو مروان لايقبلون الشاعر الا أن يكون راوية للمراثي ويقولون ان فيها ذكر معالي الأمور ‥ وقيل لأبي عبيدة ماأجود الشعر فقال النمط الأوسط يعني المراثي ‥ قال وسألتُ أعرابياً ماأجود الشعر عندكم قال مارثينا به آباءنا وأولادنا وذلك

انا نفوطا وأكبادنا تحترق .. قيل وقال المأمون لبعض جلسائه ما أحسن ماقيل فى المراثى فقال قوله

فتىً لم تكذّبْ موتَهُ نارِباتُهُ   بماقلنَ فيه لاولاالمادحُ المُطرِى
فتي لم يزلْ مُذْ شدَّ عقدَ إزارِهِ   مُشيدَ المعالى أو مقيماً على ثغرِ

.. قال الأصمعيّ قدم علينا أعرابيٌّ فقام عندنا أياماً ثم رجع الى البادية فسأل عن اخوانه وأترابه فأخبر ان الدهر أبادَهم وأفناهم فبكي وأنشأ يقول

ألاَ ياموتُ لم أرَ منكَ بُدًّا   أبيتَ فما تحيدُ ولاتحابى
كأنكَ قد هجمتَ على مَشيبِي   كما هجمَ المشيبُ على شبابى

قال أبو العيناء ابن أبى طاهر أشعر الناس فى بيتيه حيث يقول

إذهبا بى إنْ لم يكنْ لكما عَقْـرٌ الى تُربِ قبرِهِ فاعقرانى
وانضِحا منْ دَمي عليه فقدكا   نَ دَمي منْ نداهُ لوْ تعلمانِ

.. وقال فى مثله

اذا ماالمَنايا أخطأتكَ وصادفَتْ   حَميمَكَ فاعلم أنها ستعودُ
وانّ امرأً ينجومنَ النار بعدَما   تزوّدَ منْ أعمالها لَسعيدُ

عبد الرحمن بن عيسى بن حمّاد الهمذانى فى حمويه كاتب أحمد بن عبد العزيز

حَسُنَتْ لفقدكَ كثرةُ لأحزانِ   بلْ هانَ بعدكَ نائبُ الحدَثانِ
ماكانَ حقّكَ أنْ تصيرَ الى البلاَ   وأعيشَ لولا قسوةُ الانسانِ

.. ولآخر

اذا ماالدهرُ جرّ على أناسٍ   كلاكلهُ أناخَ بآخرينا
فقلْ للشامتينَ بنا أفيقوا   سيلقى الشامتونَ كما لقينا

ولعبدة بن الطبيب فى قيس بن عاصم

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ   ورحمتُهُ ماشاءَ أنْ يترحّما
سلامُ امرىءٍ وليتهُ منكَ نعمةً   اذازارَ عن شحْطٍ بلادَكَ سلّما
فما كانَ قيسٌ هلكهُ هلكَ واحدٍ   ولكنهُ بنيانُ قومٍ تهدّما

البسّامى يرثي عبيد الله بن سليمان بن وهب

قد انقضى العيش وماتَ الكمالْ ... وقال صَرفُ الدهر أينَ الرجالْ

هــذا أبو القــاسم فى نَعشهِ ... قوموا انظروا كيف تزولُ الجبالْ

وله فيه

لَستُ مُستسقيا لقبركَ غيثا ... كيفَ يظما وقد تضمَّنَ بحرا

أنتَ أولى بأنْ تُعزَّى منَ النا ... سِ فقدْ ماتَ بعدكَ الناسُ طُرّا

•• ولأبي الحسين بن أبي البغل

بَعِدَتْ ديارُكَ غيرَ أني موجعٌ ... والهمُّ منى في الحشا مُتدانى

فاذهبْ فقد عُمرتْ بشخصك حفرةٌ فصلتْ على مُتشامخ البنيانِ

ولئنْ صبرتُ فاصبرتُ تسلّياً ... لكنَّ ذاكَ غايةُ الوهْلانِ

مساوى ماقيل فى المراثى

القاسم بن عبيد الله عند موته

فلا تأمننَّ الدهرَ انى أمنتهُ ... فلمْ يُبقِ لى حالاً ولم يَرعَ لى حقّا

قتلتُ صناديدَ الرجالِ فلم أدعْ ... عدوًّا ولم أتركْ على ظهرها خلقا

وأخليتُ دارَ الملكِ من كلِّ بارعٍ ... فشتتهمْ غرباً وشردتهمْ شرقا

فلما بلغتُ النجمَ عزًّا ورفعةً ... وصارتْ رقابُ الخلقِ أجمعَ لى رِقّا

رَمانى الردى سهماً فأخمدَ جمرَتي ... فها أنا ذا فى حُفرتي ميّتاً ألقى

ولم يُغنِ عنى ماجمعتُ ولم أجدْ ... لدى قابضِ الأرواحِ فى فعلهِ رِفقا

ولبعضهم فى القاسم بن عبيد الله

خرجتَ منَ الدنيا ذميماً الى القبرِ ... فلا أحدٌ يأسى ولا عبرةٌ تجرى

وترتَ رسولَ الله فى أهلِ بيتهِ ... فكيفَ رأيتَ الله طالَبَ بالوترِ

•• الجاحظ قال مررت بقبرَين مكتوب على أحدهما أنا ابن سافك الدماء وعلى الآخر أنا

ابن ساجن الريح فسألت عنهما فقيل كان أحدهما حجاما والآخر حداداً .. قال الكسروي مررت بناووس فى الرى فاذا عليه مكتوب

وما نارٌ بمحرقةٍ جواداً وان كان الجوادُ من المجوسِ

ورأيت على ناووس ذكر انه ناووس مهيار بن مهفيروز

أيا ميتاً قد كانَ فى أهل دينهِ مكانَ بنانِ الرمح لما تقدّما
لقد كنتُ أرجو الدهرَ أن يُسعِف النوى وأرجو المنايا أن توافيكَ مُسلما
فانْ بخستْ آمالنا فيكَ ضلّةً فقد عشتَ فى الدنيا حميداً مكرّماً
وعوفيتَ من غمّ التراب فيالها سعادةَ جدٍّ ما أجلّ وأعظما

محاسن ما قيل فى الشيب

قال دخل منصور النميرى على الرشيد فأنشده

ما كنتُ أوفى شبابى كُنهَ عزّته حتى مضى فاذا الدنيا لهُ تَبَعُ

فبكى الرشيد وقال يانميرى لاخير فى دنيا لايخطر فيها بحلاوة الشباب ويستمتع بأيامه وأنشد

ولوَ انّ الشيبَ رُزْءٌ حلّ بى وقتَ مااستحققتُ شيباً لم أُبَلْ
بَلْ أتاني والصّبَي يرمقُني مثلَ مايأتى الكبيرَ المكتهِلْ

.. وأنشد

حسَرَتْ عنيَ القناعَ ظَلُومُ وتولّتْ ودمعُها مسجومُ
أنكرَتْ مارأتْ برأسى فقالتْ أمشيبٌ أمْ لؤلؤٌ منظومُ
قلتُ شيبٌ وليسَ عيباً فأنّتْ أنّةً يستثيرُها المهمومُ
واكتستْ لونَ مرْطِها ثم قالتْ هكذا من تولّدتهُ الهمومُ
إنّ أمراً جَنَى عليكَ مشيبَ الرأ سِ فى جمعهِ لأمرٌ عظيمُ
شدّ ماأنكرَتْ تصرّفَ دهرٍ لم يُداومْ وأيُّ شيءٍ يدومُ

لابن المعتز

لما رأتْ شيباً يَلوحُ بعارضي ... صدّتْ صدُودَ مغاضبٍ متحمّلِ
نظرَتْ اليَّ بعين مَنْ لم يَعْدِلِ ... لمّا تمكّنَ طرْفها منْ مقتلي
مازِلْتُ أطلُبُ وصلَها بتذللٍ ... والشيبُ يغمُزُها بأنْ لاتفعلي

ولابن المعتزّ أيضاً فى الشيب

قالتْ وقدْ راعها مشيبي ... كنتَ ابنَ عمٍّ فصرْتَ عمّاً
واستهزأتْ بي فقلتُ أيضاً ... قدْ كنتِ بنتاً فصِرْتِ أمّاً
كُفّي ولا تكثرى مَلامي ... ولا تزيدي العليلَ سُقمَا
منْ شابَ أبْصرَتْهُ الغواني ... بعينِ منْ قدْ عمى وصَمّا
لو قيلَ لى اخترْ عمىً وشيباً ... أيّهما شئتَ قلتُ أعمى

•• ولآخر

رأتْ طالعاً للشيبِ أغفلتُ أمرَهُ ... ولم تتعهّدْه أكُفُّ الخواضب
فقالتْ أشيباً ماأرَى قلتُ شامةٌ ... فقالتْ لقدشانتْكَ بين الحبائبِ

•• ولآخر

شكوْتُ من الشيبِ حتى ضَجِرْ ... تُ فدَبَّ الى عارضى واشتعلْ
وسوَّدَ وجهي فسوَّدْتهُ ... فعلتُ به مثلَ ماقدْ فعلْ

•• ولآخر

اذا راقهُنّ خدِينُ الشبابِ ... عطَفْنَ كما تعطفُ الوالدَهْ
وانْ هُنَّ عايَنّ ذا شيبَة ... فيالكِ منْ مُقلٍ زاهدَهْ
فويحَ الشبابِ وويحَ المشيبِ ... عدُوّانِ دارُها واحدَهْ

لابن المعتزّ

صَرّحَتْ بالجفاء أمُّ حُبابِ ... حينَ باشرْتُها ببعضِ الخِطابِ
قالتْ لم ذا وقدْ رأيتُكِ حيناً ... لاتملّينَ عِشرَتي وعتابي
قالتِ الشيبُ قد أتاكَ فأقصِرْ ... عنْ عتابي فاستَ من أصحابي

فتملّتْ بالخضاب لأحظي عندها ساعةً بلَونِ الخضاب
فرأتهُ فأعرضتْ ثم قالتْ سترُ سَوْءٍ على خرابٍ يَبابِ

ولابن المعتزّ أيضاً

رفعَتْ طرْفَها اليَّ عبوسا واستثارتْ من المآقي الرّسيسا
ورأتنى أسرّجُ العاج بالعا ج فظلّتْ تستحسنُ الأبنوسا
ليسَ شيبي اذا تأمّلتِ شيباً إنما الشيبُ ماأشابَ النفوسا

•• وله أيضاً

ضحكَتْ إذْ رأتْ مَشيبيَ قد لا حَ وقالتْ قد قُضّضَ الأبنوسُ
قلتُ انّ الشبابَ فيَّ لَباقٍ بعدُ قالتْ هذا شبابٌ لبيسُ

•• قال استقبل يونس النحوى عدواً له وهو يتهادى فى مشيه ويقارب خطوه فقال يايونس بلغتَ ماأرى فقال هذا الذي كنت آمله فقد بلغته فلا بلغتـه فاستحسن ابن الزياتِ قوله فجعله شعراً وقال

وعائبٍ عابَني بشيبٍ لم يَعْدُ لما أَلَمّ وقتَهُ
فقلتُ اذ عابَني بشيبٍ ياعائبَ الشيبِ لأبلغتَهْ

•• ولغيره

انّ المشيبَ رداءُ الحلمِ والأدبِ كما الشبابُ رداءُ الجهل واللعبِ
تعجّبتْ إذْ رأتْ شيبي فقلتُ لها لاتعجبي من يطُلْ عمرٌ به يَشِبِ
فينا لكُنّ وانْ شيبٌ بدا أربٌ وليسَ فيكُنّ بعدالشيبِ من أَرَبِ
شيبُ الرجالِ لهمْ عزٌّ ومكرُمةٌ وشيبكنّ لكُنّ الذلُّ فاكتئبي

•• ولآخر

الشيبُ فى رأس الفتى حِلْمٌ به والشيبُ فى رأس الفتاةِ قبيحُ
والخالُ فى خدّ الفتى عيبٌ به والخالُ فى خدّ الفتاةِ مليحُ

محاسن الورع

محمد بن الحسين عن ابى همام وكان يخدم ضيغماً قال كنت معه فى طريق مكة فلما صرنا فى الرمل نظر الى ماتاقى الابل من شدة الحر فبكى فقلت له لو دعوت الله ان يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال ان شاء ربى فعل فوالله ماكان الا ان تكلم حتى نشأت سحابةٌ وهطلت ٠٠ وعن عطاء ان أبا مسلم الخولانى خرج الى السوق بدرهم يشترى لأهله دقيقاً فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له آخر فأعطاه الباقى وأتى الى النجارين فملأ مزوده من نشارة الخشب وأتى به منزله وخرج هارباً من أهله فأخذت المرأة المزود فاذا دقيق حوّارى فعجنته وخبزت فلما جاء قال من أين هذا قالت الدقيق الذى جئت به ٠٠ وعن أبي عبد الله القرشي عن رجل قال دخلت بئر زمزم فاذا أنا بشخص ينزع الدلو مما يلى الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لوز لم أر سويق لوز أطيب منه فلما كانت القابلة فى ذلك الوقت دخل الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو وشرب وأرسل الدلو فأخذته وشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أشرب شيئاً قط أطيب منه فأردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتني فلما كان فى السنة الثالثة قعدتُ قُبالة زمزم فلما كان في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فدخل فأخذت طرف ثوبه فلما شرب من الدلو وأرسلها قلت ياهذا أسألك بربّ هذه البنيّة من أنت قال تكتم عليّ حتى أموت قلت نعم قال أنا سفيان وهو الثوري فتناولتُ فضلته فاذا هو ماء مضروب بالسكر الطبرزد لم أر قط أطيب منه فكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها من الوقت لاأجد جوعا ولا عطشاً ٠٠ وقال الأصمعي رأيت اعرابياً يكدح جبينه بالأرض يريد ان يجعل سجّادة فقلت ماتصنع قال انى وجدتها نعم الأثر في وجه الرجل الصالح ٠٠ ومما قيل من الشعر من هذا الفنّ منهم بشّار حيث يقول

كيف يشكى لمحبسٍ فى طلولٍ　　من سيقضى ليوم حبسٍ طويلِ

انّ في البعثِ والحسابِ لَشُغلاً عنْ وُقوفهِ برسم دارٍ محيلِ

ولمحمد بن بشير

ويلٌ لمن لم يرحمِ اللهُ ومنْ تكونُ النارُ مثواهُ
ياحَسْرَتا في كلّ يومٍ أتى يُذكِّرني الموتَ وأنساهُ
كأنهُ قد قيلَ في مجلسٍ قد كنتُ آتيهِ وأغشاهُ
صارَ البشيريُّ الى ربه يَرْحمنا اللهُ وإيّاهُ

•• ولجرير

انّ الشقيّ الذى في النار منزلهُ والفوز فَوْزُ الذى ينجو من النار
يارَبّ قد أسرَفَتْ نفسي وقد علمتْ علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري
فاغفرْ ذنوباً إلهي قد أحطتَ بها ربّ العبادِ وزحزِحْني عن النار

ولذي الرمة بيت

فانْ تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ والاّ فاني لا إخالكَ ناجياً

•• ولآخر

أستغفرُ اللهَ مما يعلمُ اللهُ إنّ الشقيّ لمَنْ لم يَرْحمِ اللهُ
هَبْهُ تجاوَزَ لي عنْ كلّ سيئةٍ واسوأتا منْ حيائي يومَ ألقاهُ

ولاسماعيل بن القاسم

تَعصي الالهَ وأنتَ تُظهرُ حبهُ هذا مُحالٌ في القياسِ بديعُ
لو كانَ حُبكَ صادقاً لأطعتَهُ انّ المحبّ لمنْ يُحبُّ مُطيعُ

•• ولآخر

أيا عجباً كيفَ يَعصي الالـ ـهَ أمْ كيف يجحدُهُ الجاحدُ
وفي كل شيءٍ لهُ قدرَةٌ تدُلُّ على أنهُ واحدُ
ولله في كلّ تحريكةٍ وتَسكينةٍ أبداً شاهدُ

ولأبي نواس الحسن بن هانيء

سُبحانَ منْ خلقَ الخلـ ـقَ منْ ضعيفٍ مَهينِ

يَسوقُهمْ منْ قَرارٍ الى قَرارٍ تَمكين
يحورُ خلقاً فخلقاً في الحُجبِ دُونَ العيون
حتى بدَتْ حركاتٌ مخلوقةٌ من سُكونِ

•• ولآخر

أخي مابالُ قلبكَ ليسَ يشقى كأنكَ لاتظُنُ الموتَ حقّاً
ألا يابنَ الذينَ مضوا وبادُوا أما والله ماذهبوا لتبقى
وما لكَ غيرُ تقوَى الله زادٌ اذا جعلتْ الي اللّهواتِ ترقي

•• ولآخر

ياقلبُ مهلاً وكُنْ على حذرٍ فقدْ لعمري أُمرتَ بالحذرِ
مالكَ بالترّهاتِ مشتغلاً أفي يديكَ الأمانُ منْ سَقَرِ

•• ولآخر

إنْ كنتَ توقنُ بالقيامةِ واجترأت الي الخطيّة
فلقد هلكتَ وإن جحدتَ فذاكَ أعظمُ للبليّة

•• ولآخر

وأفنيةُ الملوكِ محجّباتٌ وبابُ اللهِ مبذولُ الفناء
فمن أرجو سواهُ لكشفِ ضرٍّ وبلوَى حين أجهدُ في الدعاء
وشكوائي الى ملكٍ عظيم جليل لا يصمُّ عن الدعاء

مساوى من لم يتورع

ابن أبي العرجاء قال أراد موسى بن داود بن على بن عبد الله بن العباس الخروج الي الحج فدعا بأبي دلامة فقال له تهيأ حتي تخرج معنا وأعطاه عشرة آلاف درهم وقال خلّف لعيالك مايكفيهم وانما أراد موسى أن يأنس به في طريقه ويحدثه بنوادره ومُلَحه ويسامره بالليل والنهار وينشده الأشعار وكان أبو دلامة يفي بذلك كله مع ظرفٍ كان فيه

ولطف وكان من أبزار الملوك فلما حضر خروج موسى هرب الى السواد بالكوفة فجعل يشرب من خمرها ويتمتع فى نزهتها وقد سأل عنه موسى فقيل له استتر فطلبه تحت كل حجر فلم يقدر عليه فخاف أن يفوته الحج فلما أيس منه قال اتركوه الى نار الله وحر سقره وخرج فلما شارف القادسية نظر الى أبي دلامة قد خرج من قرية يريد أخرى فبصروا به وأتوه به فقال قيدوه وألقوه فى المحمل ففعل به ذلك وأنشأ يقول

يامعشر الناس قولوا أجمعين معاً ... صلى الاله على موسى بن داود

أما أبوك فعين الجود نعرفه ... وأنت أشبه خلق الله بالجود

نبئت أن طريق الحج معطشة ... من العلاء وماشربي بتصريد

والله مابي من خير فتطلبه ... في المسلمين ولا ديني بمحمود

كأن ديباجتي خديه من ذهب ... إذا تكسر فى أثوابه السود

إنى أعوذ بداود وتربته ... من أن أحج بكره يابن داود

فقال موسي ألقوه من المحمل عليه لعنة الله ودعوه يذهب الي سقر الله فألقى عن المحمل ومضي موسى لوجهه فما زال أبو دلامة بالسواد يشرب من خمرها ويتمتع فى نزهتها حتى أتلف العشرة الآلاف لدرهم مع اخوانه وندمائه وانصرف موسى فدخل عليه أبو دلامة يهنئه فلما بصر به قال يامحارف أتدرى ما فاتك قال والله يا سيدى ما فاتني ليل ولا نهار يعنى اللهو والقصف ثم أنشده مديحاً له فيه فاستحسنه وأمر له بجائزة •• قيل وكان جندى بقزوين يصلي فى بعض المساجد فافتقده المؤذن أياما فقرع عليه الباب فخرج اليه فقال له المؤذن أبو من قال أبو الجحيم قال بس رد يا هذا الباب •• قال وقيل للقينى ما أيسر ذنبك قال ليلة الدير قيل وما ليلة الدير قال نزلت بديرانية فأكلت عندها طفيشلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت •• قال وأتى خمسة من الفتيان قرية فنزلوا على باب خان فقام أحدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا أتدلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم قالوا نحن أربعة فأومأ الذي يصلى بيده سبحان الله انى أنا الخامس •• ما قيل فيه من الشعر •• بشار

وإني فى الصلاة أحضرها ... ضحكة أهل الصلاة إن شهدوا

أقعدُ في سجدةٍ اذا ركعوا | وأرفعُ الرأس انهُمُ سجدوا
أسجدُ والقومُ راكعونَ معاً | وأسرعُ الوثبَ انْ هُمُ قعدوا
فلستُ أدري إذا إمامُهـمُ | سَلَّمَ كم كانَ ذلك العددُ

ولآخر

لَمَ الفتى لو كانَ يعرفُ ربّهُ | ويُقيمُ وقتَ صلاتهِ حمادُ
عدلَتْ مشافرُهُ الدِّنانَ وأنفُه | مِثلُ القدوم يسنهُ الحدّادُ
وابيضَّ من شربِ المدامةِ وجهُهُ | فبياضُهُ يومَ الحسابِ سوادُ

.. آخر

إن قرأ العاديات في رجبٍ | فليسَ يأتي بها إلى رجبِ
بل هو لا يستطيعُ في سنةٍ | يختمُ تبَّتْ يدا أبي لهبِ

محاسن صفة الدنيا

قال عليّ بن أبي طالب الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مسجد أنبياء الله ومَهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببَينها ونادت بفراقها ونعت نفسها فشوّقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فيا أيها الذامّ للدنيا والمتعلل بتغريرها متى غرّتك أبمصارع آبائك في البلَى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى كم عللت بكفيك وكم مرّضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهـم الدواء لم ينفعهم تطابك ذلك ولم يشفهم دواؤك مثّلت لك الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لاينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك أحباؤك ثم وقف على أهل القبور فقال يا أهل الثروة والعز ان الأزواج بعدكم قد نُكِحت والأموال قد قُسمت والدور قد سُكنت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى أصحابه فقال أما والله لو أُذن لهم لقالوا ان خير الزاد التقوى .. وفى خبر إن عاياً وقف على المقابر ثم قال اعتبروا يا أهل الديار التى نطق بالخراب فِناؤها وشيد فى التراب بناؤها فمحلّها مقترب

وساكنها مغترب لايتزاورون تزوار الاخوان ولا يتواصلون تواصلَ الجيران قد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى ثم قال ان الأزواج بعدكم قد نُكحت الى آخر الخبر

مساوى صفة الدنيا

قال الحسن البصرى بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة فقلت من أنت فقالت من بنات ملوك غسان قلت فمن أين طعامك قالت اذا كان آخر النهار فى كل يوم تجيئنى امرأة متزينة فتضع بين يدىّ كوزاً من ماء ورغيفين قلت لها أتعرفين المرأة قالت اللهم لا قلتُ هذه الدنيا خَدَمتِ ربك جل وعزّ فبعث اليك بالدنيا تخدمَتك على رغم أنفها •• وزعموا ان زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لحاجبه ما هذا قال دَير حُرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليهـا لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها كلمي الأمير فقالت أُوجز أم أُطيل قال بل أوجزى قالت كنا أهل بيتٍ طلعت الشمس وما على الأرض أعز منا فما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا قال فأمر لهـا بأوساقٍ من شعير فقالت أطعمتــك يدٌ شبعى جاعت ولا أطعمتك يدٌ جوعى شبعت فسُر زياد بكلامها وقال لشاعر قيد هذا الكلام لا يدرس فقال

سَل الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْماً ولا تسَلْ فتىً ذاقَ طعمَ الخير مُنذُ قريبِ

وفى مثل هذا قولُ أعرابىٍّ وقد دعا لرجل بره مسّتك يد أصابت فقراً بعد غنىً ولا مستك يدٌ أصابت غنى بعد فقر •• ويقال ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حُرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها ما يُبكيك فقالت مامن دارٍ امتلأت سروراً الا امتلأت ثُبوراً ثم قالت

فبينا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نتقسَّمُ

•• وقالت

فأُفٍّ لدُنيا لا يَدومُ نعيمُها وأُفٌّ لعيشٍ لايزال يُهعَّمُ

قال وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة وعقد لك المنن فى أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك السبب لردها عليه ٠٠ قال وقال عبد الملك بن مروان لسلمة بن زيد الفهمي أيّ الزمان أدركت أفضل وأى الملوك فقال أما الملوك فلم أر الا ذاماً أو حامداً وأما الزمان فيضع قوماً ويرفع آخرين وكلهم يذم زمانه لأنه يبلى جديدهم ويطوى أعمارهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الا الأمل قال فاخبرنى عن فهم قال هم كما قال الشاعر

دَرَجَ الليلُ والنهارُ على فَهـــــم بن عمرو فأصبحوا كالرَّميم
وخلَتْ دارُهم فأضحتْ يَبَاباً بعدَ عزٍّ وثروةٍ ونعيمِ
وكذلك الزمانُ يذهبُ بالنا سِ وتبقى ديارُهم كالرسومِ

قال فمن يقول منكم

رأيتُ الناسَ مُذْ خُلِقوا وكانوا يُحبونَ الغنيَّ من الرجالِ
وانْ كانَ الغنيُّ أقلَّ خيراً بخيلاً بالقليـل من النوالِ
فما أدري علام وفيم هـذا وما ذا يرتجونَ من البخالِ
ألِلدُّنيا فليسَ هناكَ دنيـا ولا يُرجَى لحادثةِ الليـالى

قال أنا وقد كتمتها ٠ قال ولما دخل عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه المدائن نظر الى إيوان كسرى فأنشده بعض من حضره قول الأسود بن يعفر

ماذا أؤمل بعد آلِ محرّقٍ تركوا منازلَهـم وبعدَ إيادِ
أهلِ الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ والقصرِ ذى الشُّرُفاتِ من سندادِ
نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ ماءُ الفراتِ يسيلُ من أطوادِ
أرضٌ تخيّرها لطيبِ مقيلِهـا كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمِّ دُؤادِ
جرتِ الرياحُ على محلِ ديارِهمْ فكأنما كانوا على ميعـادِ
فأرى النعيمَ وكلَّ ما يُلهى به يوماً يصيـرُ الى بِلىً ونفادِ

فقال عليّ رضي الله عنه أبلغ من ذلك قول الله جلّ وعزّ (كم تركوا من جنات وعيون وزروعٍ ومقامٍ كريم ونعمةٍ كانوا فيها فاكهينَ كذلك وأورثناها قوماً آخرين)

•• وقال عبد الله بن المعتز أهل الدنيا كصورة فى صحيفة كلما نشر بعضها طوى بعضها •• وقال أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام •• وقال بعضهم طلاق الدنيا مهر الجنة •• وذكر اعرابى الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب لا تمتعك بصاحب •• وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله جل وعز انه لا يُعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها •• وقيل اذا أقبلت الدنيا على امرئٍ أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه

محاسن ما قيل فيه من الشعر

قال الأصمعى ووجد فى قبة لسليمان بن داود عليه السلام مكتوب

وَمَن يَحمَدِ الدنيا لشيءٍ يَنالُهُ ... فسوفَ لَعمرى عن قليلٍ يَلومُها
إذا أدبَرَت كانت على الناسِ حسرةً ... وان أقبلت كانت كثيراً همومُها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد

نُرَقِّعُ دنيانا بتمزيقِ ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

وقال أبو العتاهية

يا مَن ترفَّعَ بالدنيا وزينتها ... ليس الترفعُ رفعَ الطينِ بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ القومِ كلهمِ ... فانظرْ إلى ملكٍ فى زيِّ مسكينِ

•• ولآخر

هَبِ الدُّنيا تُساقُ اليكَ عفواً ... أليسَ مصيرُ ذاك الى الزوالِ
فما ترجو بشيءٍ ليس يبقى ... وشيكاً ما تُغيِّرُهُ الليالي

محمود الوراق

هيَ الدنيا فلا يغرركَ منها ... مخايلُ تستفزُّ ذوى العقولِ
أقلُّ قليلِها يكفيكَ منها ... ولكنْ ليس تقنعُ بالقليلِ
تُشيدُ وتبتني فى كلِّ يومٍ ... وأنتَ على التجهزِ والرحيلِ

وَمَنْ هذا الذي تبقى عليها مَضاربُهُ بمدرَجةِ السُّيولِ

•• ولآخر

أيا دُنيا حسرتِ لنا قناعاً وكانَ جَمالُ وجهِكِ في النِّقابِ
ودارْ طالَ ماحُجِبتْ وعزَّتْ فأصبحَ إذنها سَهلَ الحجابِ
وقد كانتْ لها الأيامُ ذَلَّتْ فقد قُرِنَتْ بأيامٍ صِعابِ
كأنَّ العيشَ فيها كانَ ظِلَّا يُقلِّبهُ الزمانُ الى ذَهابِ

•• آخر

دُنيا تَدَاوَلها العبادُ ذَميمةٌ شِيبَتْ بأكْرَهَ من نَقيعِ الحنظَلِ
ونَباتُ دُنيا لاتَزالُ مُلِمَّةً منها فجائعُ مثلَ وقعِ الجَندَلِ

•• ولآخر بيت

حتى مَتى أنتَ في دُنياكَ مُشتغلٌ وعاملُ الله بالرحمنِ مشغولُ

أبو نواس

دَعِ الحِرْصَ على الدنيا وفي العيشِ فلا تَطْمَعْ
ولا تَجمعْ منَ المالِ فما تَدرى لمنْ تَجمَعْ
ولا تَدْرى أفي أرضِكَ أمْ في غيرِها تُصْرَعْ

•• قال وقال الأصمعي قال أبو عمرو بن العلاء بينا أنا أدور في بعض البوادى اذا أنا بصوت

وانَّ امرأ دُنياهُ أكبَرُ همِّهِ لَمُستَمْسِكٌ منها بحبلِ غُرُورِ

•• قال فنقشته على خاتمي •• قال وسمع يحيي بن خالد البرمكي بيت العدوى في صفة الدنيا حيث يقول

حُتوفُها رَصَد وعيشها نَكَدٌ وشِرْبُها رَنَقٌ ومُلكُها دُوَلُ

فقال لقد انتظم في هذا البيت صفة الدنيا •• قيل وسمع المأمون بيت أبي نواس

اذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ لهُ عنْ عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

فقال لو سُئلت الدنيا عن نفسها لما وصفت كما وصفها به أبو نواس •• وقال أبو حازم

الدنيا طالبة ومطلوبة وطالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه .. قال وقيل للحسن البصرى ماتقول في الدنيا فقال ماعسى أن أقول فيها وحلالها حساب، وحرامها عذاب فقيل ماسمعنا كلاماً أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدىّ بن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح حيطانها فكتب اليه حصّنها بالعدل ونَقّ طرقها من الظلم

محاسن معرفة الاوائل

حدثنا زيد بن أخزم قال حدثنا عبد الصمد عن سعيد عن المغيرة قال سمعت سِماك ابن سَلِمة يقول أول من خطّ بالقلم ادريس عليه السلام وهو أول من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود. وأول قرية بُنيت فى الأرض قرية تسمّى ثمانين ابتناها نوح عليه السلام . وأول من عمل الصابون سليمان بن داود عليه السلام. وأول من باع فيمن يزيد حلساً وقدحا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام . وأول من خبز له الرقاق نمرود بن كنعان لعنه الله. وأول من حكم في الخنثى عامر بن الظرب العدوانى . وأول من خضب بالسواد عبد المطلب بن هاشم . وأول من سنّ الديَةَ من الابل أبو سيّارة العدوانى وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام. وأول من خلع نعله لدخول الكعبة الوليد بن المغيرة نخلع الناس نعالهم فى الاسلام وهو أول من قضي بالقسامة فى الجاهلية فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام وهو أول من حرّم الخمر على نفسه فى الجاهلية فأقرّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام وهو أول من قطع في السرقة فى الجاهلية فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام. وأول من سُلّم عليه بالامرة المغيرة بن شعبة . وأول من أرّخ الكتب وختم على الطين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وأول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من أهل الانبار فانتشر من الانبار فى الناس . وأول

من مشت الرجال معه وهو راكب الأشعث بن قيس • وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد معاوية بن أبى سفيان وذلك انه بصر كلبا على منبره • وأول من لبس الخفاف وثياب الكتان زياد بن أبى سفيان • وأول من لبس الطيالسان جبير بن مُطعم • وأول من لبس الخزّ الطاروني عبد الله بن عامر فقال الناس لبس الأمير جلد دُبّ • وأول من نقش على الدراهم عبد الملك بن مروان وهو أول من سُمى عبد الملك وأول من ابتنى مدينة فى الاسلام الحجاج بن يوسف بني مدينة واسط وهو أول من قعد على سرير فى حرب وأول من اتخذ المحامل فقال فيه حُميد الأرقط

أخزَى الالهُ عاجلاً وآجلاً   أوّلَ عبدٍ عملَ المحامِلاَ

* عبدَ ثُقَيفٍ ذاكَ أزْلاً آزِلاَ *

وهو أول من علّق له الجيش ونقل له التاج • وأول من أطعم على ألف مائدة على كل مائدة عشرة رجل وأجاز بألف ألف درهم ولبس الدراريع السود المختارُ بن أبى عبيد • وأول من حذا النعال جذيمة الأبرش وهو أول من وضع المنجنيق ورفعت له الشموع ونادَم الفرقدين • وأول من حدا رجل من مُضر • وأول رأس حُمل من بلد إلى بلدٍ رأس عمرو بن الحمِق الخزاعى • وأول من حُمل له النعش زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب نعم خباء الظعينة • وأول من قطع نهر بلخ سعيد بن عثمان بن عفّان وأول من ضرب بسيفه باب قسطنطينية وأذّن فى بلاد الروم عبد الله بن كاب من بني عامر بن صعصعة وكان مع مسلمة بن عبد الملك فأراد قيصر قتله فقال والله لئن قتلتنى لا نبقى بيعةٌ فى بلدان الاسلام الا هُدِمت فكفّ عنه • وأول من جمّع جمعة مصعب بن عُمير جمّعهم بالمدينة وكانوا اثنى عشر رجلا •• وروى أبو هلال عن أبى حمزة قال أول من رأينا بالبصرة يتوضأ بالماء عبيد الله ابن أبي بكرة فقلنا انظروا الى هذا الشيخ يلوط استه أى يستنجي بالماء • وأول مولودٍ ولد فى الاسلام عبد الله بن الزبير • وأول من رشى في الاسلام المغيرة بن شُعبة • وأول رامٍ رمي فى الاسلام سعد بن أبي وقاص • وأول قاض قضي أبو قرّة الكندى • وأول من اتخذ الجمّارات أمّ جعفر

مساوي الاوائل

أول من اتخذ العود رجل يقال له لمك ولد له على كبر سنه ابن فأصيب به واشتد وجده عليه فعمد الى عود واتخذ كهيأة الصبي شبه صدر العود بالفخذ وابريقه بالقدم والملاوى بالأصابع والأوتار بالعروق ثم ضرب به وكانت له ابنة يقال لها ملاهى وهى أول من اتخذت المعازف والطبول . وأول من عمل الطنابير قوم لوط كانوا يستميلون بها الغلمان المرد وأما الزمر وشبهه فللرعاء والاكراد . وكان أول من غنى من العرب جذيمة ابن سعد الخزاعي وذلك بعد جرادتي عاد . وكان من أحسن الناس صوتاً فسمي المصطلق فغنى بالركبانية . ويقال ان أول من غنى باليمن رجل من حمير يقال له عنبس . وأول من غنى بالحرمين طُوَيس وأول امرأة قطعت يدها فى الاسلام فى السرق بنت سفيان ابن عبد الأسد من بني مخزوم قطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها ومن الرجل الخيار بن عدي بن نوفل

محاسن الدلائل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ان المؤمن اذا أتت عليه ستون سنة أحبه أهل السماء والأرض واذا أتت عليه سبعون سنة كتبت حسناته ومحيت سيئاته واذا أتت عليه ثمانون سنة غفر له ما تقدم من ذنبه واذا أتت عليه تسعون سنة شفع فى أهل بيته وأهله واذا أتت عليه مائة سنة كتب اسمه عند الله عز وجل أسير الله فى أرضه .. وقال عمرو بن العاص يثغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة سنة ويتم خلقه لاحدى وعشرين ويجتمع عقله لثمان وعشرين وما بعد ذلك فتجارب .. وقال وهشابور يستحب من الربيع الزهرة ومن الخريف الخصب ومن الغريب الانقباض ومن القارئ البيان ومن الغلام الكياسة ومن الجارية الملاحة

ومنه باب آخر

قيل اذا جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا ظهر الربا ظهر الفقر والمسكنة واذا خفرت الذمة أديل العدو •• وعن ابن عباس قال اذا رأيتم السيوف قد أعريت و لدماء قد أريقت فاعلموا ان حكم الله جل وعز قد ضيع وانتقم من بعضهم ببعض واذا رأيتم الرياء قد فشا فاعلموا أن الربا قد فشا واذا منع القطر فاعلموا أن الناس قد منعوا ما عندهم من الزكاة فمنع الله جل وعز ما عنده

محاسن المشورة

كان يقال اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله جل وعز فى أمره ما يحب •• وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء لحق النعمة •• وقيل اذا استشرتَ فانصح واذاقدرتَ فاصفح •• وقال آخر من وعظ أخاه سرًّا زانَه ومن وعظه علانية شانَه •• وقال آخر لاعتصام بالمشورة نجاة •• وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره •• وقال آخر اذا أراد الله بعبد هلاكاً أهلكه برأيه •• وقال آخران المشورة تقوّم اعوجاج الرأى وقال اياك ومشورة النساء فان رأيهن الى الأفن وعزمهن الى الوهن •• وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بين العباس ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه مباعدة فلقيت علياً رحمه الله فقلت له ان كان لك فى النظر الى عمك حاجة فأته وما أراك تلقاه فرجم لها ثم قال تقدمنى فتقدمته فأذن له فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وأقبل علىّ على يده ورجله يقبلهما ويقول ياعم ارض عنى رضى الله عنك قال قد رضيت عنك ثم قال يا بن أخى قد كنت أشرت عليك بأشياء فلم تقبلها منى فرأيتَ فى عاقبتها ما كرهت وها أنا أشير عليك برأى آخر فان قبلته والا نالك ما نالك فقال وما الذى كنت أشرت به ياعمّ قال أشرتُ عليك لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسأله فان كان الأمر فينا أعطاناه وان كان فى غيرنا أوصى

بنا فقلتَ ان مَنعناه لم يُعطنا أحدٌ بعده فمضت تلك فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك الى ان نبايعك فقلت ابسط حتى نبايعك فانا ان بايعناك لم يختلف عليك مَنافيٌّ وان بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشيٌّ وان بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب فقلتَ في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شُغلٌ وليس عليٌّ فوت فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة فقلتَ ماهذا يا عمّ فقلت هذا مادعوناك اليه فأبيته قلت سبحان الله ويكون هذا قلت وهل رُدَّ مثل هذا ثم أشرت عليك حين طُعن عمر رحمه الله أن لاتدخل نفسك في الشورى فانك ان اعتزلتهم قدّموك وان ساويتهم تقدّموك فدخلت معهم فكان مارأيت وها أنا أقول لك الآن أرى هذا الرجل يعنى عثمان بن عفّان رحمه الله يأخذ فى أمورٍ ولكأنى بالعرب قد سارت اليه حتى يُنحر كما يُنحر الجزور والله لئن كان ذاك وأنت بالمدينة ليرمينّك الناس بدمه ولئن فعلوا لاتنال من هذا الأمر شيئاً الا بشر لاخير معه قال ابن عباس فلما قتل عثمان رضى الله عنه خرج عليٌّ وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عن يمينه وابن القارئ عن يساره وكان من أمر طلحة والزبير ماكان وقتل طلحة عشيّة ذلك اليوم وأنا أرى الكراهية فى وجه عليٌّ رضى الله عنه فقال أما والله لقد كنت أكره ان أرى قريشاً صَرْعي تحت بطون الكواكب ولكن نظرت الى مابين لدّفتين فلم أرَ يسعُنى الا قتالهم أو الكفر ولئن كان قال هؤلاء ماسمعت في طلحة لقد كان كما قال أخو جعفى

فتىً كانَ يُدنيهِ الغِنى من صَدِيقِهِ ... اذا ماهوَ استغنى ويُبعدُهُ الفقرُ

ورحم الله عمّى فكأنما يطلع الى الغيب من سترٍ رقيق صدق والله مامات من هذا الامر شيئاً الا بعد شرٌّ لاخير معه .. قال وقال ابن عباس لعليٌّ رضي الله عنه أجعلنى السفير بينك وبين معاوية في الحكمين فوالله لأفتلن له حبلا لاينقطع وسطه ولا ينتشر طرفاه قال على رحمه الله لستُ من كيدك وكيد معاوية في شئ والله لاأعطيه الا السيف حتى يدخل فى الحق قال ابن عباس وهو والله لايعطيك الا السيف حتى يغلب بباطله حقك قال على رضى الله عنه وكيف ذلك قال لأنك تُطاع اليوم وتعصى غداً

وانه يطاع فلا يُعصى فلما انتشر على عليّ رضي الله عنه أصحابه وابن عباس بالبصرة فقال لله ابن عباس انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق •• ومثله خبر عمر بن الخطّاب رضى الله عنه عنه حين قال لأصحابه دُلوني على رجل استعمله على أمر قد أهمّني قالوا فلان قال لاحاجة لنا فيه قالوا فمن تريد قال أُريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا مانعرف هذه الصفة الا فى الربيع بن زياد الحارثيّ قال صدقتم فولاّه •• ومنه خبر صاحب الأمين فانه حكى انه كان بمدينة السلام شيخ من الكُتّاب مُسِنٌّ قد اعتزل الأمور وكان يوصف بجودة الرأى فدعاه محمد الأمين وشاوره فى أمر أخيه المأمون وما ينبغي ان يعامله به حتى يقع فى يده فقال ان استعجلت لم تنتفع بفعل ولا رأى وان تمهّلتَ وقبلت مشورتى تمكنت من أخيك وذاك انك تدعو بحجاج خُراسان اذا قدموا مدينة السلام وتجلس مجلساً حافلا وتقول لهم ان أخي كتب اليّ يحمدكم ويذكر سمعكم وطاعتكم وجميل مذاهبكم وتجزيهم الخير ثم تقول قد أسقطتُ عنكم خراج سنة ويبقى أخوك فى بلد رجال بلا مال وليس له فى نقض قولك حيلة وسيناله من ذلك خلل شديد حتى ينتقض أكثر أمره ثم تفعل مثل ذلك فى السنة المقبلة وترفع عنهم خراج سنتين فان لم يأتوك بأخيك فى وثاق وكنتُ حيًّا فاضرب عنقى فلم يقبل الأمين ذاك للأمر المقدور والقضاء السابق وعجل الي خلع المأمون فى عقد الأمر لابنه حتى كان ماكان وليس يبلغ في الملك والدولة خاصّة مبلغ الرأى لان الرأى لايحتاج الى السلاح والسلاح يحتاج أهله الى الرأى والا كانت عدتهم عليهم ضرراً اذا لم يصيبوا في استعمالها وجه الرأى

—— * * * * * * * ——

مساوى من يستشير

قال بعض أهل العلم لو لم يكن فى المشورة الا الاستحقار من صاحبها لك وظهور فقرك اليه لوجب اطِّراح ماتفيده المشورة وإلقاء ماتُكسبه الانسان وما استشرت أحداً قط الا كبر عندى واصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فاياك والمشورة وان

ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ القادح فان صاحبها أبداً مستذَل مستضعَف وعليك بالاستبداد فان صاحبها أبداً جليل في العيون مهيبٌ في الصدور ولن تزل كذلك ما استغنيت عن العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع شأنك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة اليهم وقد قيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل •• وممن اقتصر على رأيه دون المشاورة أبو جعفر المنصور فانه لما حدث من أمر ابراهيم ومحمد ابنيْ عبد الله بن الحسن ما حدث أمسك المنصور عن المشاورة واستبدّ برأيه وأقبل على السهر والخلوة ولم يذكر أمرها لأحد من أهله وخاصّته وكان تحته مصلّى قد تمزّق لُحمَتُهُ وسَداهُ وكان جلوسه ومبيته عليه فلم يغيره وعليه جُبةٌ خزٍّ دكناء قد درِن جيبها فلم يغيرها حتى ظفر وكان يقول في تلك الحال اياك والمشورة فان عثرتها لا تُستقال وزلّتها لا تُستدرك فكم قد رأيت من نصيح عاد نصحه غشاً •• ومنهم الرشيد فانه يُحكي عنه انه بعث ذات ليلة الى جعفر بن يحيى انى قد سهرت فوجّه اليَّ بعض سُمّارك فوجّه اليه بسميرٍ له كوفيّ فسامره ليلته فلما ان رجع سأله جعفر عن خبره فقال سامرته ليلتي كلها فأنشدته فما رأيته استحلى الا بيتين من شعر أنشدتهما اياه فانه أُولع بهما وما زال يأمرني بتكريرهما عليه حتى حفظهما فقال جعفر وما هما قال

ليتَ هنداً أنجزَتنَا ماتَعِدْ وشفَتْ أنفُسَنَا ممـا نَجِدْ
واستبدَّتْ مرَّةً واحـدةً انما العاجزُ منْ لا يستبدْ

فقال له جعفر أهلكتني والله وأهلكت نفسك قال وكيف ذاك قال انه كان يرى أن لاغنى به عني وعن مشورتي ولم يكرّر البيتين الا وقد عزم علي ترك مُشاورتي والاستبداد بالرأي فقتله بعد حول وقال الشاعر في مثله

بديهتُهُ وفكرتهُ سـواء اذا مانابهُ الخطبُ الكبيرُ
وأحزمُ مايكونُ الدهرَ رأياً اذا عَميَ المشاوِرُ والمشيرُ
وصدرٌ فيه للهمَمِ اتّساعٌ اذا ضاقتْ بما فيها الصدُورُ

ومنهم الشعبي فانه ذكر انه كان صديقاً لابن أبي مسلم كاتب الحجاج وانه لما قُدم به على

الحجاج لفيه فقال له أشرْ عليّ فقال ماأرى بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار عليه بذلك جميع أصحابه قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت أصلح الله الأمير ان الناس قد أمروني ان اعتذر بغير مايعلم الله انه الحق وأيمُ الله لاأقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرصنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البرَرة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله مافعلت وما شهدت أنت آمن ياشعبي فقلت أيها الأمير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفاً فقال صدقت فانصرف فانصرفت

محاسن كتمان السر

قال كان المنصور يقول الملوك تحتمل كل شيءٍ من أصحابهم الا ثلاثاً افشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك وكان يقول سرّك من دمك فانظر من تملكه وكان يقول سرك لايطلع عليه غيرك أن من أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم ٠٠ وقيل لأبي مسلم صاحب الدولة بأي شيءٍ أدركت هذا الامر فقال ارتديت بالكتمان واتّزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت ظني وحزت حد بغيتي وأنشد

أدْركْتُ بالحزمِ والكِتمانِ ماعجَزَتْ عنهُ ملوكُ بني مرْوانَ اذْ حَشَدُوا
مازِلتُ أسعى عليهِمْ في ديارِهمُ والقومُ في غفلَةٍ بالشام قد رقدُوا
حتى ضربتُهمُ بالسيفِ فانتبهوا من نَوْمةٍ لم يَنمها قبلهُمْ أحدُ
ومنْ رَعى غنماً في أرض مَسْبَعَةٍ ونامَ عنها تولّى رَعْيَها الأسدُ

قال وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه جنّبني خصالا أربعاً لاتطريني في وجهي ولا تجرين عليّ كذبةً ولا تغتابنّ عندي أحداً ولاتفشينّ لي سراً ٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود

وأنشد المنقرى فى ذلك

النجمُ أقربُ منْ سِرٍّ اذا اشتملتْ ... منى على السرّ أضلاعٌ وأحشاء

•• وقال غيره

ونفسكَ فاحفظها ولا تفش للورى ... منَ السرّ ما يُطوى عليه ضميرُها

فما يحفظُ المكتوم منْ سرّ أهله ... اذا عقدُ الأسرار ضاعَ كثيرُها

من القوم الاّ ذو عفافٍ يُعينهُ ... على ذاك منه صدقُ نفسٍ وخيرُها

قال وقال معاوية بن أبي سفيان أُعِنْتُ على علي رضي الله عنه فى أربع خصال كان رجلا ظُهَرَةً عُلَنَةً أي لا يكتم سراً وكنت كتوما لأسرى وكان لا يسعى حتي يفاجئه الأمر مفاجأةً وكنت أبادر الى ذلك وكان فى أخبث جندٍ وأشدهم خلافا وكنت في أطوع جندٍ وأقلهم خلافاً وكنت أحب الي قريش منه فلت ماشئت من جامع الحيّ ومفرق عنه •• وكان يقال لكاتم سره من كتمانه احدي خصلتين وفضيلتين الظفر بحاجته والسلامة من شره من أحسن فليحمد الله وله المنّةُ عليه ومن أساء فليستغفر الله جلّ وعزّ وله الحجة عليه •• وقال بعضهم كتمانك سرّك يعقبك السلامة وافشاؤك سرّك يعقبك التبعةُ والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه •• وقال بعضهم ماأقبح بالانسان أن يخاف على مافي يده اللصوص فيخفيه ثم يمكن عدوّه من نفسه بافشاء سره اليه واظهار مافى قلبه له أو ان يظهره على سر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومنّ من لا يستقيم له •• وكان معاوية يقول ماأفشيت سرى الى أحد الا أعقبنى طول الندم وشدة الأسف ولا أودعته جوانح صدرى فحطمته بين أضلاعي الاّ أكسبنى ذلك مجداً وذكراً وسناء ورفعة فقيل له ولا ابن العاص فقال ولا ابن العاص وكان يقول ما كنت كاتمهُ من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك •• وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضعْ أمر أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوءًا اذا كنت واجداً لها فى الخير مذهباً وما كافأت من عصى الله فيك بأكثر من ان تطيع الله جل ذكره فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء

•• وحدّث ابراهيم بن عيسى قال ذاكرت المنصور ذات يوم أمر أبي مسلم وصونه لذلك السر حتى فعل مافعله فقال

تقسّمني أمران لم أقتحمهما بحزمٍ ولم تنزّ كهما لي الكراكرُ
وماساورَ الأحشاءَ مثلُ دفينةٍ من الهمّ ردّتها اليكَ المقادرُ
وقد علمتْ أفناء عدنان أنني لدى ماعراً مقدامةٌ متجاسرُ

•• وقال غيره

صُن السرّ بالكتمان يرضك غبّهُ فقد يُظهرُ السرّ المضيعُ فيندَمُ
ولا تُفشينْ سرًّا الى غيرِ أهله فيظهر خرقُ السرّ من حيث يُكتم
ومازلتُ في الكتمانِ حتى كأنني برجعِ جواب السائلي عنك أعجمُ
لأسلمَ من قول الوشاةِ وتسلمي سلمتِ وهل حيٌّ على الناس يسلَمُ

•• ولآخر

أمِنّي تخافُ انتشارَ الحديث وحظّيَ في ستره أوفرُ
ولو لم أصنهُ لِبُقيا عليكَ لَظَرْتُ لنفسي كما تنظُرُ

•• ولآخر

لساني كتومٌ لأسراركمْ ودمعي نمومٌ لسرّي مُذيعُ
فلولا الدموعُ كتمتُ الهوى ولولا الهوى لم تكنْ لي دموعُ

•• آخر

اذا أنتَ لم تحفظْ لنفسكَ سرّها فسرُّكَ عندَ الناس أفشى وأضيعُ

أبو نواس

لا تُفشِ أسراركَ للناسِ وداوِ أحزانكَ بالكاسِ
فانّ إبليسَ على مابهِ أرأفُ بالناسِ من الناسِ

•• وقال المبرّد أحسن ماسمعت في حفظ السر ماروى لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

فلا تُفشِ سرّكَ الااليكَ فانّ لكلّ نصيحٍ نصيحا

فانى رأيتُ بغاةَ الرّجا ... لِ لايتركونَ أديماً صحيحاً

•• وقال العتبيّ

ولى صاحبٌ سرّى المكتّمُ عندَه ... محاريقُ نيرانٍ بليلٍ تحرّقُ
عطفتُ على أسراره فكسوتُها ... ثياباً من الكتمانِ ماتتخرّقُ
فمن تكنِ الأسرارُ تطفو بصدرِه ... فأسرارُ نفسى بالأحاديث تغرقُ
فلا تودعنّ الدهرَ سرّكَ جاهلاً ... فانك ان أودعتَهُ منهُ أحمقُ
وحسبكَ فى سترِ الأحاديث واعظاً ... من القولِ ماقالَ الأديبُ الموفّقُ
اذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرّ نفسه ... فصدرُ الذى يستودَعُ السرّ أضيقُ

•• آخر

ولرُبّما اكتتمَ الوقورُ فصرّحتْ ... حركاتُهُ للناسِ عنْ كتمانِهِ
ولرّبما رُزِقَ الفتى بسكوتِهِ ... ولرُبما حُرِمَ الفتى ببيانِهِ

•• آخر

لايكتمُ السرّ الا كلّ ذى خطرٍ ... والسرُّ عندَ كرامِ الناسِ مكتومُ
والسرُّ عندى في بيتٍ لهُ غَلَقٌ ... قدضاعَ مفتاحهُ والبيتُ مردومُ

قال ودخل أبو العتاهية على المهدى وقد ذاع شعره في عتبة فقال ماأحسنت فى حبك ولا أجملت فى اذاعة سرك فقال أبو العتاهية

منْ كانَ يزعُمُ أنْ سيكتمُ حبّهُ ... أو يستطيعُ السترَ فهو كذوبُ
واذا بدا سِرُّ اللبيبِ فانهُ ... لم يبدُ الاّ والفتى مغلوبُ
الحبُّ أغلبُ للرجالِ بقهرِهِ ... منْ أنْ يُرَى للسرّ فيه نصيبُ
اني لأحسُدُ ذاهوى مستحفظاً ... لم تتّهِمْهُ أعينٌ وقلوبُ

فاستحسن المهدى شعره وقال قد عذرناك في اذاعة سرك ووصلناك على حسن عذرك على ان كتمان ذلك أحسن من اذاعته •• وقال المهلب بن أبى صفرة ماضاقت صدور الرجال عن شئ كما ضاقت عن السر •• وقال زياد لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد أبدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس موضع السر الا

أحد رجلين رجل آخريٌّ يرجو ثواب الله ورجل دُنياويٌّ له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان في هذا الدهر

محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفي مقتل الرجل بين فكّيه يعني لسانه •• وقال الشاعر

رأيتُ اللّسانَ على أهلِهِ اذا ساسَهُ الجهلُ ليثاً مُغارا

ومنه قول أكثم رُبَّ قولٍ أشدّ من صولٍ وقوله لكل ساقطةٍ لاقطةٌ الساقطة من الكلام له لاقطة من الناس •• وقال المهلّب لبنيه اتّقوا زَلة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزلّ لسانه فيكون فيه هلاكه •• وقال يونس بن عبيد ليست خلّة من خلال الخير تكون في الرجل هي أحرى ان تكون جامعةً لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان •• وقال قسامة بن زهير يامعشر الناس ان كلامكم أعثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر •• وقال الجاحظ جرى بين شهرام المروزى وبين أبي مسلم كلامٌ فما زال أبو مسلم يقاوله الى ان قال شهرام ياالقيط فصمتَ أبو مسلم وندم شهرام فما زال مقبلاً عليه معتذراً وخاضعاً متنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان وما جرأك غيرى بطول احتمالي فان كنت متعمداً للذنب فقد شاركتك فيه وان كنت مغلوباً فالعذر سبقك وقد غفرنا لك على كل حال فقال شهرام أيها الأمير عفو مثلك لايكون غروراً قال أجَلْ قال فان عظم ذنبي لايدع قلبي أن يسكن ولجّ في الاعتذار فقال أبو مسلم ياعجباً كنت تسيء وأنا أحسن فاذا أحسنت أسيء •• وشتم رجل المهلّب فلم يُجبه فقيل له حلمت عنه فقال لم أعرف مساويَهُ فكرهت ان أبهته بما ليس فيه •• سلمة بن القاسم عن الزبير قال حملتُ الى المتوكل فأدخلت عليه فقال ياعبد الله الزم أبا عبدالله يعني المعتزّ حتى تعلمه من فقه المدنيين فأدخلت الى حجرة فاذا أنا بالمعتزّ قد أتى وفي رجله نعلٌ من ذهب فعثر حتى دميت رجله فأتي بأبريق من ذهب وطست من ذهب

وجعل يغسل ذلك الدم وهو يقول

يُصابُ الفتى منْ عثرةٍ بلسانهِ وليس يُصابُ المرءُ من عثرةِ الرجْلِ
وعثرَتهُ من فيهِ ترمي برأسهِ وعثرَتهُ في الرجْلِ تَبرا على مَهْلِ

فقلتُ في نفسي ضَمِنْتُ الي من أريد أن أتعلّم منه .. وكان يقال ينبغي للعاقل ان يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه .. وقيل من لم يحفظ لسانه فقد سلّطه على هلاكه .. وقال الشاعر

عليكَ حفظَ اللّسانِ مجتهداً فانْ جُلَّ الهلاكِ في زَلّلِه

.. ولآخر

وجُرْحُ السيفِ تُدْمِلُهُ فيَبْرا وجُرْحُ الدهرِ ماجرَحَ اللّسانُ
جِراحاتُ الطِّعانِ لها الْتئامٌ ولا يَلْتامُ ماجرَحَ اللّسانُ

.. ولآخر

* وجُرْحُ اللّسانِ كجرْحِ اليَدِ *

.. ولآخر

وجُرْحُ السيفِ يأسُوهُ المُداوى وجُرْحُ القَوْلِ طُولَ الدهرِ دَامى

مساوى جناية اللسان

أحمد بن ابراهيم الهاشمي قال لما عفا أبو العباس السفّاح عن سليمان بن هشام بن عبد الملك وعن ابنيه قرّبهم وأدناهم وبسطهم حتى كانوا يسمرون عنده بالليل وكان سليمان اذا دخل ثُنيت له وسادة وكذلك لابنيه وربما طُرِحت لهم نمارق ونصبت لهم كراسى فانهم عنده ذات ليلة أو ذات يوم اذ دخل اليه أبو غسّان الحاجب فقال ياأمير المؤمنين بالباب رجل متلثّم أناخ راحلته وقال استاذنْ لى على أمير المؤمنين فقلت ضع عنك ثياب سفرك فقال لاأحط رحلى ولا أسفر عمى حتى أنظر الى وجه أميرالمؤمنين فقال أبو العباس فهل سألته من هو قال قد فعلت فذكر انه سُدَيفٌ مولاك فقال

سُدَيف سديف إِئْذَنْ له فدخل رجــل أحمّ طويل يتثنّي عليه مَمْطَر خَزّ ومعـه مِحجن يتوكأ عليه فلما نظر الى أبي العباس ســفر عن وجهه ثم سلّم ودنا وقبّلَ يده ثم انصرف الى خلفه فقام مقام مثله وأنشده

أَصبحَ المُلكُ ثابتَ الأساسِ ... بالبَهاليل مِنْ بَني العبّاسِ
لا تُقيلَنّ عبدَ شَمْسٍ عِثاراً ... واقطعنْ كلّ رَقْلَةٍ وغِراسِ
ولقــد ساءنى وساء سِــوائي ... قُربهمْ منْ نمارقٍ وكراسى
أَنزِلوها بحيثُ أَنزَلها اللّــــهُ بدارِ الهوانِ والإِتعاسِ
واذكروا مصرعَ الحسينِ وزيدٍ ... وقتيـلاً بجانبِ المِهْراسِ
والقتيـلَ الذى بحَرّانَ أمسى ... ثاوِياً بين غُربةٍ وتناسى
نِعْمَ شِبْلُ الهِراش مولاكَ لولا ... أَوَدٌ منْ حبائل الإفــلاسِ

فقام سليمان بن هشام فقال ياأمير المؤمنين ان مولاك هــذا مثلَ بين يديك يبعثك على قتلى وقتل ابني ويحــدوك على طلب ثارك منا وقد بلغــنى انك تريد اغتيالى فقال أبو العباس والله ماكان عزمي ان أقتلك ولا أن أسي بك ولا أطالبك بشيء مما طالبتُ به أهــل بيتــك فاما اذ قد وقع فى خَلَدِك اني أغتالك فياجاهــل من يحول بيني وبين قتلك حتى أغتالك ثم أمر بقتله وقتل ابنيه فقال سليمان لقاتله بن الجهم انك قد أُمرت بأمر لابد لك من انفاذه وحاجتى اليك ان تقــدّم ابنيَّ حتى أحتسبهما ففعل وخرج سديف وقد وصله أبوالعباس بخمسة آلاف دينار وهو يقول قد قرّت العينان واشتفت فللّه الحمد والشكر •• وحكي عن شيرويه بن ابرويز أن رجلا من الرعية وقف له يوما وقد خرج من الميدان فقال الحمد لله الذى قتل ابرويز على يدك وملّكك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبرِيّتهِ وعُتوّه وبخله ونكده فانه كان يأخــذ بالاحنةِ ويقتل بالظن ويخيفُ البريّ ويعمل بالهوى فقال شــيرويه لبعض حُجّابه إحمله اليّ فحمل فقال له كم كانت أرزاقك فى حياة ابرويز قال كنت فى كفاية من العيش قال فكم رزقك اليوم قال مازيد فى رزقى شئ قال فهل وترك ابرويز فانتصرت منــه بما سمعت من كلامك قال لا قال فما دعاك الى الوقوع فيه ولم يقطع عنك مادّة رزقك ولا وترك

فى نفسك وما للعامّة والوقوع فى الملوك وهم رعية وأمر أن ينزع لسانه من قفاه وقال حق مايقال الخرس خير من البيان بما لايجب •• وقال بعض الشعراء فى مثله

يا ليتَ أني لا أموتُ بغُصَّتي حتى أرى رَجلاً يقولُ فيصدُقُ

إحفظ لسانك لا تقولُ فتُبتلى انّ البلاء موكلٌ بالمنطقِ

•• ولآخر

لعَمْرُكَ ماشيٌ علمتُ مكانهُ أحقُّ بسجنٍ من لسانٍ مُذَلّلِ

على فيكَ مما ليسَ يَعنيكَ قولهُ بقُفْلٍ شديدٍ حيثُ ماكنتَ فاقفِلِ

•• ولآخر

اذا الأمرُ أعيَى اليومَ فانظر به غداً لعلّ عسيراً فى غدٍ يتيسّرُ

ولا تُبْدِ قولاً من لسانكَ لم يَرُضْ مواقعهُ من قبلِ ذاكَ التفكر

ولا تصْرِمَنْ حبلَ امرئٍ فى رضى امرئٍ فيتّصلا يوماً وحبلك أبترُ

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كفّ الرجل الشجاع بأعزّ من الصدق والصدق عزٌ وان كان فيه ماتكره والكذب ذُلٌ وان كان فيه ماتحب ومن عُرِف بالكذب أتّهم فى الصدق •• وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجوْر •• وقال ابن السمّاك ماأحسبني أُوجر على ترك الكذب لاني أتركه أنفة •• وقال الشعبي عليك بالصدق حيث ترى انه يضرّك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرّك •• وعن أسماء بنت أبى بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصلح الكذب الا فى ثلاث كذب الرجل لأهله ليُرضيها واصلاح بين الناس وكذبٌ في حرب •• وقال بعض الحكماء الصدق عزّ والكذب خضوع •• وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لقد كان حقيقاً بذلك فكيف وفيه المأثم والعار •• ومن المعروفين بالصدق

أبو ذرّ الغفاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ماأظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبي ذرّ •• ومنهم العباس بن عبد المطلب حدثنا الحكم بن عيسى عن الأعمش عن الشعبي قال اطّلع العباس على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل عليه السلام فقال له جبريل عليه السلام هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله جلّ وعزّ يأمرك ان تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عبد الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فأخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك مما تبسمت وان شئت ان تقول فقلْ قال بل تعلمني يارسول الله قال لأنك لم تحلف يميناً فى جاهلية ولا اسلام برّةً ولا فاجرةً ولم تقل لسائل لا قال والذي بعثك بالحق ماتبسمت الا لذلك •• ومنهم على بن أبي طالب رضى الله عنه قال يوم النهروان لأصحابه شدّوا عليهم فوالله لايقتلون عشرةً ولا ينجو منهم عشرةٌ فشدوا عليهم فوالله ماقتل من أصحابه تمام عشرة ولا نجا منهم تمام عشرة ثم قال اطلبوا ذا الثُّدَيَّةِ فطلبوه فقالوا لم نجده فقال والله ماكذبت قط ولا كُذِّبت والله لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يُقتَلُ مع شرّ جيلٍ يقتلهم خير جيل ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبها فسار حتى وقف على قليب فيه قتلى فقال اقلبوا القتلى واطلبوه بينهم فاذا هو سابعُ سبعة فلما أخرجه قال الله أكبر لولا أن تتكلوا فتتركوا العمل لأخبرتكم بما جعل الله جل وعزّ لمن قتلهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم •• ومن الأخبار فى مثله قيل دخل هشام بن عروة على المنصور فقال له ياأبا المنذر أتذكر حيث دخلت عليك أنا وأخى مع أبى الخلائف وأنت تشرب سويقاً بقصبة يراعٍ فلما خرجنا من عندك قال أبى استوصوا بالشيخ خيراً واعرفوا حقه فلا يزال فى قومكم بقية مابقى قال ماأثبت ذاك ياأمير المؤمنين فلامه بعض أهله وقالوا يذكّرك أمير المؤمنين مايمتّ به اليك وتقول له لاأذكره فقال لم أذكره ولم يعوّدنى الله فى الصدق الا خيراً •• قال قدم زياد على معاوية فلما طال بهم المجلس حدّثه زياد بحديث فقال له معاوية كذبت فقال مهلاً ياأمير المؤمنين فوالله ماحلّت للكلام حبوة الا على بيعة الصدق ولم أكذب وحياة الكذب عندي موت المروءة فاستحيا معاوية

وقال يغفر الله لك يا أخي فكأني أرى بك حرب بن أمية في جميل شيمه وكرم أخلاقه •• قال وكان الفضل بن الربيع يخاطب الرشيد فقال له الرشيد كذبت فقال يا أمير المؤمنين وجه الكذاب لا يقابل وجهك ولسانه لا يقابل جوابك

محاسن الكذب

روى عن المغيرة بن ابراهيم قال لم يرخّص لأحد فى الكذب الا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى عند امرأة من قريش وديعة فان أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكذب كذبة فلعلّى أن أستلّ وديعتى قال فرخّص له فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيراً فى أيديهم يأتمرون فيه قائل يقول يُقتل وقائل يقول لا بل يبعث الى قومه فيكون ذلك مِنّةً فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويؤنسون العباس عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وسلم منه والعباس يُريهم التجلد وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس فقال ويحك ما الذى أخبرت به فأعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر واستنكح صفيّة بنت حُيىّ بن أخطب وقتل أباها وزوجها وقال له اكتم علىّ اليوم وغداً حتى أمضى ففعل ذلك فلما مضى أخبرهم العباس بالذى أخبره فكُبتوا •• وروى ان رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أستسرّ بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهنّ أحببت تركته لك سرّا فقال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزنا فقال يسألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدتُ نقضتُ ماجعلته له وان أقررت حُددت فلم يزْن ثم همّ بالسرقة وبشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام تركتهنّ أجمعَ •• ومن مُلَح الكذب قيل انه كان بين يحيى بن خالد البرمكى وبين عبد الله بن مالك الخزاعى عداوةٌ وتحاسُد وكان كل واحد منهما ينتظر لصاحبه الدوائر فلما ولى عبد الله بن مالك اذربيجان وأرمينية ضاق برجل من

الدهاقين بالعراق الأمرُ وتعذّرت عليه المطالب فحمل نفسه على ان افتعل كتابا على لسان يحيي بن خالد الى عبد الله بن مالك بالوصاة به وأكّد بمعاونته كل التأكيد ولم يعلم مابينهما من التباعد فشخص من مدينة السلام الى أذربيجان وصار الى باب عبد الله ابن مالك بالكتاب فأوصله الحاجب فقال له عبد الله أدْخِلْ صاحب هذا الكتاب فأدخله فقال له عبد الله ان كتابك هذا مفتعل ولكنك قد تجشّمتَ هذه الشقة البعيدة ولسنا نخيبك فقال الرجل أما كتابي فليس بمفتعل وان كنت انما تقصد بهذه التهمة لتصرفني فالله جلّ وعزّ حسبي وعليه أتوكل فقال عبد الله أفترى ان تحبس فى دار وتزاح علّتك الى أن أكتب وأستطلع الرأى وأعرف نبأ هذا الكتاب فان كان مزوّراً عاقبتك وان كان صحيحاً خيّرتكَ بين الصلات والولايات فأيها اخترت سوّغتكه قال نعم فأمر عبد الله بحبسه وازاحة علّته وكتب الي وكيله بالعراق ان رجلا يسمي فلان بن فلان أورد عليّ كتاباً من أبى عليّ يحيي بن خالد البرمكي فتعرّف لى أمر هذا الكتاب واكتب اليّ بالحال فيه فصار الوكيل بكتاب عبد الله الى يحيي بن خالد فقرأه عليه فدعا بالدواة وكتب اليه بخطّه فلان من أخصّ من يليني وأوجبهم حقاً وقد أخبرنى صاحبك بشكك فى أمره فأزِلْ جعاتُ فداك الشكّ وليكن صرفهُ اليّ معجلا بما يشبهك فلما خرج الوكيل قال يحيي لأصحابه ماتقولون فى رجل افتعل عليّ كتاباً الى عبد الله بن مالك وصل به من مدينة السلام الى أذربيجان فقالوا جميعاً نرى ان تفضحه وتكشف ستره وتمان أمره ليرتدع به غيره ويصير نكالا وأحدوثة للعالمين قال لا والله وهذا رأيكم قالوا نعم فقال قبح الله هذا من رأي فما أقله وأنذله ويحكم هذا رجل ضاق به الرزق فأمل فيّ خيراً ووثق بى وشخص الي أذربيجان مع بُعد شقتها وصعوبة طريقها أتشيرون عليّ ان أحرمه ماأمّله فيّ حتي يسوء ظنه بى وقد عرفتم قدر عبد الله وحاله عند أمير المؤمنين وانى لم أكن أحتال لهذه المنزلة الاّ بالخطير من المال أفتريدون أن أرد الأمر بينى وبينه بعد الالفة الواقعة الى الحشمة هذا والله النكد طول الأبد وغاية الضعف ونهاية أسباب الانتكاس ثم أخبرهم بما كتب به الى عبد الله فتعجبوا من كرمه واحتماله الكذب وورد الكتاب بخطه على

عبد الله فدعا بالرجل وقد سقط في يده لاعتراض سوء الظنّ بقلبه فلما دخل عليه قال هذا كتاب أخي قد ورد عليّ بصحة أمرك وسألني تعجيل صرفك اليه فدعا له بمائتي الف درهم وبما يتبعهما من الدوابّ والبغال والجواري والغلمان والخلع وسائر الآلة ثم أصدره فلما حضر باب يحيى بن خالد أدخل ذلك أجمع اليه وعرضه عليه وأمر له يحيى بمثل ذلك وأثبته في خاصته .. قيل وكان رجال من أهل المدينة من فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم يوماً فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الآداب لو أتيت العراق فلعلك كنت تصيب شيئاً فقال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها قالوا نحن نحتال لك فجهزوه وقدم بغداد وطلب الاتصال بعليّ بن يقطين ابن موسى وشكا اليـه الحاجة فقال ما عندك من الأدب قال ليس عندي من الآداب شيء غير اني أكذب الكذبة فأخيّل الي من سمعها اني صادق وكان ظريفاً مليحاً فأعجب به وعرض عليـه مالا فأبى أن يقبله وقال لست أريد منك الا أن تسهل إذني وتُدني مجلسي قال ذاك لك فكان من أقرب الناس اليـه مجلساً حتى عُرِفَ بذلك وكان المهديّ غضب على رجل من القوّاد حتى استصفى ماله فكان يختلف الى عليّ بن يقطين رجاء أن يكلم له المهديّ وكان يرى قرب المدنيّ منه ومكانه فأتى المدنيّ القائدَ عشاء وقال له ما البشرى فقال لك البشرى وحُكمك قال قد أرسلني اليك عليّ بن يقطين وهو يقرئك السلام ويقول قد كلمتُ أمير المؤمنين في أمرك ورضيَ عنك وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك بالغدو عليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بألف دينار وثياب وكسوة وحُملان ودفعها اليه وغدا على عليّ مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له عليّ وما ذاك فقال أخبرني أبو فلان وهو الى جنبه بكلامك لأمير المؤمنـين في أمري ورضاه عني فالتفت الى المدنيّ فقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع لتشرناه فضحك عليّ وقال عليّ بدابّتي فركب الي المهدي وحدثه بالحديث فضحك المهدي وقال لعليّ فانا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليـه ماله فأجر عليّ المدني رزقاً واسـعاً واستوص به خيراً فأجرى عليه ووصله وكان يُعرف بكذاب الخليفة .. قال وكتب عبد الملك بن مروان الى عمر بن محمد صاحب اليمامة أن اخطبْ على الشعراء

بنت شبيب بن عَوَانة الطائيــة وهو يومئذ فى بادية له ومعه عدة من أصحابه فأرسل اليه عمر ان أمير المؤمنين كتب الى أن اخطب عليه الشقراء ابنتك فأحضر فارسل اليه فقال مالنا اليكم حاجة فان كانت لأمير المؤمنين الينا حاجة فليأت أو يرسل رسولا فقال عمر سيروا بنا اليــه فسار فى جماعة من وجوه البلقاء قال فدفعنا الى أعرابيّ بفناء خيمته فسلمنا فرد الســلام وتكلم عمر فقال الاعرابيّ أرسول أمير المؤمنين أنت قال نعم قال فانا قد زوّجناه على صداق نسائنا مائة من الابل وما يتبعها من الثياب والخــدم فقلت نعم ثم جاءنا بثلاث جِفان من كسور خبز ولبن فأكلنا ثم انصرفنا فكتبت الى عبدالملك ابن مروان فأرسل اليــه بمائة من الابل وعشرة آلاف درهم وما يتبع ذلك من الطيب والخدم والأثاث فجهزها ثم حملها الى عبد الملك وما معها من ذلك شئ الا البعير الذى ركبته ومعها نسوة من بنات عمّها فلما وافت عبــد الملك أمر فأدخلت الى دارٍ فأقامت أياماً ثم ان عبــد الملك بنى بها فكان كثيراً ما يقول ما رأيت مثل هذه الأعرابية ظرْفاً وخُلُقاً ومنطقاً فاشتد ذلك على عاتكة بنت يزيد بن معاوية فأرسلت الى روح بن زِنباع وكان من أخص الناس بعبد الملك فقالت ياأبا زُرعة قد علمت رأى أمير المؤمنين معاوية كان فيك ورأي يزيد من بعده وان أمير المؤمنين قد أعجبه أمر هذه الاعرابية وغلبت على قلبه فشأنك فى افساد ذلك عنده قال نعم ونعمةَ عينٍ ثم خلا بعبد الملك فقال يا أمير المؤمنين كيف ترى الاعرابية قال قد جمعت ما جمع النساء الحاضرة والبادية قال يا أمير المؤمنين انك من الاعرابية كما قال الأول

وإذا تَسُرُّك من تميم خَلّةٌ فلما يسوءك من تميمٍ أكثرُ

فقال له لا تقلْ ذلك قال كأنك بها قد حالت الى غير ما هي عليه فكثر ذلك منه ثم ان عبد الملك دخل عليها فقال ياشقراء أعلمتِ ان روحاً قال لى كذا وكذا قالت ولم ذاك وحال عشيرتى وعشيرته كما تعلم قال هو على ماقلت لك وان أحببت أسمعتُكِ ذلك منه فقالت قد أحببت فأمرها أن تجلس خلف الستر وأرسل الى روح فلما دخل عليه قال هيه يا أبا زرعة والله لقد وقع كلامك مني موقعاً قال نعم يا أمير المؤمنين ان الاعرابية تنكث كانتكاث الحبل ثم لا تدري ما أنت عليه منها فعجلت ورفعت الستر وقالت أنت

فلا حياك الله ولا وصل رحمك قد كان يبلغني هذا عنك فما كنتُ أصدّق فوثب روح وقال يا هـذه ان هذا أرسل اليّ فأعلمني انك خلف الستر وعزم عليّ أن أتكلم بهذا فلم أجد بداً من أن أبرّ عزيمتـه وأما أنت فلا يسوءك الله قالت صدق والله ابن عمي وأنت الذي حملته على ما قال فقال عبد الملك ويلك يا شقراء لا تقبلي منه قالت هو عندي أصدق منك وجعل روح يقول وهو مولٍّ هو والله الحق كما أقول فخرج ووقع الكلام بينهما ٠٠ وقال خالد بن صفوان دخلت على أبي العباس وهو خالي المجلس فقلت يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تأمر بحفظ الستر لألقي اليك شيئاً أنصحك به أو قال فيه فأمر بذلك فقلت يا أمير المؤمنين فكرت في هذا الأمر الذي ساقه الله اليك ومنّ به عليك فرأيتك أبعد الناس من لذاته وأتعب الخلق فيه قال وكيف ذاك ياخالد قلت باقتصارك من الدنيا على امرأة واحدة وتركك البيضاء المشتهاة لبياضها والخضرة التي تراد لخضرتها والسمينة المشتهاة لوطائها وذكرت الرشيقة الرخيمة والجعدة السبطة فقال يا خالد هذا أمرٌ مامرّ بسمعي فاستأذن في الانصراف فأذن له وخرجت اليه أم سلمة وهو ينكت بالقلم على دواة بين يديه فقالت يا أمير المؤمنين أراك مفكراً إنتقض عليك عدوٌّ قال كلاّ ولكن كلام ألقاه اليّ خالد بن صـفوان فيه نصيحتي وشرح ذلك لها قالت فما قلت لابن الزانية قال ينصحني وتشتمينه فقامت عنه وبعثت الى مائة من مواليها فقالت لهذا اليوم اتخذتكم وأعددتكم إمضوا الى خالد بن صفوان فحيث وجدتم خالدا فاهوُوا الى أعضائه عضواً عضواً فرُضوها فطُلبتُ ومررت بقوم أحدثهم اذ أقبل القوم فدخلت في جملتهم ولجأت الى دار ووقعت البغلة فرضوها بالأعمدة وبقيتُ لا تظلني سماء ولا تقلّني أرض فاني جالس ذات يوم اذ هجـم عليّ قوم فقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت ولا أملك من نفسي شيئاً حتى دخلت عليه وهو في ذلك المجلس وأنا أسمع حركةً من وراء الستر فقلت أمّ سلمة والله فقال ياخالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت في علة لي ثم قال الكلام الذي كنت ألقيته اليّ في بعض الأيام أعده عليّ قلت نعم ياأمير المؤمنين ان العرب اشتقت اسم الضرّ من الضرتين وان الضرائر شر الذخائر والاماء آفة المنازل ولم يجمع رجلٌ بين امرأتين الاّ كان بين جرتين تُحرقه واحدة بنارها وتلحقه الاخرى بشرارها قال ليس هذا هو

قلت بلى قال فكر قلت نعم يا أمير المؤمنين وأخبرتك ان الثلاث اذا اجتمعن كن كالأثافى المحرقة وان الأربع يتغايرن فلا يصبرن ويتعالين فلا يهون وان أعطين لم يرضين قال لاوالله ما هو هذا قلت يا أمير المؤمنين وأخبرتك ان الأربع هَمٌّ ونَصَب وضجر وصَخَبٌ انما صاحبهن بين حاجة تطلب وبلية تترقب ان خلا بواحدة منهن خاف شر الباقيات وان آثرها كن له أعدى من الحيات وأخبرتك ان الجواري رجال لاخُصَى لهنّ وخُرُقٌ لا حياة معهن قال لا والله ما هو هذا قلتُ بلى انّ بني مخزوم ريحانة العرب وكنانة بيت قريش وعندك ريحانة الرياحين وسيدة نساء العالمين وحدثتنى انك تهم بالتزوج فقلت لك هيهات تضرب فى حديدٍ بارد ليس ذلك بكائن آخرَ الزمان المعاين قال ويلك أتستعمل الكذب قلت فمع السيوف لعب قال فاذهب فانك أكذب العرب قلت فأيهما أصلح أكذبُ أم تقتلنى أم سلمة فاستلقى ضاحكا وقال اخرج قبحك الله وارتفع الضحك من وراء الستر وانصرفت الى منزلى فاذا خادم لأم سلمة ومعه خمس بدر وخمس تخوت وقال الزم ما ستغناه منك ●● قال الأصمعى قال الخليل بن سهل يا أبا سعيد أعلمت ان طول رمح رُستم كان سبعين ذراعاً من حديد مصمّت فى غلظ الراقود قال فقلت هاهنا أعرابي له معرفة فاذهب بنا اليه نحدثه بهذا فذهبت به الى الاعرابى فقال له ذلك فقال الاعرابى قد سمعنا بهذا وقد بلغنا ان رستم هذا واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائماً ورأسه فى حجر أمه فقالت لهما ما شأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعاً من كلامهما فنفخهما فألقاهما الى إصفهان فقبورهما اليوم بها فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك فقال يابن أخي ماييننا شيء الا وهو دون الراقود ●● قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوماً الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال أحدهم نحن كما قال الله عز وجل ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾

ومن ذم الكذب

قيل انه وجد فى كُتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول

وفاء ولا لبخيل صديق ٠٠ وقال قتيبة بن مسلم لبنيه لا تطلبوا الحوائج من كذوب فانه يقرّبها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقايةً لها ولا من أحمق فانه يريد نفعك فيضرك ٠٠ وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ٠٠ وقال كفاك موبّخاً على الكذب علمك بانك كاذب ٠٠ وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبتُ قط فقال أما هذه فواحدة ٠٠ وفي المثل هو أكذب من أسير السند وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب وذلك انه يتزوج في الغربة وهو ابن سبعين سنة فيظن انه ابن أربعين سنة ٠٠ وقيل هو أكذب من مسيلمة ٠٠ ومما قيل في ذلك من الشعر

حَسْبُ الكذوبِ من البليـــةِ بعضُ ما يحكى عليه
ما انْ سَمِعْتَ بكِــذْبةٍ من غيرهِ نُسبتْ اليهِ

آخر ٠٠

لقد أحلفتني وحلفتَ حتى إخالُكَ قد كذبتَ وان صدقنا
ألا لاَ نحلفنَّ على يمــينٍ فأكذبُ ما نكونُ اذا حلفنا

٠٠ آخر

كلامُ أبي خلفٍ كلهُ نِدَاهُ الفواختِ جاء الرُّطَبْ
وليسَ وان كنَّ يُشبهنــهُ يُقاربنه أبداً في الكذِبْ

٠٠ آخر

قد كُنتُ أنجزُ دهراً ما وعدتُ الى أن أتلفَ الوعدُ ما جمّعتُ من نَشَبِ
فإنْ أكنْ صرتُ في وعدي أخا كَذِبٍ فَضرَّةُ الصدقِ أفضتْ بي الى الكذبِ

محاسن فضل المنطق

سُئل بعض الحكماء عن المنطق والصمت فقال انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح

المنطق بالصمت وما عبر عن شيءٍ فهو أفضل منه •• وسُئل آخر عنها فقال أخزى الله المساكتة فما أفسدها للسان وأجابها للعيّ والحَصَر والله للمماراةُ في استخراج حق أسرع في هدم العِي من النار في يابس العَرْفج فقيل له قد عرفت ما في المماراة من الذمّ فقال ان ما فيها أقل ضرراً من السكتة التى تورث عللا وتولد أدواء أيسرها العي •• وقال بعض الحكماء اللسان عضو فان مرّنته مرن وان حرّكته حرن

محاسن الصمت

الهيثم بن عديّ قال بعض الحكماء تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات رُميت عن قوس واحدة فقال كسرى أنا على رد مالم أقل أقدرُ مني على رد ما قد قلت وقال ملك الهند اذا تكلمت بالكلمة ملكتني وان كنت أملكها وقال قيصر لا أندم على ما لم أقل وقد أندم على ما قد قلت وقال ملك الصين عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول •• وقال بعضهم من مخافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من المنطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم فى الاستماع والصمت سلامة وزيادة فى العلم •• وقال بعض الحكماء من قدر أن يقول فيحسن قادر أن يصمت فيحسن وليس كل من صمت فأحسن قادر أن يقول فيحسن •• وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى كنْ على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام وكان يقال من سكت فسلم كان كمن قال فغنم •• وقال على بن عبيدة الصمت أمانٌ من تحريف اللفظ وعصمة من زَيغ المنطق وسلامة من فضول القول •• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جل وعزّ يكره الانبعاق فى الكلام فرحم الله امرءاً أوجز في كلامه واقتصر على حاجته •• قيل وكلم رجل سقراط بكلام أطاله فقال أنساني أول كلامك طولُ عهده وفارق آخره فهمي بتفاوته قيل ولما قُدّم ليقتل بكت امرأته فقال ما يُبكيك قالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً •• قيل ودخل رجل على معاوية ومعه ابن له يتوكأ عليه فقال من هذا الغلام معك قال ابنٌ لي يتيم قال حق لِمَن كنت أباه أن يكون يتيما

محاسن الكلام فى الحكمة

اصبر محتسباً مأجوراً والا صبرت مضطراً مأزوراً • المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين ان بقيت لم يبق الهم • اذا حضر الأجل افتضح الأمل • الأمل يتخطى الأجل • من شاركَ السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة • لا تُستبطيءْ الدعاء بالاجابة وقد سددتِ طريقــه بالذنوب • واجد لا يكتفى وطالب لا يجد • الحاسد مغتاظٌ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه • شكرك نعمة سالفة يقتضى لك نعمة مستأنفــة • مَن قَبل عطاءك فقد أعانك على الكرم • لولا من يقبل الجور لم يكن من يجور • • من مدحك بما ليس فيك لخقيق بأن يذُمك بما ليس فيك • من تكلف مالا يعنيه فاته مايعنيه • من أحس بضعف حيلته غن الاكتساب بخل • عالم معاندٌ خير من جاهل منصف • أطع من هو أكبر منك ولو بليلة • حافظ على الصديق ولو فى حريق • أعظم المصائب انقطاع الرجاء • اذا كفيت فاكتفِ • الليل أخفى للويل • عين عرفت فذرفت • لم يفتْ من لم يمت • أصدعُ الفراق بينُ الرفاق

محاسن البلاغة

يقال في المثل هو أبلغ من قُس وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب من فلان الى فلان وأقرّ بالبعث من غير نبي وأول من قال البينة على المدعِي واليمين على المدَّعى عليه • • وقال فيه الأعشى

وأبلغُ من قُسٍ وأجرى من الذى بذى الغيلِ منْ خَفّانَ أصبحَ خادِرَا

قال وسُــئل ارسطاطاليس عن البلاغة فقال ان تجعل فى المعنى الكثير كلاماً قليلا وفي القليل كلاماً كثيراً • • ووصف آخر بلاغة رجلٍ فقال كيف قادهم الله بأزمّة أنوفهم الى مصارع حُتوفهم • • وقال اليونانيّ البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام • • وقال الرومي البلاغة حسن الاقتصاد عند البديهة والاقلال عند الاطالة • • وقال الهندى

البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة •• وقال الفارسيّ البلاغة أن تعرف الفصل من الوصل •• وقال ابراهيم الامام يكفي من حظ البلاغة أن يُؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء افهام السامع •• وسُئل آخر عن البلاغة فقال أن تجعل بينك وبين الإكثار مِسْوَرَةَ الاختصار •• وقال الأحنف البلاغةُ الوقوف عند الكفاية وبلوغ الحاجة بالاقتصاد •• وقال معاوية لصُحارٍ العبدي ماالبلاغة فقال ان تجيب فلا تُبطئ وتقول فلا تخطئ •• وقيل لبعضهم ما البلاغة فقال أن لا تُبطئ ولا تخطئ •• وقيل البليغ من أغناك عن التفسير •• وقال خالد بن صفوان ليست البلاغة بخفّة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى والقصد للحجة

محاسن الادب

قال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه كفى بالأدب شرفاً أنه يدّعيه من لا يُحسنه ويفرح اذا نُسب اليه وكفى بالجهل خمولا انه يتبرأ منه وينفيه عن نفسه من هو فيه ويغضب اذا نُسب اليه فأخذ بعض المولدين معنى قوله فقال

ويكفي خمولاً بالجهالةِ أنني ... أُراعُ متى أُنسَبْ إليها وأغضبُ

وقال رحمة الله عليه قيمة كل امرئٍ ما يُحسنُ فرواه بعض المحدثين شعراً فقال

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ... وهوالبيبُ الفطن المتقِنُ
كل امرئٍ قيمتُه عندنا ... وعندَ أهلِ العلم مايُحسِنُ

وأنشد أبو الحسن بن طباطبا العلويّ لنفسه

حسودٌ مريضُ القلبِ يُخفي أنينَه ... ويُضحي كئيبَ البالِ عندي حزينَه
يلومُ على أن رحتُ في العلمِ راغباً ... وأجمع من عند الرواةِ فنونَهُ
فأعرِفُ أبكارَ الكلامِ وعونَها ... وأحفظ مما أستفيد عيونَهُ
ويزعُمُ أن العلم لا يجلب الغنى ... ويُحسنُ بالجهلِ الذميمِ ظنونَه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمةٍ ... فقيمة كلِّ الناسِ ما يُحسنونَه

وقيل الأدب حياة القلب ولا مصيبةَ أعظم من الجهل ٠٠ وأنشدنا الكسروى

عِيٌّ الشريفِ يشينُ مَنصِبهُ وترى الوضيعَ يَزينُه أدبُه

٠٠ قال وسمع بعض الحكماء رجلا يقول انى غريب فقال الغريب من لا أدب له ٠٠ وكان يقال من قعد به حسبه نهض به أدبه ٠٠ وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال يُبيده الانفاقُ والعلم يزكو على الانفاق والعلم حاكم والمال محكوم عليه ٠٠ وقيل لبزرجمهر الأدب أفضل أم المال قال بل الأدب قيل له فما بال الأدباء بباب الأغنياء ولا نرى الأغنياء بباب الأدباء فقال لعلم الأدباء بمقدار فضل المال وجهل الأغنياء بمقدار الأدب ٠٠ وقال بعض الحكماء ان كان الرزق لا بدّ مطلوبا بسبب فأفضلُ أسبابه ما افتتح بالأدب ونظرنا فلم نره اجتمع لشئٍ من أصناف صناعات كما اجتمع للكتبة لأنها لا تكمل لأحد حتى يبتدئها برياضة نفسه فى الأدب فينفذ فى الخط والبلاغة فى الكتب والفصاحة فى المنطق والبصر بصواب الكلام من خطابه والعلم بالشريعة وأحكامها والمعرفة بالسياسة والتدبير

المناظرات فى الادب

حدثنا أبو ناظرة البصرى عن المازنى قال بينا أنا قاعدٌ في المسجد اذا صاحبُ بريد قد دخل وهو يسأل عني ويقول أيُّكم المازني فأشار الناس اليّ فقال أجِبْ قلتُ ومن أجيب قال الخليفة فذُعِرْتُ منه وكنتُ رجلا فاطمياً فظننتُ أن اسمى رُفع فيهم فقلت أصلحك الله تأذن لي أن أدخل منزلي فأودع أهلي وأتأهب لسفرى فقال إفعل فعلمت انه لو كان شراً لما أذن لي فسكنت الى قوله ودخلت المنزل فودعتهم وخرجت اليه فحملني على دابة من دواب البريد حتى وافى بي باب الواثق فما كان الا قليلا حتى أذن لي فدخلت الى بَهْوٍ واذا رجل قاعد وعلى رأسه سبعون وصيفاً فذهبت أسلم عليه بالخلافة فقيل لي هذا بُغا ثم تقدمت الى بهو آخر فاذا رجل قاعد على كرسي وبين يديه سبعون وصيفاً فذهبت أسلّم عليه بالخلافة فقيل هذا وصيف

حتى دفعت الى الستر فما زال يقول اذهب ادنُ ادنُ حتى حاذانى بسريره ثم قال ماسمك قلت بكر بن محمد قال ممن سمعتها يعنى اللغة قلت من مزاحم العقيلى فقال حدثنى فلم أدر بما أحدثه وقلت لعل حديثى على البديهة لا يعجبه قلت يا أمير المؤمنين قال رؤبة بن العجاج

لا تَعْلُوَاهَا وادْلُوَاها دَلْوَا ان معَ اليومِ أخاهُ غَدْوَا

فكأنه فَطِنَ لما أردت فقال أجل أتدرى لِمَ دعوناك قلت لا قال وقع بينى وبين جارية لى شجار فى بيت أردت لها إعرابه فامتنعت على وقالت سَلِ المازنى قلت فأسمعنى يا أمير المؤمنين قال نعم وأومأ الى خادم بين يديه فضرب ستارة كادت عينى تلتمع من كثرة ذهبها ثم سمعت وراءها نقراً لولا جلالةُ أمير المؤمنين لرقصتُ عليه ثم غنت

أظَلومُ إنّ مُصابكم رَجُلاً أهْدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

فقال كيف ماسمعت قلتُ صواب قال فقد أخطأنا اذاً قلت وكيف قال أمير المؤمنين قال

أظَلوم إنّ مُصابكمْ رَجُلٌ أهدَى السلامَ تحيّةً ظُلْمُ

فقلت وأصاب أمير المؤمنين قال فكاد يقوم اليّ فرحاً ثم أدخل رأسه فى الستارة فأومأ اليّ الخادم فى الخروج فخرجت فناولنى صُرّةً فيها خمسمائة دينار وحُملت على البريد حتى وردت الى منزلي بالبصرة والشعر لأبى دِهْبِلْ الجُمَحي يقول فيه

عُقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ بمثله ان النساء بمثله عُقْمُ

فلا يلدن شبيهه أجود وحدثنا على بن يزيد عن اسحاق بن المسيب بن زهير قال حدثنى المفضّل قال كنت يوما عند الصّراة ببغداد وكنت فى الصحابة فأتانى رسولُ المهدى فقال لى أجبْ فخفت أن يكون ساعٍ سعى بي فدخلت منزلى ولبست ثيابى وهممت أن أخبر أهلى ثم قلت لم أعجل لهم الهمّ ان كان خير سيأتيهم وان كان غير ذلك فلا أكون عجّلته لهم فمضيت حتى دخلت عليه وأنا مرعوب فسلمت عليه ورد السلام واذا عنده الفضل بن الربيع وعلى بن يقطين وغيرهما فقال ان هؤلاء زعموا انك أعلم الناس بالشعر فأخبرنى ما أشعر بيت قالته العرب فوقعت فى شئ لم أدرِ كيف هو فجهدت

والله ان أنشده بيتاً من شعر فما قدرت عليــه فقال لى مالك لاتتكلم فجري على لسانى ذكر الخنساء فقلت لقد أحسنت الخنساء فى قولها

وانّ صخراً لمولانا وسيّدُنا   وانّ صخراً اذا نَشتُو لنَحّارُ
وانّ صخراً لتأتمّ الهداةُ به   كأنه عَلَمٌ في رأســه نارُ

قال فاستبشر بذلك وسُرّ سروراً شديداً ثم قال أنت والله أعلم الناس وقد قلت هذا لهؤلاء فأبوا علىّ فنال القوم كان أمير المؤمنــين أولى بالصواب فقال لى يامفضّل أســهرتنى البارحة أبيات حسين بن مُطير الأسدي قلت وأي أبياته قال قوله

وقد تَغدِرُ الدنيا فيُضحِى غنيُّها   فقيراً ويَغنى بعدَ بُؤسٍ فقيرُها
وكم قدْ رَأينا مِنْ تَغيُّرِ عيشةٍ   وأخرى صَفا بعدَا كَدِرا غديرها

قلت مثل هــذه فليسهرك ياأمير المؤمنين زادك الله توفيقاً وتسديداً قال حدثنى يامفضّل قلت أىّ الأحاديث تحب قال أحاديث الاعراب فما زلت أحــدّثه حتى بلغت الشمس منه ثم قال مالك قلت ياسيدى ماتسأل عن رجل مأخوذ بعشرة آلاف درهــم ليست عنده قال عليك عشرة آلاف درهم قلت نعم فقال ياربيع احمل اليه عشرة آلاف درهم لقضاء دَينه وعشرة آلاف يبنى بها داره وعشرة آلاف ينفقها على عياله فرجعت ومعى ثلاثون ألف درهم •• وقال النضر بن شُميل دخلت على المأمون بمرو وهو فى بهو له فى يوم صائف وعلىّ قميص مرقوع فقال يانضر تدخــل على أمير المؤمنين في خُلقان ثيابك فقلت ياأمير المؤمنــين حر مرو وأنا شيخ كبير لاأحتمل الحــرّ ولا البرد ثم أنشدته

لوْ يُشترَى الشبابُ لاشتريتُهُ   شبابيَ النضرَ الذى أبليتُهُ
* بكلّ مالِى ثم مااستغليتُهُ *

ثم أجرينا الحديث فقال يانضرأي النساء أحب اليك قلت البيضاء الفرعاء المديدة •• فقال حدّثنى هُشيم بن بشــير عن مجالد عن الشــعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان له فيها سَــداد من عَوَزٍ قلت صدق هُشيم حدثنى عوف عن الحسن عن على بن أبى طالب كرّم الله وجهه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوّج الرجل المرأة لدينها كان له فيها سِداد من عوز قال يانضر والسداد خطأ قلت خطأ ياأمير المؤمنين قال وما يُدريك قلت السداد بالفتح القصد في الدين وفي السبيل والسداد البُلغة وكل شيء سددت به شيئاً فهو سداد قال أتعرف العرب ذلك قلت نعم هــذا العرجي من ولد عثمان بن عفّان رحمــه الله حيث يقول

أضاعونى وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ

فاستوى جالساً وقال قبح الله من لاأدب له ثم أقبل عليَّ فقال أخبرنى بأخلب بيت قالته العرب قلت قول ابن بيض فى الحكم بن مروان

تقولُ لى والعيونُ هاجعةٌ أقِمْ علينا يوماً فلم أُقِمِ
متى يَقُلْ صاحبُ السُّرادقِ هــذا ابنُ بيضٍ بالبابِ يَبتسمِ
قدكنتُ أسلمتُ فيكَ مُقتبلاً فهاتِ أدْخُلْ وأعطنِي سَلَمى

قال لقد أحسن وأجاد فأخبرنى بأنصف بيت قالته العرب قال قول أبي عروبة

إنى وانْ كانَ ابنُ عمى واغِلاً لمُدَاهِنٌ من خلفِــه وورائهِ
ومُفيدهُ نصرى وانْ كانَ امرأً مُتباعداً منْ أرضهِ وسمائهِ
فأكونُ وَالِيَ سرّهِ وأصونُهُ حتى يَحينَ عليَّ وقتُ أدائهِ
واذاالحوادثُ أجحفَتْ بسَوامهِ قرّبْتُ جِلّتنا الى جرْبائهِ
واذا دَعا باسمي ليركَبَ مَرْكباً صعباً ركبتُ له على سِيسائهِ
واذا رأيتُ عليه بُرْداً ناضراً لم يُلْفِنى مُتمَنّياً لردائهِ

•• فقال لقد أحسن وأجاد فأخبرنى عن أعزّ بيت قالته العرب قلت قول راعى الابل

أطلبُ مايطلبُ الكريمُ منَ الـ رزْقِ لنفسى وأُجْمِلُ الطلبا
وأحلُبُ الثرَّةَ الصفيَّ ولا أطْلُب في غــير خِلْفها حَلَبا
انى رأيتُ الفــتى الكريمَ اذا رَغّبتَهُ فى صَنيعهِ رَغِبا
والنــذْلُ لايطلُبُ العَلاء ولا يُعطيكَ شيئاً الاّ اذا رَهِبــا
مثلَ الحِمارِ الموقّعِ السوء لا يُحسنُ مَشياً الاّ اذا ضُرِبا

فقال والله لقد أحسن وأجاد ودعا بالدواة فما أدرى مايكتب ثم قال يانضر كيف تقول من الإتراب قلت أقول إتربِ القرطاس والقرطاس متروب قال فلم كسرت الالف قلت لانها ألف وصل تسقط في التصغير قلت فكيف تقول من الطين قلت طِنِ الكتاب والكتاب معلينٌ قال هذه أحسن من الاولى ثم دفع ماكتب الى خادم ووجهه معي الى ذى الرياستين الحسن بن سهل فقال لى ذو الرياستين ماالذى جرى بينك وبين أمير المؤمنين فقد أمر لك بخمسين ألف درهم فقصصت عليه القصة فقال ويحك لحنت أمير المؤمنين قلت معاذَ الله بل لحَّنت هُشيما لانه كان لحّانة فوقّع لى أيضاً من عنده بثلاثين الف درهم فانصرفت بثمانين الف درهم فى حرف واحد سِداد وسَداد .. قال أبو سعيد الضرير سمعت ابن الاعرابي يقول بعث اليّ المأمون فصرت اليه واذا هو مع يحيي بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظر اليّ ولاني ظهره فجلست فلما أقبل قمت قائماً فأسرّ الى يحيي بشئ مافهمت كله الاّ قال ماأحسن أدبه وقد أقبل الى مجلسه ثم التفت اليّ فقال يامحمد بن زياد من أشعرُ العرب فى وصف الخمر فقلت الذى يقول

تُريكَ القذَى من دُونها وهي دُونهُ   اذا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمطّقُ

فقال أحسن الناس قولاً فى صفة الخمر الذى يقول

فتمشّتْ في مفاصِلِهمْ   كتمشّي البُرْء فى السقَمِ
فَعَلَتْ فى البيتِ إذْ مُزِجَتْ   مثلَ فِعْلِ الصبح فى الظُلَمِ
فاهتدَى سارِى الظلامِ بها   كاهتداء السَفْرِ بالعَلَمِ

قلت فائدة ياأمير المؤمنين ثم قال مامعنى قول هند

نحنُ بناتُ طارِقْ   نمشي على نمارِقْ   انْ تُقبلوا نُعانِقْ
أو تُدْبِرُوا نُفارِقْ   فِرَاقَ غيرِ وامِقْ

فنكرت في نسبها ونسب أبيها فلم أجد طارقاً فقلت ماأعرف طارقا ياأمير المؤمنين فقال انما قالت انها فى العلوّ والشرف بمنزلة الطارق وهو النجم من قول الله عزّ وجلّ والسماء والطارق قلت فائدة ياأمير المؤمنين ثانية ثم التفت الى يحيي بن أكثم فقال أنا بُؤْبُؤُ هذا الامر وابن بُؤْبُئِه فلم أدر ماقال وقمت لأخرج فلما نظر اليّ وقد قمت رمى

اليّ بعنبره كانت في يده بعتها بخمسه آلاف درهم قال فرجعت الى كتبي فنظرت فيها لأعرف ماقال فوقفت على هذه الأبيات لبعض الاعراب

كأنما بنتُ أبي الخيبرِيه   قاعِدَةٌ في إتبها لُوَيْلِيَه

* قد فاقتِ البؤبؤ والبوبيَه *

فعلمت انه عني به السيد وابن السيد .. قال أبو عبد الله الأسواريّ دخلتُ على المأمون في حديقة له وفي يده مقراض ذهب وهو يقرض به ماطال من أوراق تلك الروضة ويقوّم مابدا من أغصانها فسلّمت وقلت ياأمير المؤمنين جعلت فداك انك لمستهتر بهذه الحديقة حتى انك لاتأمن عليها أحداً قال نعم ياأسواريّ فهل يحضرك في ذلك شيء قلت نعم وأنشدته

أوَائلُ رُسْلٍ للرَّبيعِ تقَدَّمتْ   على طيبِ وجه الارض خير قُدُومِ
فَرَاقَتْ لها بعدَ المماتِ حدائقٌ   كَوَاسٍ وكانتْ مثلَ ظهر أديمِ
اذا اقتصّها طرْفُ البصيرِ بلحظةٍ   توَهَّمها مفروشةً برُقومِ
كأنّ اخضِرَارَ الزهرِ والروضِ طالعٌ   عليه سماء زُيِّنَتْ بنُجومِ
تَرَدَّتْ بظلٍّ دائمٍ فتضاحكتْ   كضَحْكِ بُرُوقٍ في بكاء غُيومِ
وأوْرَدَها نَخلُ السحاب عرائساً   ضِعافَ القُوى من مُرْضَعٍ وفَطيمِ
اذا برَزَتْ منهنّ بكْرٌ حَسبتَها   تَراكَ وانْ أضْحَتْ بعينِ سَقيمِ
كمثل لَشاوَى الراحِ يلثمُ ذاكَ ذا   أو الريحِ جادَتْ بينها بنسيمِ
تَخالُ وُقوعَ الطَّلِّ فيهن أدمعاً   رَنَتْ بعُيونٍ غيرِ ذاتِ سُجومِ

قال أحسنت ياأسواريّ ياغلام اسقنا على هذا ثم جلس على كرسيّ مُغشّى بالحرير واذا غلام قد أقبل يهتزّ كأنه القضيب المائل حين اخضرّ شاربه وبداعِذارُه وفي يده كأس وابريق فصبّ في الكأس من الابريق ثم مزجه وناوله اياه فأخذه في يده ساعة وجعل ينظر الى الغلام ما يرد بصره عنه ثم قال يا اسواري هل يحضرك في صفة مثل هذا شيء قلت نعم يا سيدي وأنشدته

مُجاجُ مُزْنٍ شجّ كأسَ رحيقٍ   وريقُ المهفهفِ فيه أعذبُ ريقٍ

أذرى لخوف البين حرّ مدامع   فى درّ خدّ فيه ذوب عقيق
هو فى تناهى صدق حسن فائق   فى حسن صورة يوسف الصدّيق
قامت على رجل به الدنيا لنا   ان قام بالمنديل والأبريق
فرأى على قلبى لو أحظ طرفه   وتلا كتاب الحبّ بالتحقيق
إن دام ذا فى حسنه أبداً لنا   سُمى فقيه المصر بالزنديق

قال فقال المأمون أحسنت ويحك فمن صاحب هذه الأبيات قلت فلان يا أمير المؤمنين فقال أشعر والله منه فى هذا المعنى شيخ الشعراء أبو نواس حيث يقول

كُفّى فلستُ لعاذلٍ بمطيقِ   بلغ الهوى بى غاية التحقيقِ
قطع الهوى فرط الشباب بباطلٍ   أيدى الزمانِ وألسنُ التصديق
وجداولٌ موصولةٌ بجداولٍ   من صوبِ غاديةٍ ولمعِ بروقِ
تكسو مدامعهُ الرياض مرائساً   من نرجسٍ متكاثفٍ وشقيقِ
باكرتها قبل الصباح بسحرةٍ   قبل ابتكارِ مجرّةِ العيوقِ
من كف أحور ذى عذارٍ أخضرٍ   يسبى القلوب بقدّه الممشوق
فكأنّ ما فى الكأس من أبريقه   نارٌ تسلّهُ من فم الابريق
وتضوع مسكاً فى الزجاجة أذفراً   ذوب الشباب معصفراً بخلوق
قرّ عليه من البدائع حلّةٌ   يسقيك كأس هوى وكأس رحيقِ
ما طاب عيش فتى يطيب بغيرها   لا سيما إن شجّها بالريقِ
يغنيك عن وردِ الرياضِ وزهرِها   منهُ تورّد خدّه المعشوق

قال فقلت يا أمير المؤمنين قد حضرنى فى هذا المعنى شئ فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى انشاده قال هات فقلت

جسمٌ مركّبةٌ فى العين انسىّ   وفى اللطافة والأجناس عذرىّ
مايعرف الطرف من أعراض جوهره   إلّا الذى يخبرُ الفكرُ القياسىّ
وكلّ من غاص فى ادراك صورته   فانما لطفهُ فى ذاك وهمىّ
حاز المحاسنَ والأنوار أجمعها   فالحسن من حسنه فى الخلق جزئىّ

إذا العيــونُ تراءتهُ تراهقها من حسنِ صورتِهِ المحظُ الظلامىُّ
ما دبَّ فى فطَنِ الأوهامِ من حسنٍ إلا وكانَ له الحظُّ الخصـوصىُّ
كأنَّ جبهتَهُ من تحتِ طرّتهِ بدرٌ يتوّجهُ الليلُ البهيمىُّ
كأنَّ عينيهِ خرطا جزعِ يمنٍ من كل حافاتها سهمٌ صبابىُّ
كأن صدغيه قافا كاتبٍ مشقا من فوقِ ياقوتةٍ والخدُّ وردىُّ
كأنما الثغرُ منـهُ فى تبسمِهِ درٌّ تعلّقَ عنهُ البحرُ اللجىُّ
كأنما الردفُ منهُ اذ يميسُ به موجٌ يكفكفهُ الريحُ الجنوبىُّ
لو مسَّ أجبالَ ماهانٍ لفجّرَها بالماءِ يسعدِه الطلُّ الغمامىُّ
أو لا مسَ الماءَ لانسابتْ أناملُهُ كالثلجِ حلَّ به الودقُ الشخامىُّ
جنسىُّ نورٍ على كنهيِّ جوهرةٍ من روحِ قدسٍ أوالأنوارِ برّىُّ
يسقى بجوهرةٍ فى جوفِ جوهرةٍ من نور جوهرةٍ واللونُ جنسىُّ
ماءٌ وماءٌ وفى ماءٍ يديرهُما ماءٌ خلافهما والطيبُ تبىُّ
قد جلَّ عن طيبِ أهلِ الأرضِ عنبرُه ومسكُه فهوَ الطيبُ السماوىُّ
اذا رأتهُ عيونُ الخلقِ أحسرَها نورٌ ولاحظها الحسنُ الهوائىُّ
كادتْ محاسنهُ من لطفِ رقتِهِ تصيرُ عيباً وما للتيسرِ كيفىُّ
سبحانَ خالقهِ ماذا أراد بهِ لولاهُ لم يكنِ الفـعلُ السريرىُّ
اذا أدارَ علينـا الكأسَ مجشةُ من ودِّ أسرارِنا ودٌّ حقيـقىُّ
مصوّرٌ طرفتْ عينُ الزمانِ بهِ وأكثرهُ من جناحِ الخفضِ علوىُّ

قال فتبسّم المأمون وقال أحسنت والله يا اسوارى فمن هذا ويحك قال لعبدك النظام فقال أحسن فيما وصف وأحسنت فى تعبيرك عنه ثم سقانى وأمر لى بخمسين الف درهم وأمر للنظام بمثلها • أحمد بن القاسم قال كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلقٍ على قفاه فقال لعبد الله ياأبا العباس من أشعر الناس فى زماننا فقال أمير المؤمنين أعرف بهذا قال قل على كل حال قال الذى يقول

أيا قبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرةٍ من الأرضِ خطّتْ للمكارمِ مضجعا

قال أحمد فقلت أشعرهم الذي يقول

أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبهُمْ   اذْ كانَ حظي منكِ حظي منهمُ

فقال المأمون أينَ أنتما عن قول أبي نواس

يا شقيقَ النفسِ منْ حَكَمٍ   نِمْتَ عن ليلى ولم أنمِ

٠٠قال وقال المأمون لعبد الله بن طاهر فى الحلبة وقد ارتفعت أصوات العامة يا أبا العباس سكّن العامة قال عبد الله فوثبت أنا ومن معه فارتفع من أصواتنا وضجيجنا أكثر مما كان فقال لى أنذلّ بالرياسة ولا بصرَ لك بالسياسة هكذا تسكّن العامّة هلا ناديت الاقربين لينادى الاقربون الابعدين قال فوالله ما ميزت بين تأديبه وبين تعريبه ٠٠قال وقال الحسن بن الفضل بن الربيع خرج علينا المهدىّ متنكراً ومعه الربيع والمسيب بن زهير يطوف فى الأسواق اذ نظر الى أعرابىّ ينشد فقال الربيع اخبرنى عن أرق بيت قالته العرب قال بيت امرئ القيس بن حُجْر

وما ذَرَفَتْ عيناكِ الا لتضربي   بِسَهمَيكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقتّلِ

فقال المهدىّ بيت قد داسَتْهُ العامّة وفيه غلطٌ ثم قال للمسيب هات ما عندك فقال

ومما شجاني أنها يومَ أعرضَتْ   تولّتْ وماءُ العينِ فى الجفنِ حائرُ

فلما أعادَتْ من بعيدٍ بِنظرَةٍ   اليّ التفاتاً أسلمتها المحاجرُ

وسلمتها أيضاً ٠٠فقال وان هذا قريب من ذاك وخلفهم شابٌّ من أهل المدينة له أدب وظرف وكان قدم متظلماً فطال مُقامه على باب المهدى فلما سمع ذلك منهم حمله ظرف الأدب على ان أدخل نفسه بينهم واتصل بهم وقال أتأذنون أن أخوض معكم فيما أنتم فيه قالوا ماذا قال قال الأحوص

إذا قلتُ انى مُشتفٍ بلقائها   فَحُمَّ التلاقي بينما زادني وجدَا

فقال المهدىّ أحسنت يا فتى فمن أنت قال أنا رجل من أهل المدينة قال وما أقدمك العراق قال مَظلمة لى مقيم عليها بباب الخليفة منذ كذا وكذا وقد أضرّ بى ذلك فقال للربيع عليك بالرجل فأخذه معه وسامره أياماً ثم أمر برد مظلمته وقضى حوائجه وأمر له بصلة عشرة آلاف درهم ٠٠قال النضر بن شميل حدثني الفراء عن الكسائى قال دعاني الرشيد

ذات يوم وما عنده الا حاشيته فقال ياعليّ أتحب أن ترى محمداً وعبد الله قلت ماأشوقني اليهما يا أمير المؤمنين وأسرّ اليّ معاينة نعمة الله جل وعز على أمير المؤمنين فيهماوبهما فأمر باحضارهما فأقبلا كأنهما كوكبا أفق يزينهما هديهما ووقارهما قد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا بباب المجلس فسلما بالخلافة ثم قالا تمم الله على أمير المؤمنين نعمه وشفعها بشكره وجعل ما قلده من هذا الامر أحمد عاقبةٍ ما يؤل اليه أمر حمداً اختصه به وأخلصه له بالبقاء وكثرلديه بالنماء ولا كدر عليه منهما صفاولا خالطسروره الردى فقد صرت للمسلمين ثقة ومستراحاً اليك يفزعون في أمورهم ويقصدون في حوائجهم فأمرهما بالدنوّ وصيّر محمداً عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم التفت اليّ فقال يا عليّ مازلت ساهراً مفكراً في معاني أبيات قد خفيت عليّ قلت ان رأي أمير المؤمنين أن ينشدنيها فأنشدني

قد قلتُ قولاً للغرابِ اذْ حَجَلْ عليكَ بالقُودِ المسانيفِ الأُوَلْ
* تغدَّ ماشئتَ على غير عجَلْ *

فقلت نعم يا أمير المؤمنين ان العير اذا فصلت من خيبرَ وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق يقول هذا تقدمْ الى أوائل العير فكل على غير عجل والقود الطوال الأعناق والمسانيف المقدّمة ثم أنشدني

لعَمري لئن عشَّرتُ من خَشيَةِ الرَّدىَ نُهاقَ الحِمارِ انّني لجَهولُ

قلتُ نعم يا أمير المؤمنين كان الرجل من العرب اذا دخل خيبر أكبَّ على أربع وعشّر تعشير الحمار وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات يفعل ذلك ليدفع عن نفسه حُمى خيبر ثم أنشدني قول الآخر

أجاعِلٌ أنتَ بَيقوراً مُضَرَّمةً ذريعةً لكَ بين الله والمطرِ

قلت نعم كانت العرب اذا أبطأ المطر تشدّ العُشر والسَّلَع وهما ضربان من النبت في أذناب البقر وألهبوا فيه النار وشرّدوا بالبقر تفاؤلاً بالبرق والمطر ثم أنشدني

لعَمرُكَ ما لام الفتى مثلُ نفسِهِ اذا كانتِ الأحياء تُعدَى ثيابُها
وآذَنَ بالتصفيقِ من ساء ظنُّهُ فلمْ يدْرِ من أيِّ اليدَيْن جوابُها

قلت نعم يا أمير المؤمنين كان الرجل اذا ضلّ في المفازة قلب ثيابه وصاحَ كأنه يومئ الى انسان ويشتدّ شدة ويصفّق بيديه فيهتدى الطريق ثم أنشدني

قَوْداء تملكُ رَحلها مثلُ اليتيم من الأرانب

قلت نعم يقول هـذه ناقة مثل اليتيم من الآكام واليتيم الواحد من كل شئ والارانب الآكام ثم أنشدني لآخر أيضاً

الى الله أشكو مجـمةً هجريّةً تماورَهامرّ السنين الغوابرِ

فعادت رزايا تحملُ الطينَ بعدما تكونُ قِرى للمعتفينَ المفاقرِ

قلت هذا رجل فى بستانه نخيل أتى عليها الدهرُ فجفت فقطعها وصيّرها أجزاعاً وسقّف بها البيوت فقال هذه الأجزاع كانت تحمل الرطب فآكل وأُطعم الأضياف فجفت فقطعتها وسقّفت بها البيوت فهي تحملُ الطين يعنى ما فوقها من اللبن والتراب وغـير ذلك ثم أنشدني لرجل آخر

وسَربٍ ملاحٍ قد رأيتُ وُجوهَهُمْ إناثٌ أدانيه ذكورٌ أواخرُه

قلت يعنى الاضراس ثم أنشدني لآخر

فاني اذاً كالثورِ يُضْرَبُ جنبُهُ اذا لم يَعَفْ شُرْباً وعافَتْ صواحبُهْ

قلت نعم كانت العرب اذا أوردت البقر الماء فشربت الثـيران وأبت البقر ضربت الثيران حتى تشرب البقر وهو كما قال كالثور يُضْرَب لما عافت البقر ثم أنشدني

ومنحدِرٍ منْ رأْسِ بَرْقاء حَطّهُ مخافةُ بَيْنٍ أو حبيبٌ مُزايلُ

قلت نعم يعنى الدموع والبرقاء العين لأن فيها سواداً وبياضاً حطّهُ أساله حبيب محبوب مزايل مفارق قال فوثب الرشيد فجذبني الى صدره وقال لله درّ أهـل الأدب ثم دعا بجارية فقال لها احملى الى مـنزل الكسائى خمس بدر على أعناق خمسـة أعبدٍ يلزمون خدمته ثم قال استنشدهما يعنى ابنيه فأنشدنى محمد الأمين

وإنى لعَفُّ الفقرِ مشتركُ الغنى وتاركُ شكلٍ لايوافقـهُ شكلى

وشكلى شكلٌ لايقومُ بمثلهِ من الناسِ إلّا كلُّ ذي نيقةٍ مثلى

ولِى نيقةٌ في المجد والبذْلِ لم يكنْ تأنّقَها فيما مضى أحـدٌ قبـلي

وأجعلُ مالي دونَ عِرضي جُنّةً ... لنفسي وأستغني بما كانَ من فضلي

وأنشدني عبد الله المأمون

بكَرَتْ تلومُكَ مطلعَ الفجرِ ... ولقد تلومُ بغيرِ ماتدري

ماإنْ ملكتُ مصيبةً نزلَتْ ... اذْ لايحكّمُ طائعاً أمري

ملكُ الملوكِ عليَّ مقتدرٌ ... يُعطي اذا ماشاء منْ يُسْرِ

فلرُبَّ مُغتبطٍ بمرزئةٍ ... ومُفجّعٍ بنوائبِ الدهرِ

ومُكاشحٍ لي قد مددتُ لهُ ... نحراً بلا ضرَعٍ ولا غِمْرِ

حتى يقولَ لنفسهِ لهفاً ... في أي مذهبِ غايةٍ أجري

وترى قناتي حينَ يغمزُها ... غمزُ الثّقافِ بطيئةَ الكَسْرِ

فقال ياعلي فكيف تراهما فقلت

أرى قرَّتي أفقٍ وفرعَي بشامةٍ ... يزينهُما عِرقٌ كريمٌ ومحتدُ

يَسُدّانِ آفاقَ السماء بشيمةٍ ... يؤيدُها حزمٌ وعضبٌ مُهنّدُ

سَليلَيْ أمير المؤمنين وحائزَيْ ... مواريثِ ماأبقى النبيُّ محمدُ

ثم قلت ياأمير المؤمنين زرع زكا أصله وطاب مغرسه وتمكّنت عروقه وعذُبت مشاربه غذاهما مَلكٌ أعزّ نافذ الأمر واسع العلم عظيم الحلم والقدر علاهما فعليا وحكمهما فتحكما وعلمهما فتعلما فهما يطولان بطوله ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلّبان في سعادته فما رأيت أحداً من أبناء الخلفاء أذرب منهما لسانا ولا أعذب كلاما ولا أحسن ألفاظاً ولا أشد اقتداراً على تأدية ماحفظا ورويا فأسألُ الله ان يزيدهما الايمان تأييداً وعزاً ويمتع أمير المؤمنين بهما ويمتعهما بدوام قدرته وسلطانه مابقي ليل وأضاء نهار فضمهما الى صدره وجمع يديه عليهما فلم يبسطهما حتى رأيت دموعه تتحادر على صدره رِقّه عليهما واشفاقاً ثم أمرهما بالخروج قال ثم أقبل علينا وقال كأنكم بهما وقد نجم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب أجله وانتهي الأمر الى وقته المحدود وحينه المسطور الذي لايدفعه دافعٌ ولا يمنع منه مانع وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما وظهر تعاديهما وانقطعت الرقة بينهما حتى تسفك الدماء وتكثر القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير

من الأحياء انهم بمنزلة الموتى قلت ياأمير المؤمنين أو كان ذلك قال نعم قلت لأمر رأيته أو رؤيا أريتها أو لشيء تبين لك فى أصل مولدهما أم لأثر وقع لأمير المؤمنين في أمرهما قال بل أثر واجب صحيح حملته العلماء عن الأوصياء وحملته الاوصياء عن الأنبياء عليهم السلام •• قال وحدث الأصمعى انه دخل ذات يوم على أمير المؤمنين الرشيد وكان لايحجب عنه وكان فى فرد رجليه خف وفي الأخرى جورب لعلة كان يجدها فسامره ساعة ثم نهض ليخرج فقال له الرشيد ياأصمعي ماذا تشتهي ان يتخذ لك لتتقدم فيه وتتغدى معنا فقال أشتهى رقاقاً وجوزلا فلم يعرف الرشيد ماقاله الأصمعي وكره ان يسأله عنه فتقدم الى الطباخ ان يتبعه ويسأله من تلقاء نفسه ويوهمه انه تقدم اليه فيه فلم يعرفه فقال له الرقاق معروف والجوزل الفرخ السمين فمضي الطباخ وعرف الرشيد ذلك وأصلح للأصمعي ماطلبه وعاد فتغدى مع الرشيد فلما أكل أمر بأن يحمل معه عشرون الف درهم •• وحدث الاصمعي قال دخلت ذات يوم على الرشيد فقال لى اكتب ياأصمعى ولو على تكتك أو طرف ثوبك

كن موسراً ان شئت أو معسراً لابد فى الدنيا من الهم
وكلما زادك فى نعمة زاد الذى زادك فى الغم

قال فكتبت البيتين •• قال وقال الاصمعى بينا أنا ذات يوم قد خرجت في الهاجرة والجو يلتهب ويتوقد حرًّا اذ أبصرت جارية سوداء قد خرجت من دار المأمون ومعها جرة فضة تستقى فيها ماء وهي تردد هذا البيت بحلاوة لفظ وذرابة لسان

حر وجد وحر هجر وحر أي عيش يكون من ذا أمر

قال فقلت لها ياجارية ماشأنك فقالت انى من دار أمير المؤمنين المأمون وأنا أحب عبداً له أسود وانه قد هجرني ولا أحسن ان أخرج سرى الى أحد قال فمضيت واستأذنت على المأمون واذا هو نائم فأذن لى وقد كان أمر أن لاأحجب عنه على أي حال كان فدخلت عليه وهو فى مرقده فقال ماجاء بك ياأصمعي في هذا الوقت قلت ياأمير المؤمنين تهب لي جاريتك السوداء وعبدك الاسود فلاناً فقال قد فعلت ذلك وهما لك افعل بهما ماشئت فخرجت من عنده وأحضرتهما وجمعت من أهل الدار من حضر وأعتقتهما

وزوّجت الجارية من العبد ثم عدت الى المأمون فقلت يا أمير المؤمنين أني فعلت كيت وكيت واني أريد الآن ما أجهزهما به فأمر لكل واحد منهما بعشرة آلاف درهم وأمر لي بمثل ذلك وخرجت من عنده وعاد هو الى نومه .. وحدثنا عبد الله بن سلام قال لما وُلد العباس بن الفضل دخل الناس على الفضل بن يحيى يهنؤنه به وفيهم أبو النضير فوقف بين يديه وهو يقول

ويفرحُ بالمولودِ من آل برمكٍ   بُناةُ الندى والسيفِ والرمحِ والنصل

* وتنبسطُ الآمالُ فيه لفضلِهِ *

فأرتجَ عليه فوقف لا يمكنه ان يجيزه فقال له الفضل يا أبا النضير ثمْ قل أعزّ الله الأمير قال ويحك فقلْ

* ولا سيّما انْ كانَ منْ وَلدِ الفَضْلِ *

.. قال هذا والله أصلح الله الأمير طلبتُهُ فلم أقدر عليه وتمللت بغيره .. قال وقيل لأبي العيناء مابال العمى قد صار في صغاركم وكباركم حتى انه يلحق الطفل منكم فقال نعم الطينة الملعونة والدعوة المشؤمة وذلك انه سلّم بعض الخلفاء رجلاً من آل أبي طالب الى جدّنا الاكبر فقتله ودعا عليه فلحقتنا دعوته فما تراه بنا فهو من تلك الدعوة .. واجتاز أبو العيناء ذات يوم فسمع غناء لم يعجبه فسأل أبو العيناء عن صاحب الغناء فلما قيل له انه أبو الحمار قال صدق الله (انّ أنكرَ الأصواتِ لَصَوْتُ الحميرِ) وكان عمًّا لمحمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل .. قيل ولما صدر المعتصم بالله عن بلاد الروم وصار بناحية الرقّة قال لعمرو بن مسعدة ياعمرو أشرت عليّ بالرخّجي فوليته الاهواز فقد قعد في سلّة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً فقلت يا أمير المؤمنين فأنا أوجّهُ اليه رسولا يبعث اليك بالأموال ولو على أجنحة الطير قال كلاّ ولكن اشخص اليه بنفسك كما أشرت به قال ففكرت في ان أنزل عن الوزارة وأصير مستحثاً على عامل فقلت يا أمير المؤمنين أنا أقع اليه قال فضعْ يدك على رأسي انك لاتقيم ببغداد الا يوما واحداً حتى تلحق به فوضعت يدي على رأسه وحلفت له وانحدرت الى بغداد فسلمت على أهلي واخواني وأخذت زُلالاً فعلّقت عليه الخيش وبُسط لي فيه الطبري وملأته

بالثلج وسرنا فلما صرنا بين دير العاقول ودير هرقل اذا أنا برجل على الشط يصيح يا ملاّح رجل غريب أريد دير العاقول فاحملني يأجرك الله فقلت احملوه فقال يا مولاي هذا رجل من هؤلاء الشحاذين يؤذيك ويقذر عليك زلالك فقلت احمله ويلك فقرّب اليه الزلال فحمله في مؤخره وحضر الغداء فتحوّبت أن لا أدعوه فقلت له هلمّ فقام حتى جاء فأكل أكل جائع نهم الا انه كان نظيف الأكل فلما فرغ من الغداء أردت منه ماتفعله العامة بالخاصّة ان يقوم فيغسل يده ناحيــة فلم يفعل فغمزه الغلام وسائر الغلمان فلم يقم فتناومت عليه فلم يقم فقلت له ماصناعتك قال حائك جعلت فداك فقلت هذا أنا فعلته بنفسي فقال لي وأنت فما صناعتك فقلت كاتب فقال الكُتّاب خمسة فأيهم أنت فأوردعليّ شيئاً عجبت منه فقلت عدّهم •• قال كاتب رسائل يجب أن يعرف الوصول والفصول والترغيب والترهيب والجوابات قلت نعم •• قال وكاتب خراج يجب أن يعـرف المساحة والذراع والاشوال والتقسيط قلت نعم •• قال وكاتب قاض يجب أن يعرف الحرام والحلال والتأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والمقالات والاختلافات قلت نعم •• قال وكاتب جند يجب أن يعرف الحليّ والشيات قلت نعم •• قال وكاتب شرطة يجب أن يعرف الشجاج والجراحات فأيهم أنت قلت كاتب رسائل قال فصديق لك تكاتبه في المحبوب والمكروه تزوّجت أمه كيف تكتب اليــه تهنئةً أو تعزيةً قلت هو والله الى التعزية أقرب قال فكيف تعـزّيه قلت لا أجــدُ الى ذلك سبيلا قال فلستَ بكاتب رسائل قلت أنا كاتب خراج قال فولاّك أمير المؤمنين بلدةً وأمرك بالنفوذ فخرجت الى عملك ورتّبت عمّالك في العمل فجاء اليك قوم يتظلمون من عامل زاد عليهم في المساحة فخرجت معهم فوقفوا على قراح كأنه قابل قثا كيف تمسحه قلت اضرب وسطه في طرفيــه قال تنثني عليك القطوع قلت فكيف أمسحه قال لست بكاتب خراج قلت أنا كاتب قاض قال فان رجلا خلّف حرّة حاملا وسُرِّيّة حاملا فولدتا في ليلة واحــدة الحرّة جارية والسرية غلاما فلما علمت الحــرة بذلك حملتها الغيرة على ان وضعت الجارية في مهد السرية وأخــذت الابن فقالت السرية من الغد الابنُ لي فتحاكما في ذلك الى القاضي وأنت حاضر فقال لك اقض بينهما بم كنت تقضي قلت لاعلم لي بذلك قال لستَ بكاتب قاض قلت أنا كاتب

جندي قال الله أكبر تقدم اليك رجلان من أهل عملك أو من أهل عسكرك إسماهما واحد يقال لهذا أحمد ولهذا أحمد هذا مشقوق الشفة من فوق وهذا من أسفل كيف تحليهما قال اكتب أحمد الأعلم وأحمد الأعلم قال اذاً يأخذ هذا عطاء هذا وهذا عطاء هذا قال فكيف أصنع قال لست بكاتب جند قال أنا كاتب شرطة قال تقدم اليك رجلان قد شج الآخر موضحة وشجه الآخر مأمومة كم بينهما من الابل قال لا أدري قال لست بكاتب شرطة فقلت فسر ما قلت قال أما الرجل الذي تزوجت أمه فتكتب اليه ان الأقدار تجري بخلاف محاب المخلوقين وستر في عانية خير من شائة في أهلها والله يختار للعباد فخار الله لك في قبضها اليه فان القبور أكرم الأكفاء وأما القراح فتمسح اعوجاجه ثم تنظر مبلغ الطرفين فتضرب بعضه في بعض فاذا استوى في يدك عقده رجعت الى المستوى فضربته فيه حتى يخرج سواء وأما الحرة والسرية فيذاق لبنهما فأيهما كانت أحد لبناً فالابن لها وأما الجند فتكتب هذا أحمد الأعلم وهذا أحمد الأفلح وأما الشجة ففي المأمومة ثلاثة وثلاثون من الابل وفي الموضحة خمس من الابل فترد عليه ما بين ذلك قلت ألست تزعم أنك حائك قال أنا حائك كلام قعد بي الدهر فخرجت أريد بعض القرابة فصادفته قد صرف عن العمل فبقيت على هذه الحالة قال فدعوت الحجام فنظفه ودعوت له بثلاث خلع وصرت به الى الرخجي وكلمته في أمره فوهب له خمسين الف درهم وحمله على ثلاثة من الظهر ورجعت الى أمير المؤمنين بالأموال فقال يا عمرو ما رأيت في طريقك فأخبرته بقصة الرجل فأطال التعجب منه وقال مافعل قلت يصير الي في كل يوم قال لما يصلح من الأعمال قلت للهندسة قال فوله قال عمرو فنظرت اليه بعد ذلك وهو يركب في موكب عظيم . . البيهقي قال البحتري كنت قاعداً مع المتوكل اذ مرت سحابة فقال قل فيها فقلت

ذاتُ ارتجاجٍ بحنينِ الرعدِ جرورةُ الذيلِ صدوقُ الوعدِ
مسفوحةُ الدمعِ بغيرِ وجدِ لها نسيمٌ كنسيمِ الوردِ
ورنةٌ مثلُ زئيرِ الأُسْدِ ولمعُ برقٍ كسيوفِ الهندِ
جاءتْ بهِ ريحُ الصبا من نجدِ فانتثرتْ مثلَ انتثارِ العقدِ

فأضحت الأرضُ بعَيشٍ رغِدِ كأنما غُدرانها في الوَهْدِ

* يَلعَبنَ من حَبابها بالنَّردِ *

ثم أنشدته لمروان بن أبي حفصة

لما سَمِعتُ بيعةٍ لمحمدٍ شفتِ النفوسَ وأذهبت أحزانَها

بايعتُ مغتبطاً ولو لم تنبسطْ كفي لبيعتِهِ قطعت بَنانهــا

حتى انتهيت الى قوله

رَجحت زُبيدةُ والنساءُ شوائلٌ واللهُ أرجحَ بالتقى ميزانهــا

فصاح بي صَيحةً فقال كذبت وأثمتَ يا عربدة قلْ رجحت قبيحة ثم قال أنشــدني فأنشدته للطائي

لستُ لِرَبعٍ عفــا ولا قِدَمِهِ ولستُ من كاتبٍ ولاقلمِهِ

فانَّ مَن يفخرُ الملوكُ بهِ وليس تعيرُ الكريمُ من كرمِهِ

ألحقني بالملوكِ مُعتصمٌ باللهِ والمسلمون في عِصمِهِ

خلقتَ من طينةٍ مباركةٍ فلبر من خيمِهِ ومن شِيَمِه

ما زالَ احســانُهُ ونعمتُهُ عليَّ حتى غرقتُ في نعمِه

فأسألُ اللهَ فضــلَ نعمَتِه والأمنَ من بأسِهِ ومن نقَمِه

فلما سمعها ارتاح وقال أحسنت والله وما جزاؤك الا أن أقطعك من موضعك الى حيث تبلغ أمنيتك فسل تعط قال ففكرت ساعة ثم قلت تعطيني فتراً في فتر من قلبك فقال أحسنت أحسنت أنت والله في هذا أشعر من الطائي في شعره ثم قال أنشدني فأنشدته للحسين بن الضحاك

كمْ لك لما احتملَ القطينُ من زَفرة يتبعها الأنينُ

وعَبرَةٍ تحدُرُها الشؤون إني ببغــدادَ لمُستكينُ

حظُّ الغريبِ الشوقُ والشجونُ يا لائمي لكل يوم هونُ

إليــكَ عنّي انني مفتــونُ أشعر مني كاسدٌ ودونُ

وحانَ من تحريكه تسكينُ قد رَكبَتْ أربابها الديونُ

بضاعةٌ أكسدَها المأمونُ إمامُ عدلٍ للتقى أمينُ

قال أحسنت يا أبا عبادة فما ذا فعل به المأمون بعد إذ هجاه قلت أعيذك بالله من أن يجسر على هجاء المأمون قال فمن القائل فيه

ولا فرحَ المأمون بالملك بعدَهُ ولا زالَ في الدنيا طريداً مُشرَّدَا

قلت يا أمير المؤمنين دعاه الموقُ والحين الي هذا قال لا بأس فانه قد تلا في هذا الكلام قوله

وأى الله عبدَ الله خير عبادِهِ فملّكه والله أعلم بالعبدِ

قال فقلت يا أمير المؤمنين أثقلت ظهري بالفوائد فقال إنا نأخذ ونعطي وأنى بما يحيي المهج

مساوي من ذم الادب

قال بعضهم كثرة الأدب في غير طاعة الله قائدة لذنوب * وقال ما أحد زيد في عقله الا انتقص من رزقه وأنشد في ذلك

ثنتان من أدواتِ العلم قد ثنتا عان شأوي عمارمتُ من همي

أما الدواة فأضنى حُبها بدني وقلّمَ المالَ منى حرفةُ القلمِ

والعلمُ يعلمُ أني حين أندبهُ لدفع نائبةٍ خلوٌ من العصمِ

ولآخر وقيل انه للخليل بن أحمد

ما ازددتُ في أدبي حرفاً أسّرّ به إلّا تبينتُ حرفاً تحتهُ شومُ

إنّ المقدّم في حزق بصنعتهِ أنى توجه فيها فهو محرومُ

مساوى اللحن

قال يونس بن حبيب النحويّ أول من أسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها أبو الاسود الدئلي واسمه ظالم بن عمرو فقال له الحجاج أتسمعني ألحن على المنبر قال كلا الأمير أفصح العرب قال أقسمت عليك قال حرفاً واحداً تلحن فيه فقال وما هو قال في القرآن

قال ذاك أشنع له فما هو قال تقول لو كان آباؤكم وأبناؤكم حتى تبلغ أحبّ اليكم من الله ورسوله تقرؤهابالرفع قال فقال لهلاجرم لاتسمع لي لحناً أبداً فنفاه الى خراسان وعليها يزيد بن المهلب فكتب يزيد الى الحجاج انا لقينا العدو وفعلنا وصنعنا واضطررناهم الى عُرعُرة الجبل فقال الحجاج مالابن المهلب ولهذا الكلام فقيل طالم بن عمرو هناك قال فذاك اذاً ٠ قال وقال المأمون وقد سمع من بعض ولده كلاماً أسرع فيه اللحن الى لسانه ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين مشهده ويتملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه ويفل حجيج خصمه بسَنان حكمته اويسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمته ولا يزال اسير كلمته قاتل الله القائل حيث يقول

ألم تر مِفتاح الفؤاد لسانهُ اذا هو أبدى ما يقولُ من الفم
وكائن ترى من صامت لك مُعجبٍ زيادته أو نَقصُهُ فى التكلم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ ولم يبقَ إلّاصورة اللحم والدّم

وفى الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح لسانه ٠٠ قيل وكتب غسان بن وُفيع الى أبي عثمان بكر بن محمد المازنى النحوىّ

تفكّرت فى النحو حتى مَللتُ وأتعبتُ نفسى به والبدنْ
وأتعبت بَكراًوأصحابهُ بطول المسائل في كل فنْ
فكنتُ بظاهره عالماً وكنتُ بباطنه ذا فِطنْ
خلا أنّ باباً عليه العفا ء للفاء ياليتهُ لم يكُنْ
وللواو باب الي جنبهِ من المقت أحسبهُ قدلُعنْ
اذا قلت هات لماذا يُقا لُ لستُ بآتيك أو تأتيَنْ
أجيبوا لما قيل هذا كذا على النصب قالوالإضمارأنْ

قال وكان الوليد بن عبد الملك لحّانة فدخل عليه اعرابي فقال من ختنَك قال رجل من الحيّ لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز ان أمير المؤمنين يقول من ختنُك فقال هاهو ذا بالباب فقال الوليد لعمرما هذا فقال النحو الذى كنتُ أخبرُك عنه فقال لاجرم لا أصلي بالناس حتى أتعلمه ٠٠ وسمع اعرابى رجلا يقول أشهدأن محمداً رسولَ الله فقال

يفعل ماذا . . قال وقال مولى لزياد أيها لأمير أخذوا لنا حمار وحش فقال له ما تقول ويحك فقال أخذوا لنا إيراً فقال زياد الاول خير . . قال وجاء رجل الى زياد فقال ان أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من ميراثك فلا رحم الله أباك حيث ترك ولداً مثلك . . قال وعزم رجل من أهل الشام على لقاء المأمون فاستشار رجلا من أصحابه فقال على أى جهة أصلح أن ألقى أمير المؤمنين قال على الصاحة قال ليس عندى منها شئ وانى لألحن فى كلامى كثيراً قال فعليك بالرفع فانه أكثر مايستعمل فدخل على المأمون فقال السلام عليك يا أميرُ المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال يا غلام اصفع فصُفع قال بسمُ اللهُ فقال ويلك ما أصبك بالرفع قال وكيف لا أرفع من رفع الله فضحك وقضى حاجته . . قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب قُما فقد أوذيتما أميرُ المؤمنين فقال عمر أنت والله أشد إيذاء اليّ منهما . . وعن أبى داود قال أرسل المعتصم الى أشناس فطلب منه كلب صيد فوجه به اليه فرده وهو يعرج فكتب اليه أشناس بشعر قاله

الكلب أخذتَ جيدٌ مكسورَ رجلٍ جبتَ
رُدّ جيدٌ كما كلبٌ كنتَ أخذتَ

فكتب اليه المعتصم

الكلبُ كان يعرُجُ يومَ الذى به بعثتَ
لو كان جاء خبراً خبر رجل كلبٍ أنتَ

قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن قضى لكم الأمراء على أحسن الوجوه وأهنؤها فقال القاسم التمار هذا على قوله

انّ سُلَيمى والله يكلؤها ضَنّتْ بشئ ما كان يَرزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر . . قال وكان زياد النبطيّ شديد اللكنة وكان نحوياً فدعا غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال فمن لدن دأوتك فقل لي الى ان جيتنى ماكنت تصنأ يريد دعوتك وتصنع . . قال ومرّ ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن سعيد فقال ياماسرجويه انى أجد فى حلقي بححاً قال هو من عمل بلغم فلما جازه قال ترانى

لا أحسن أن أقول بانم ولكنه قل بالعربية فأجبته بخلافه •• وقال ثمامة بكّر أحمد بن أبي خالد يوما يعرض القصص على المأمون فمرّ بقصة فلان اليزيدي وكان جائعاً فصحّف وقال فلان الثريدى فضحك المأمون وقال يا غلام ثريدة ضخمة لأبي العباس فانه أصبح جائعاً فخجل أحمد وقال ما أنا بجائع ياسيدى ولكن صاحب القصة أحمق وضع على نبرته ثلاث نقطات كأثافي القِدر قال دع هذا فالجوع اضطرك الى ذكر الثريد والقدر فجىء بصحفة عظيمة كثيرة العُراق والودك فاحتشم أحمد فقال المأمون بحياتي عليك إلا عدلت نحوها فوضع القصص ومال الى الثريد فأكل حتى انتهى فلما فرغ دعا بطشت فغسل يده ورجع الى القصص فمرّ بقصة فلان الحمصى فقال فلان الخبيصى فضحك المأمون وقال يا غلام هات جاما فيه خبيص فان طعام أبي العباس كان مبتوراً فخجل أحمد وقال يا أمير المؤمنين صاحب هذه القصة أحمق فتح الميم فصارت كأنها سنّتان قال دع عنك هذا فلولا حمقه وحمق صاحبه متّ جوعا فجىء بجام فيه خبيص فأتى عليه وغسل يده وعاد الى القصص فما أسقط بحرف حتى فرغ •• حدثنا العباس بن جرير قال كان للمهدى خصيٌّ كان به معجبا فضم اليه معلماً نحوياً يعلّمه القرآن وكان الخصيّ عجمياً لا يفصح فقال في هل أتى يوما عبوساً كثيراً وقال في الجن نكعُدُ منها مكاعد للسمع •• فقال النحوى

وانقلُ الجبالِ أهونُ مما كلّفوني من الخصيّ نجاحِ
نقر النحوَ حين مرّ بلحيي ... فالفيتُهُ شديد الجماحِ
قال في هل أتى فأوجع قلبي كثيراً وكدّهُ بالصياحِ

•• وقال رجل من الصالحين انّا أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن لحنا في أعمالنا حتى ما نعرب وأنشد في مثله

أما تراني وأثوابي مُقاربةٌ ليست بخزٍّ ولا من خزّ كتّان
فانّ في المجدِ همّاتي وفي لغتي عُلويّةٌ ولساني غير لحّان

----*--*--*--*--*--*----

محاسن الشعراء

قال الخليل بن أحمد الشعراء أمراء الكلام يجوز لهم شق المنطق واطلاق المعنى ومد المقصور وقصر الممدود •• وقال معمر بن المثنى أبو عبيدة افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بابن هرمة •• وقال أبو عبيدة الشعراء في الجاهلية من أهل البادية أهل نجد منهم امرؤ القيس والنابغة وزهير ودُريد بن الصمة ومنهم كُثيِّر في الاسلام فهؤلاء الشعراء الفحول الذين مدحوا وفخروا وذموا ووصفوا الخيل والمطر والديار وأهلها وأشعر أهل المدن أهل يثرب وأهل الطائف وعبد القيس وليس في بني حنيفة شاعر وأشعر الشعراء ثلاثة امرؤ القيس والنابغة وزهير ثم الأعشى وأشعر الفرسان ثلاثة عنترة بن شداد ودُريد بن الصمة وعمرو بن معديكرب وأشعر الشعراء المقلّين ثلاثة المتلمّس والمسيّب بن علس وحُصين بن حُمام المرّي وأشعر العرب وأجودهم طويلة جمعت جودةً مع طول ثلاثة طرفة بن العبد في قوله

* لخولةَ أطلالٌ ببُرقة ثهمَدِ *

•• والحارث بن حِلّزة في قوله

* آذنتنا ببينها أسماء *

•• وعمرو بن كلثوم في قوله

* ألاَ هُبّي بصحنكِ فاصبحينا *

وأشعر أهل زماننا ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل •• قيل وسئل الأخطل أيكم أشعر فقال أنا أخرنا الفرزدق وأمدحنا وأوصفنا للخمر أنا وأسهبنا وألسبنا وأسبّنا جرير وأرجز الرجّاز في الاسلام وقبله العجاج فانه فتح أبواب الرجز واستوقف ووصف الديار وأهلها ووصف الخيل والمطر ومدح وذمّ فذهب في الرجز مذهب امرئ القيس في القصيد وهو أرجز الرجّاز وقد قيل أرجز الرجّاز ثلاثة العجّاج وابنه رؤبة وحميد الارقط •• وقال بعضهم أبو النجم العجلي وأجود الاراجيز قول رؤبة

* وقاتمِ الأعماق خاوي المخترقْ *

•• وقول أبي النجم

* الحمدُ لله الوهوبِ المجزل *

قيل وقال مسلمة بن عبد الملك لخالد بن صفوان صفْ لنا جريراً والفرزدق والأخطل فقال أصلح الله الأمير أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم غزلا وأحلاهم معاني وعللاً الطامي اذا زخر والحامي اذا زأر والسامي اذا نظر الذى ان هدَر قال وان خطر صال وان طاب نال الفصيح اللسان السبّاق في الرهان فالفرزدق وأما أهتكهم ستراً وأغزرهم بحراً وأرقهم شعراً والاغرّ الابلق الذي ان طلب لم يُسبقْ وان طُلب لم يلحق الواصف للفرسان الناعت للاظعان بحلاوة وبيان فجرير وأما أحسنهم نعتاً وأقلهم فوتاً وأمدحهم بيتاً الذى ان هجا وضع وان مدح رفع وان حاز أقطع البعيدُ المتان الماضى الجنان المداح للسلطان فالأخطل وكلهم أصلح الله الامير طويل النجاد رفيع العماد ذكيّ الفؤاد •• قال فصفْ لنا الشعراء العشرة قال فصفهم مفسرةً •• أما أحسنهم نسيبا وتشبيبا وأشدهم تأليبا فامرؤُ القيس •• وأما أنجاهم مقالا وأنبلهم رجالا وأكرمهم فعالا فزهير •• وأما أرجحهم كلاما وأنبلهم مقاما وأشرفهم أياما فأوس بن حجر •• وأما أفصحهم لسانا وأثبتهم بنيانا وأشدهم اذعاناً فالنابغة •• وأما أطردهم للصيد وأجحشهم في الكيد وأدرجهم في القيد فعديّ بن زيد •• وأما أوصفهم للسلاح وأنعتهم للقداح والحرب ذات الكفاح فابن مقبل •• وأما أوصفهم للسنين وأكسبهم للمئين وأمدحهم أجمعين فالحطيئة •• وأما أهجاهم للرجل وأبذّهم في المقل وأضربهم للامثال فطرفة •• وأما أعفهم عن الكأس وأحضّهم على البأس وأصدقهم عند الناس فسلامة بن جندل •• قال وقال العتابي في ذكر أبي نواس لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فُضّلَ عليه أحد •• وقال أبو عمرو بن العلاء أشعر الناس في صفة الخمر ثلاثة الاعشى والاخطل وأبو نواس •• وقال ابراهيم النظّام كأنما كُشف لأبي نواس عن معاني الشعر فاختار أحسنها •• وقال أبو عبيدة أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للأوائل هو فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني

في مدح الشعراء

قال لما قال حسّان بن ثابت للحارث بن عوف المرّى وهو مشرك

وأمانةُ المرّيّ حيثُ لقيتَهُ   مثلُ الزجاجةِ صَدْعُها لم يجبر

قال الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد أجرني من شعر حسان فوالله لو مزج به البحر لمزجه .. قال وكان كعب بن مالك ينشد رسول الله صلي الله عليه وسلم

قَضينا من تِهامَةَ كلّ رَيْبٍ   وخيْـبرَ ثم أجمَعنا السُّيوفا

نخـبرُها ولو نطقَتْ لقالتْ   قواطِعُهنّ دَوْساً أوْ ثَقيفا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أسرعُ فيهم من السهم في غَلَس الظلام .. قال ولما أنشد عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فثبّتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ   تثبيتَ موسى ونَصراً كالذى نُصرا

أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم متبسّماً ثم قال وإياك فثبّت الله وهو الذى يقول يوم مؤتة

أقسمتُ يانفسِ لتنزلنّه   طائعة أوْ لتكرَهِنّه

* مالى أراكِ تكرَهين الجنّة *

قال وحدا رجل برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول

تالله لولا اللهُ مااهتدينا   ولا تصـدّقنا ولا صَلّينا

فأنزلَنْ سَكينةً علينـا   وثبّتِ لأقدامَ ان لاقينا

والمشركونَ قد بَغَوْا علينا   اذا أرادُوا فتنةً أبيْنا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقولها قال أبي قال يرحمه الله

مساوى الشعراء

قيل ليس أحد من الناس آكل للسحت وأعلق بالكذب ولا أوضع ولا أطمع

ولا أقلّ نفساً ولا أدنى همة من شاعر ولذلك قال أبو سعد المخزومي

الكلبُ والشاعرُ في حالةٍ ياليتَ أني لم أكُنْ شاعرَا

هلْ هوَ إلاّ باسطٌ كفّهُ يَستطعِمُ الوارِدَ والصادرَا

قال ولما قال الهذيل الأشجعي فى عبد الملك بن مروان

اذا ذاتُ دَلٍّ كلّمتْهُ بحاجةٍ فهمّ بأنْ تُقضى تنحنح أوْ سعَلْ

قال عبد الملك أخزاه الله فلربما جاءنى السعلة والنحنحة وأنا وحدى فى المتوضأ فاذكر قوله فأردّها •• قال ولما قال الشاعر فى شهر بن حوشب

لقدْ باعَ شهرٌ دينهُ بخريطةٍ فمنْ يأمنُ القُرّاء بعدَكَ ياشهرُ

فلف لايمس خريطة حتى مات •• قال وقال الفرزدق مادخلت مسجداً قط أريد الصلاة ونظرت الى سواريه الاّ ذكرتُ قول جرير

ودّتْ فُقيرَةُ أنّ مسجدَ قومها كانتْ سواريَهُ أيورُ بغالِ

وانه لم ينظر فى المرآة الا ذكر قوله

لها برَصٌ بجانبِ إسكتيها كعنفقةِ الفرزدقِ حينَ شابا

•• ويروى ترى برصاً •• وقال كعب بن جُعيل مكثتُ دهراً أهجو الناس ولا أُهجى حتى انبرى لى غلام من تغلب فقال

تَسمّيتَ كعباً بشرّ العظامِ وكانَ أبوكَ يُسمّى الجُعَلْ

وأنتَ مكانُكَ منْ وائلٍ مكانَ القُرادِ من استِ الجملْ

فما رفعت رأسى حتى الساعة

ذكر من كره الشعر

قال اسحاق بن سليمان الهاشمى دخلت على المنصور يوما والايوان قد غصّ بأهله فقال بلغنى انك تقول الشعر قلت نعم ياأمير المؤمنين قال فانشدنى شيئاً منه فأنشدته قصيدة طويلة فيها مديح له فلما فرغتُ قال يابنيّ مالك ولا دع ايالك واياه واحذر الهجاء

فانهما لا يُشبهانك وعليك من الشعر بالبيتين والثلاثة تقول ذلك تطرّباً وتذكر فيه فضلا وتحبباً •• قال وقال معاوية بن أبي سفيان لعبدالرحمن بن الحكم يابن أخي انك قد لهجتَ بالشعر فاياك والتشبيب فتهجن به كريماً والهجاء فتثير به لئيماً واياك والمدح فانه كسب الخسيس ولكن أفخر بمآثر قومك وقل من الأمثال ماتزين به نفسك وتؤدّب به غيرك فان لم تجد بُدًّا من المديح فقل كما قال الاول

أحللتُ رَحلي في بني ثُعَلٍ ... انّ الكريمَ للكريمِ محَلّ

•• قيل وسئل رجل عن الشعر فقال أسرَى مرُوءة الدنيّ وأدنى مروءة السرى

ماقيل فى ذم الشعر

قال الاصمعي أنشد رجل بشّاراً العقيليّ بيت الطرمّاح

فما للنوَى لابارَكَ اللهُ فى النوَى ... وهمّ لنا منها كهمّ المرَاهِنِ

فقال ان هذا البيت لو نبت عليه الشاة لأكلته يعنى إعادته النوى فى البيت مرتين فقلت صدق بشّار إعادة الأسماء فى بيت أكثر من مرة عِيّ •• قال وكتب محمد بن أبى عون الى محمد بن عبد الله بن طاهر

قدْ بعثنا بزَهرةِ البُستان ... بكرَ ماقدْ أتى من الرَّيحانِ

ياسميناً ونرجساً قدْ بعثنا ... وبَعثنا بسوْسَنِ البُستانِ

فقرأها محمد وقال ثلاث مرات قد •• وكتب اليه

عونُ دقّ الالهُ منْ فيكَ أسنا ... نُ وأقصاهُ ياعَييّ اللّسانِ

حشْوُ بيتيكَ فيه قدٌ وقدٌ ... قدّكَ اللهُ بالحُسام اليماني

ومنه مضاحيك الشعر

قيل دخل رجل على الرشيد فقال يأمير المؤمنين انى هجوت الرّوافض قال هات فقال

شمساً ورَغماً وزَيتوناً ومَظلمةً رِمنْ أنْ ينالوا من الشيخيْنِ طغياناً

فقال فسّرْ فقال ياأمير المؤمنين أنت فى مائة الف لاتفهم هذا فأفهمه وأنا وحدى فضحك وأمر له بصلة ٠٠ الحمدوني قال أتاني رجل فقال قلت شعراً أحب أن أعرضه عليك فقلت هات فقال

انّ لى حُباً شديداً ليسَ يُنجيهِ الفِرارُ

فقلت نم هو شعر فقال

انّ منْ أفلتَ منهُ لابس ثوبَ المخازى

فقلت ذاك راء وهذا زاي قل لاتنقطه فقلت فهبى لم أنقطه ذك مرفوع وهذا مخفوض قل ياأحمق أنا أقول لاتنقطه وأنت تسجعه ٠٠ وجاء رجل الى حاجب ابراهيم بن اسماعيل عامل المدينة فقال أدخلني عليه فانى قد مدحته ولك نصف مايصلني منه فقال أنشدني ماقلتَ فيه فقال لاأفعل قال لاأدخلك قال فانى أنشدك قال هات قال قلت

كاد الأميرُ على تكرُمِهِ أن لا يكونَ لأمّه بظرُ

فقال الحاجب ياماصّ بظر أمه كان يعطيك ستمائة سوط لى منها ثلاثمائة امض الى حرَقِ الله وناره

محاسن المخاطبات

قال ذكروا ان ابن القِرِيّة دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال من هؤلاء الفتية يا أميرالمؤمنين قال ولد أمير المؤمنين قال باركالله لك فيهم كما بورك لأبيك فيك وبارك لهم فيك كما بورك لك فى أبيك فحشا فاه دراً ٠٠ قال وقال عمارة بن حمزة لأبى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرّك فو الله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرنّ شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك ٠٠ قال ودخل شبيب بن شبة على المهدىّ فقال يا أمير المؤمنين ان الله جل وعز حيث قسم الدنيا لم يرض لك الا بأرفعها وأشرفها فلا ترض لنفسك من الآخرة الا بمثله

مارضي لك من الدنيا وأوصيك يا أمير المؤمنين بتقوى الله فانها عليكم نزلت ومنكم قُبلت واليكم تردّ .. قال وقال ابراهيم الموصلي للهادي وقد غناه صوتاً أعجبه ان من كان محله من الانبساط وتقارب المرام محلّي جرّأه البسط على الطلب وبعثته المنادمة على الرجاء وقد نصب لي أمير المؤمنين لقربي منه مشارع الرغبة وحثّني مكان حالي عنده على الكروع في النهل من يده فقال له سل حاجتك شفاهاً فاني جاعل قبلي اجابتك اليه حاضرا فسأله قيمة ضيعته الف الف درهم فأعطاه الف الف درهم .. قيل ودخل اسحق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال كيف حالك فقال

سَواميَ سَوامُ المكثرين تجملاً ... ومالي كما قد تعلمين قليلُ

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصري ... فذلكِ شيءٌ ما اليه سبيلُ

وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغنى ... ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ

أرى الناس خلاّن الجواد ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليلُ

فقال الرشيد هذا والله الشعر الذي صحّت معانيه وقويت أركانه ولذ على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين الف درهم قال اسحاق كيف أقبل صلتك يا أمير المؤمنين وقد مدحت شعري بأكثر مما مدحتك قال الأصمعي فعلمت انه أصيد للدرهم مني .. قال وقال المأمون لابراهيم بن المهدي شاورت في أمرك فأشاروا على بقتلك فقال اما أن يكونوا نصحوك فيما جرت به السياسة وحكمت به الرياسة فقد فعلوا ولكنك تأبى أن تستجلب النصر الا من حيث عودك الله فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فليس لك نظير وان جرمي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أنطق فيه بعذر وعفو أمير المؤمنين أجل من أن يفي به شكر فقال المأمون مات الحقد عند هذا العذر فاستعبر ابراهيم وبكى فقال له المأمون مالك قال الندم اذ كان ذنبي الى من هذه صفته في الانعام عليّ .. وحدثني سعيد بن مسلم قال قال المأمون لابراهيم بن المهدي بعد المؤانسة واخراج ما كان في قلبه عليه يا عم ما الذي حملك على منازعة من جرى قدر الله عز وجل له بتمام أمره واصلاح شأنه قال طلب صلاح حالي يا أمير المؤمنين وتوفير مااتسعت يداي على خالقي ورازقي قال فقدر [illegible] لك [illegible] قال اذ [illegible] حيث تحب

ويجرى حكمك علىّ وفىّ كما يجرى فى أحد عبيدك وقد قلت فى ذلك

أرى الحر عبداً للذى يَهَبُ كفّهِ   شَراهُ بما قد غاظَهُ غايةَ الحمدِ
على أنّ مِلكَ الحرّ أسنى ذريعه   الى المجدِ من مالٍ يُصانُ ومن عبدِ
وان خصّ بَيعُ مِلكِ حُرٍّ بنعمةٍ   اذا قورنتْ بالشكر قارنها المجدُ

فقال لئن كان ذلك كذلك انى لأهل أن أرفعك بمواد نعمى عليك عن أن يقال هذا فيك أو تمتهنك عين أحد بذلة .. قال ودخل المأمون ذات يوم الى الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت يا غلام قال يا أمير المؤمنين الناشئ فى دولتك والمتقلب فى نعمتك والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء فقال المأمون بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول يُرفع عن مراتب الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة الف درهم معونة له ففعل به ذلك .. قال ودخل يزيد بن جرير على المأمون وكان وجد عليه فقال أيزيد قل نعم يا أمير المؤمنين غذىّ نعمتك وخرّيج صنيعتك وغرس يدك الذى لم يشركك فيه مصطنع ولم يسبقك الى تخريجه أحد ولم أزل يا أمير المؤمنين بعفوك بعد سخطك راجياً وببصيرة رأيك فى الانفراد بردّى الى ما عودتنى واثقاً حتى أقامنى الله جل وعز هذا المقام الذى فيه ادراكى أملى ونيلى محبتى فان رأى أمير المؤمنين أن يشهرنى برضاه كما شهرنى بسخطه فعل ان شاء الله فقال قد رضى عنك أمير المؤمنين .. قال ووصف يحيى بن خالد الفضلَ بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن مذهبه وجودة معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال يوماً ليحيى أدخِل الىّ هذا الغلامَ المجوسىّ حتى أنظر اليه ففعل يحيى ذلك فلما مثل بين يديه وقف وتحيّر وأراد الكلام فأُرتجَ عليه وأدركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظر منكرٍ لما كان تقدم من تقريظه إياه فانبعث الفضل فقال يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلالة على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده فقال له الرشيد أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن وان كان هذا شئ أدركك عند انقطاعك انه لأحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شئ الا رآه مقدّماً فيه مبرزاً فضمه الى المأمون فى ذلك اليوم .. وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند ووعده

تعجيل انفاذها فتأخر ذلك عليه يا أمير المؤمنين هب لوعدك تذكراً من نفسك وهب سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حاثاً على اصطفاء شكر الطالبين لتشهد القلوب بحقائق الكرم والألسن بنهاية الجود فقال قد جعلت اليك اجابة سؤالى عني بما ترى فيهم وأخذتك بالتقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار ولا معاودة فى اخراج الصكاك من أخصر المال متناولا قال اذاً لا تجدنى فى معرفتى بما يجب لأمير المؤمنين لاهيا بما يديم له حسن الثناء ومن دعائهم طول البقاء •• قال وقال الفضل بن سهل للمأمون يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لماء وجوه خدمك عن اراقته فى غضاضة السؤال فقال المأمون والله لا كان ذلك الا كذلك •• قال ودخل العتابى على المأمون فقال يا أبا كلثوم خُبّرت بوفاتك فغمّتنى ثم جاءتني وفادتك فسرّتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أو بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك فقال سلنى عما بدا لك قال يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة ••قال وتكلم المأمون يوماً فأحسن فقال يحيي بن أكثم يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك إن خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجم فأنت هرمس فى حسابه أو فى الفقه فأنت على بن أبي طالب رضى الله عنه فى علمه وان ذكر السخاء كنت حاتماً في جوده أو الصدق فأنت أبو ذر فى صدق لهجته أو الكرم فأنت كعب بن مامة فى ايثاره على نفسه أو الوفاء فأنت السموءل بن عاديا فى وفائه فاستحسن قوله وتهلل وجهه •• قال وقال ابراهيم بن المهدى للمأمون يا أمير المؤمنين ليس للعافى بعد القدرة عليه ذنب وليس للمعاقب بعد الملك عذر قال صدقت فما حاجتك قال فلان قال هو لك •• قال وقال الواثق يوماً لأحمد بن أبي دؤاد وقد تضجّر بكثرة حوائجه قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك والمتوصلين اليك فقال يا أمير المؤمنين نتائج شكرُها متصل بك وذخائر أجرُها مكتوب لك ومالى من ذلك لا عشق الألسن لخلود المدح فيك فقال يا أبا عبد الله والله لا منعتك ما يزيد فى عشقك وتقوى به منتك اذ كانا لنا دونك وأمر فأخرج له ثلاثون الف دينار يفرقها فى الزوّار •• قال وقدم أبو وجزة السّلَمي على المهلب بن أبي صفرة فقال أصلح الله الأمير انى قطعت اليك لدهناء وضربت اليك أكباد الابل من يثرب فقال هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة أو عشرة قال لا

ولكني رأيتك لحاجتي أهلا فان قمت بها فأهل ذلك أنت وان يحُل دونها حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يُعطى ما في بيت المال فوجد فيه مائة الف درهم فدفعت اليه فأنشأ يقول

يامَنْ على الجودِ صاغَ اللهُ راحتَهُ فليسَ يُحسِنُ غيرَ البذلِ والجودِ
عمَّتْ عطاياكَ مَن بالشرقِ قاطبـةً وأنتَ والجودُ مَنحوتانِ من عودِ

قال ودخل الكوثر بن زُفر على يزيد بن المهلب فقال أصلحك الله أنت أعظم قدراً من أن يستعان عليك و يستعان بك لست تفعل من المعروف شيئاً الا وهو أصغر منك وليس من العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل قال سل حاجتك قال تحملت عن قومي عشر ديات وقد نهكتني قال قد أمرنا لك بها وأضعفناها بمثلها فقال الكوثر ان ماسألتك بوجهي لمقبول منـك وأمامابدأتني به فلا حاجة لي فيه قال ولم وقد كفيتك ذل السؤال قال لأني رأيت الذي أخـذته مني بمسألتي اياك أكثر مما نالني من معروفك فكرهت الفضـل على نفسي قال يزيد فأنا أسألك بحقـك عليّ فيما أملتني له من انزالك الي الاّ قبلتها فقبلها

مساوي المخاطبات

قيل دخل أبو علقمة النحويّ على أعين الطبيب فقال له اني أكلت من لحوم هذه الجوازئ فطسئت طسأة فأصابني وجع ما بين الوابلة الي دأية العنق ولم يزل يربو وينمو حتى خالط الخِلب والشراسيف فهـل عندك دواء قال نعم خذ خرَبقا وشلفقا فزقزقه واغسله بماء روث واشربه قال لا أدري ما تقول قال ولا أنا ما أدري ما تقول •• وقال له آخر اني أجد معمعة في بطني وقرقرة فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهو ضراط لم ينضج •• قيل وأتى رجل الى الهيثم بن عريان بغريم له قد مطله في حق له فقال أصلح الله الأمير ان لي على هذا حقاً قد غلبني عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا باعني عنجدا وقد استنسأته حولا وشرطت ان أعطيه مياومة فهو لايلقاني

فى لقم الا اقتضانى فقال له الهيثم أمن بنى شيبة أنت قال لا قال فمن بنى هاشم قال لا قال فمن أكفائهم من العرب قال لا قال ويلى عليك إنزع ثيابه يا حرسى فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان ازارى مرعبل فقال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه في هذا الموضع •• قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مِرَّة فوثب عليه قوم وأقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم وقال مالكم تتكأكؤن علىّ كما تتكأكؤن على ذى جِنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه هندى يتكلم بالهندية •• وقال مرة لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزاً ومصك نهزاً ولا تكرهن أبياً ولا تردن آتياً فوضع الحجام محاجمه فى جؤنته ومضى

محاسن المكاتبات

قال وقال كعب العبسى لعروة بن الزبير قد أذنبت ذنباً الى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شئ فاكتب اليه فكتب لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب بأن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله فى وصدق ثقتى بك منعما للشكر مبتدئاً بالنعمة فكتب اليه الوليد قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندى الذي تحب ان لم تقطع كتبك عنى فى أمثاله وفى سائر أمورك •• قال وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه أما بعد فقد عاقنى الشك عن عزيمة الرأي ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب فأطمعنى أولك في إخائك وآيسنى آخرك من وفائك فلا أنا فى غير الرجاء مجمع لك اطراحاً ولا فى غدو انتظار منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأى فيك فاما أقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف •• قال وسخط مسلمة بن عبد الملك

على العريان بن الهيثم فعزله عن شُرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه ان من حفظ نعم الله رعاية حق ذوى الأسنان ومن اظهار شكر الموهوب له صفح القادر عن الذنوب ومن تمام السؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من نعمك فسلبتها عجلةُ سُخطك وما أنصفته اذ غضبته على أن وليته ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك نصيباً ولا تخرجه من حسن رأيك فيضيع ماأودعته ويتوى ما أفدته فعفى عنه •• قال وغضب سليمان بن عبدالملك على أبى عبيدة مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه أما بعد فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عن أن تعصيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسلمين فرضى عنه •• قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها وماطله ببعض فكتب اليه أما بعد فقد تركتنى منتظراً لرفدك وصاحبُ الحاجة محتاج الى نعمْ هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسنُ من المطال الطويل وقد كتبت

بسطتَ لسانِي ثمّ أوثقتَ نصفَهُ فنصفُ لسانى بامتداحكَ مُطلَقُ
فان أنتَ لم تُنجز عِداتى تركتَنِي وباقى لسانِ الشكرِ باليأسِ موثَقُ

قال ولما بني المهدى بِريطة بنة أبى العباس كتب اليه يحيى بن سعيد بن قيس الانصارى أدام الله لك جميل عاداته عندك وأوتر ما يجرى به القدر لك ولا زالت يد الله تحوطك فى المحبوب وتدرأ عنك المكروه وهنئت بهذه النعمة ومليتها آمنا من زوالها بطول البقاء والمدة فقالت له ريطة مالهذا الكلام ثمن فقال وكيف ونحن أطلقنا باحساننا اليه والعامنا عليه لسانه فينا وسنزيده من الثواب لثنائه علينا •• قال وأمر الرشيد جعفر بن يحيى أن يعزل أخاه الفضل بن يحيى عن الخاتم ويقبضه اليه قبضاً لطيفاً فكتب الى أخيه قد رأى أمير المؤمنين أن تنقل خاتم خلافته عن يمينك الى شمالك •• فكتب اليه الفضل ما نتقلت عنى نعمة صارت اليك ولا خصتك دونى •• أحمد بن يوسف الكاتب •• قال أمرني المأمون أن أكتب الى الآفاق فى الاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم أدر كيف أكتب لأنه شئ لم أسبق اليه فاسلك طريقته ومعناه فأتانى آت في منامي وقال لى اكتب فان فيها أنساً للمجتهدين وأضاءة للسابلة ونفياً لمكامن الريب وتنزيهاً

لبيوت الله عزّ وجلّ عن وحشة الظلم فكتب بذلك ٠٠ قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون فى رجل من ذي ضبّة يستشفع اليه فى زيادةٍ في منزلته وجعل كتابته تعريضاً أما بعد فقد استشفع بي فلان ياأمير المؤمنين لتطوّلك فى الحاقه بنظرائه من الخاصّة فيما يرتزقون فأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلني فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدّى طاعته والسلام فكتب اليه المأمون قد عرفنا توطئتك له وتعريضك النفسك وأجبناك اليهما ووافقناك عليهما ٠٠ وحدثنا عبد الله بن ميمون قال تأخر الجاري من الرزق لابراهيم بن اسحاق الموصلى عنه فى أيام المأمون فكتب اليه ياأمير المؤمنين مافوق جودك فى العاجلة مرتقى لآمالنا ولا الى غير دولتك متطلّع لقلوبنا فلم تتأخر الافادات عنّا ويعسر نيْلُ المحبوب علينا فقال المأمون ماسمعت فى التصريح والاشارة بالطلب أحسن من هذا وأمر باخراج فائته وبجائزة ثلاثمائة الف درهم ٠٠ قال وأولم المأمون على بعض ولده فكتب اليه ابراهيم بن المهدى لولا ان البضاعة تقصر عن الهمة لاتبعت السابقين الى البرّ وخفت صحيفتها وليس لى فيها ذكر فبعثت بالمبتدأ به ليمنه وبركته والمختوم به لنظافته وطيبه جراب ملح وجراب أشنان ٠٠ وكتب ابراهيم بن المهدى الى صديق له بعث اليه بهديّة لو كانت التحفة على حسب مايوجبه حقّك لأجحف بنا أداء حقك ولكنه على مايخرج من حدّ الحشمة ويوجب الانس وقد بعثت اليك بكذا ٠٠ وحدّثنا أبو الودغ قال أول كتاب ورد على المأمون بالخلافة كتاب الحارث بن سباع الخراسانى فانه كتب اليه قد أظلّنا أمير المؤمنين بخلافته تحت جناح الطمأنينة وبلغنا بها مدى الأمنيّة فأدام الله له من كرامته مايطامن له أقاصى وأداني رعيته وجعله أعزّ خليفة وجعلنا أسمع وأطوع رعية فقال المأمون للفضل بن سهل أتعرف ماقيمة هذا الكلام قال نعم ياأمير المؤمنين قال وماهي قال تلقيك له بالسرور فأعجبه قوله واستحسنه ٠٠ قال وكتب عبد الله بن طاهر الى المأمون من خراسان بعدت داري عن أمير المؤمنين وعن ظلّ جناحه وعن خدمته وان كنت حيث تصرّفت لاأتفيأ الا به وقد اشتد شوقي الى النظر الى رؤيته المباركة والتزين بحضور مجالسه وتلقيح عقلي بحسن رأيه فلا شئ عندي آثر من قربه وان كنتُ فى سعة من

عيش وهبهُ الله جلّ ذكره لي به فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في المصير الى دار السلام لأحدث عهداً بالنعم عليّ وأهنأ بالنعمة التي أقرّها لديّ فعل فأجابه المأمون قربك اليّ يا أبا العباس حبيب وأنا اليك مشتاق وانما بعدت دارك عن أمير المؤمنين بالنظر لك والتخيير لحسن العاقبة فالزم مكانك واتّبع قول الشاعر

رأيتُ دُنُوَّ الدارِ ليسَ بنافعٍ ... اذا كان مابينَ القلوب بَعيدَا

وحدثنا خصيف بن الحارث عن أبي رجاء قال قدم مع المأمون رجل من دهاقين الشاش وعظمائهم على عِدَة سلفت من المأمون له من توليته بلداً وان يضم اليه مملكته فطال على الرجل انتظار خروج المأمون وأمره له بذلك فقصد عمرو بن مسعدة وسأله انفاذ رقعة الى المأمون من ناحيته فقال عمرو أكتب ماشئت فاني أوصله قال فتولّ ذلك عني يكن لك عليّ نعمتان فكتب عمرو ان رأى أمير المؤمنين ان يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته أو يأذن له في الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله تعالى فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فيها قال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما سأل لئلاّ يتأخر فضل استحسانك كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل عمرو ذلك •• وحدثنا اسماعيل بن أبي شاكر قال لما أصاب أهل مكة سنة ثمان ومائتين السيلُ الذى شارف الحجر ومات تحت هدمه خلقٌ كثير كتب عبد الله بن الحسن العلوى وهو والى الحرمين الى المأمون يا أمير المؤمنين ان أهل حرم الله وجيران بيته وأُلاّف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بفيء معروفك من سيل تراكمت احداثه في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال وجرف الأمتعة والأثقال حتى ماترك طارفاً ولا تالدا يرجع اليهما في مطعم وملبس قد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والاولاد والآباء والأجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر لك منهم قال فوجّه اليهم المأمون بالأموال الكثيرة وكتب الى عبد الله أما بعد فقد وصلت شكيّتك لأهل حرم مكة الى أمير المؤمنين فبلاهم الله بفضل رحمته وأنجدهم بسيب نعمته وهو

متبع ماأسلفه اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلاً ان أذن الله جل وعزّ في تثبيت عزمه على صحة نيّته فيهم قال فكان كتابه هذا أسرّ الى أهل مكة من الأموال التي أنفذها اليهم .. قال أحمد بن يوسف دخلت على المأمون يوماً ومعه كتاب يعجب به كتبه الى عمرو بن مسعدة فالتفت اليّ وقال أحسبك مفكراً فيما رأيت قلت لم وقى الله أمير المؤمنين المكروه قال انه ليس بمكروه ولكنى قرأت كلاما نظيرا لخبر خبرنى به الرشيد سمعته يقول البلاغة التقرب من معنى البُغية والتباعد من حشو الكلام ودلالة بالقليل على الكثير فلم أتوهم ان هذا الكلام يُسبك على هذه الصيغة حتى قرأت هذا الكتاب والله لأقضينّ حق هذا الكلام وكان الكتاب استعطافاً على الجند فيه كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقوّاده في الطاعة والموالاة والانقياد على أحسن ماتكون عليه طاعة جند وقد تأخرت أرزاقهم واختلّت أحوالهم قال فأمر باعطائهم لثمانية أشهر .. قال ولما بعث طاهر بن الحسين برأس محمد الأمين كتب اليه آتى الله أمير المؤمنين من شكره مايزيد به في نعمته عليه وأياديه لديه فقد كان من قدر الله جلّ وعزّ في اعانة أمير المؤمنين على الظفر بحقه وسلامة الأولياء ووفاة محمد بن الرشيد مالا دافع له من القضاء في الخلق والاستبداد بالأمر لنفوذ مشيئته فيما أحب من اعزاز واجلال وموت وحياة فهنئ أمير المؤمنين فوائد تطوّل الله عليه وليعزّه عن أخيه الرضا بما يؤل اليه أهل الارض والسماء من الانقراض والفناء فكان المأمون يقول والله لَسرورى بتعزيته أوقعُ بقلبي من تهنئته .. قال وكتب اليه الفضل بن سهل أما بعد فان المخلوع وان كان قسيم أمير المؤمنين فى النسب واللحمة فقد فرق الكتاب بينه وبينه فى الولاية والحرمة لقول الله جلّ وعزّ فيما اقتصّ علينا من نبأ نوح حيث يقول(انه ليس من أهلكَ انهُ عملٌ غيرُ صالحٍ) ولاصلة لأحد في معصية الله ولا قطيعة فيما كانت القطيعة فى ذات الله وكتبت الى أمير المؤمنين وقد قتلَ الله جلّ وعزّ المخلوع وردّاه رداء نكثه وعجّل لأمير المؤمنين ما كان ينتظر من وعده فالحمد لله الذى ردّ الى أمير المؤمنين معلوم حقه وكبتَ المكايد له فى خفر عهده ونقض عقده حتى ردّ بذلك أعلام الدين الي سبيلها بعد دروسها والسلام .. قال وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر أما بعد

فان المأمون أحلّه الله دار كرامته رآك لأكثر الذى أنت له فيه أهلا وقد جمع الله لك الى حسن رأيه كان فيك جميل رأيي لما محضتَهُ من حسن الطاعة وكرم الوفاء وشكر الاحسان وقد اتصلت الاخبار بانك في كفاية من أولياء أمير المؤمنين وأموال خراسان وفى منعة من خاصتك وعامتك عن ان ينالك عدوك أو أحد ممن يخالفك بسوء فاكتبْ بشرح ذلك الى أمير المؤمنين ليعرفه ان شاء الله فلما وصل كتابه قال عبد الله لكاتبه اسماعيل بن حمّاد ماتقول فى هذا الكتاب قال كتاب تعريض بانك خارج من طاعته مالك أمر نفسك دونه قال فأجبهُ عنه فكتب اليه أما بعد يأمير المؤمنين فان حزبَ الله وان قلّوا وأنصار المؤمنين وان ضعفوا فهم الغالبون وما أنا بثيء فى ملاقاة عدوّ أوثق منى بعزّ دَوْلة أمير المؤمنين فأما الأيدي فقليلة والأموال فنزْرَةٌ وفي الله وفي أمير المؤمنين أعظم الغنى فقبل عذره وحسن موقع كتابه منه .. قال وكتب أحمد بن اسرائيل الى الواثق وقد عزله عن ديوان الخراج وأمر بتقييده ليصحح حسابأته يأمير المؤمنين بمَ يستحق الاذلال من أنت بعد الله ورسوله مؤمّل عزّه واليك مفزع أمله ولم تزل نفسه راجيةً لابتداءاحسانك اليه وتتابع نعمك لديه وعينه طامحة الي تطوّلك عليه ورفعك منه والزيادة في الصنيعة اليه فهبْ له يأمير المؤمنين مايزينك واعفُ عما لايشينك فما به عنك مَعدِل ولا على غيرك معوّل فأمر باطلاقه .. قال وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث الي يحيى بن خالد يستعفيه من العمل شكري لك على ماأريد الخروج منه شكرُ من نال الدخول فيه .. وكتب علىّ بن هشام الي اسحاق بن ابراهيم الموصلي ماأدرى كيف أصنع أغيب فاشتاق وألتقى فلا أشتفى ثم يحدث لى اللقاء نوعا من الحرقة للَوْعة الفرقة .. وكتب مَعْقِل الى أبي دُلف فلان جميل الحال عند كرام الرجال وأنت ان لم تَرتبطه بفضلك عليه غلبك فضل غيرك عليه .. وكتب رجل الى أخ له أما بعد فقد بان لنا من فضل الله جلّ وعزّ مالانحصيه لكثرة مانعصيه وما ندرى مانشكر أجميل مانشر أم قبيح ماستر أم عظيم ماأبلى أم كثير ماعفا غير انه يلزمنا في الأمور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله من حسن بلائه بشكرك إياه على حسن آلائه .. وكتب رجل الي أخ له أوصيك

بتقوى الله الذى ابتدأك باحسانه وأتمّ عليك نعمه بافضاله وصبر عليك مع اقتداره ولا يغررك إمهاله فانه ربما كان استدراجا عافانا الله واياك من لاعترار بالامهال والاستدراج بالاحسان ‥ قال وكتب أبو هاشم الحرّانى الى بعض الأمراء عِوَضى من أمل الامير متأخر والصبر على الحرمان متعذّر ‥ وكتب رجل الى محمد بن عبد الله إن من النعمة على المُثنى عليك أن لايخاف الافراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر ان تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهي من المدح الي غاية الاّ وجد في فضلك عوناً على تجاوزها ومن سعادة جدّك ان الداعى لك لايعدم كثرة المادحين ومساعدة من النيّة على ظاهر القول ‥ وكتب رجل الى أبي عبد الله بن يحي رأيتنى فيما أتعاطاه من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر المضيء الزاهر الذى لايخفي على ناظر وأيقنت انى حيث انتهى من القول منسوبٌ الي العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك ‥ قال وكتب المهلّب بن أبي صفرة الي عبد الملك بن مروان لما هزم الشراة أما بعد فانا لقينا المارقةَ ببلاد الاهواز وكانت للناس جولةٌ ثم ثاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله جلّ وعزّ عليهم ونزل القضاء بأمر جاوزت النعمة فيه الأملَ فصاروا ردّية رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم فى جماعة من حُماتهم وذوى الثبات منهم وجلا الباقون عن عسكرهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها تماماً وكمالا والسلام ‥ وكتب المهلب الى الحجاج فى فتح الأزارقةِ الحمد لله الكافى بالاسلام ما وراءه الذى لا تنقطع موادّ نعمته حتى تنقطع من خلقه موادّ الشكر وانا كنا أُعطينا من الله جل وعز على عدونا حالين يسُرّنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله جل وعز يزيدنا وينقصهم ويعزّنا ويخذلهم حتي بلغ الكتاب أجله وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ‥ أخبرنا ابن أبي السرح ان الحجاج أغزى جيشاً فظفروا وان صاحب جيشه كتب اليه الحمد لله الذي جعل لأوليائه امام نصره موعداً قوّى به قلوبهم وقدم الى أعدائه بين يدي خذلانه اياهم وعيداً أرعب به مفاصلهم وزعزع معه قلوبهم فلما بلغ هذا الموضع طوى ماكان لنشره من الكتاب ولم يقرأ ما بعده ثم التفت الى الرسول فقال خبّرنا هذا الكلام

المبتدأ به ان العدو ولىّ من غير حرب فقال صدق الأمير صدّق الله ظنه وأصاب أصاب الله رأيه .. قال وكتب مروان بن محمد الى عبد الله بن على يوصيه بحُرَمه فكتب اليه عبد الله يا مائق ان الحق لنا فى دمك والحق علينا فى حُرَمك .. وكتب علىّ رضوان الله عليه الى زياد بن أبيه لئن بلغنى عنك خيانة لأشدنّ عليك شدة أدعك فيها قليل الوفر ثقيل الظهر .. قال وكتب رجل الى أبي مسلم حين خرج أحسن الله لك الصحبة وعصمك بالتقوى وألهمك التوفيق ﴿ان الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فسرْ فيها راغباً الى الله ورسوله والرضي من هذه الأمة بالكتاب والسنة واعلم ان التقوى أسُّ ما تبنى عليه أمرك فان ضعف الأساسُ تداعى البنيان ودخل الأعداء من كل مكان فتألّفِ الأعلام من الرجال وسرواتهم وتصفح عقولهم ومروآتهم فكلما ارتضيت رجلا فقرّبه عن عزائم رأيه واصرف نظرك الى تصرف حاله فان وجدته على خلاف ما أنت عليه فلا تعجل بالقاء أمرك اليه فتدخله الوحشة منك والنفور عنك لكن اقرعه بالحجة فى رفق وسُقه الى شَرَك الحجة فى لين حتى يتكشف لك ثوب الظلمة عن النور وتظهر لك وجوه الأمور فانه سيكثر أعوانك على الحق ويسهل لك منهاج الطرق فاذا كثرت العدّة من أصحابك وأمكنتك الشدة على أعدائك فحارب الفئة الباغية والائمة الطاغية الذين أباحوا حمى المسلمين وأجروا عليهم أحكام الفاسقين وقادوهم بجرائر المهين واستذلوهم فى البر والبحر واعلم ان من عرف الله جل وعز لم يَرَ لأهل البغي جماعة ولا لأئمة الضلالة طاعة وكلما غلبت على بلدةٍ فامسك عن القتل واظهر فى أهله العدل لتسكن اليك النفوس ويثوب نحوك الناس وينتشر فعلك فى الخاصة والعامة فتستدعى أهواءها وتستميل آراءها وتهش اليك من الآفاق نفوس مرابين الكرم ومصابيح الظُلَم من ذوى الأحساب الكريمة والبيوت القديمة التى شرفها الاسلام وزينها الايمان لتزرع بذلك المحبة فى قلوب العباد ويكونوا لك دواعى فى نواحي البلاد تمم الله لك أمرك وأعلى كعبك .. قال ولما استقامت المملكة لأبرويز وانقضى مابينه وبين بهرام جوبين أمر أن تكتب تلك الحروب والوقائع الى منتهاها ففعلت الكتبة ذلك وعرضته على أبرويز فلم يرض صدره فقال غلام من أولاد الكتاب ان أمر الملكُ كتبت صدره فقال شأنك

فتناول القلم وكتب ان الدهر لم يخلُ في تارات عقبه وتصرفه ووجوه تنقله في حالات من العجائب ولم تنصرم فيه فنونها على طول مداه ولم يزل في تقلّب عصريه وصفحات أزمنته وطبقات أحايينه تحدث فيه جلائل الأمور وغرائب الأنباء وتجم فيه قرون وتعقب فيه أعقاب بعد أسلاف وتعفو آثار وله في تلونه تصريف أنباء معجبة وأحاديث فيها معتبرَ وعظة ومختبر ومن أعاجيب ذلك أمر بهرام بن بهرام ولقبه جور فعرضه على أبرويز فأعجبه ذلك وأمر برفع درجته وتقديمه وتعظيمه

مساوي المكاتبات

قال الجاحظ كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد جعلت فداك برحمته ٠٠ وقرأت على عنوان كتاب لأبي الحسين السمّري للموت لماقبلة ٠٠ وقرأت أيضاً على عنوان كتاب الى ذاك الذى كتب اليّ ٠٠ وكتب بعضهم الى ابن له عايل يا بني اكتب الى بما تشتهي فكتب اليه أشتهي قلنسوة فكتب اليه انما سألتك أن تكتب لي بما تشتهي من الغذاء فكتب اليه أشتهي دهن خل وزبيب فكتب اليه أنزل الله عليك الموت فانك ثقيل ٠٠ قال ونقش بشر بن عبيد الله على خاتمه بشر بن عبد الله يالرحمن لا يشرك فقال أبوه هذا والله أقبح من الشرك

محاسن الخطب

قال خطب خالد بن صفوان خطبة نكاح فقال الحمد لله جامعاً للحمد كله وصلى الله على محمد وآله أما بعد فقد قلتم ما سمعنا وبذلتم فقبلنا وخطبتم فأنكحنا فبارك الله لكم ولنا ٠٠ قال وخطب محمد بن الوليد بن عتبة الى عمر بن عبد العزيز أخته فزوجه وخطب فقال الحمد لله ذي العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء وقد زوجتك على ما في كتاب الله جل وعز (إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ باحسانٍ) ٠٠ وخطب عبد الله بن

جعفر فقال الحمد لله الذي ليس من دونه احتراز ولا لذاهب عنه مجاز السميع المنيع
ذي الجلال الرفيع وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له في سلطانه ولا سمي له
في برهانه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان لكل شئ سبباً
مضت به الأقدار وأحصيت فيه الآثار على وقوع أقضيته وحلول مدته والصهر لسبب
شابك يجمع المختلف ويقرب المؤتلف وفلان بن فلان قد بذل لكم الموجود ووعدكم
الوفاء المحمود فأجيبوه الى ما رغب فيه تحمدوا العاقبة وتدخروا الأجر للآخرة ..
وخطب أبو عبيدة خطبة نكاح بالبصرة وحضره اعرابي فقال الحمد لله أكثر مما
حمدتم وربنا أعظم مما وصفتم ندع الفصول ونتبع الأصول كفعل ذوي العقول وقد
سمعنا مقالتكم وشفعنا خاطبكم وقبلنا ما بذلتم والسلام عليكم .. وخطب اعرابي الى
قوم فقال الحمد لله ولي الانعام وصلى الله على محمد خير الأنام وعلى آله وسلم أما بعد فاني
اليكم معشر الاكفاء خاطب وفي سبب الالفة بيننا وبينكم راغب ولكم علي فيمن خطبت
أحسن ما يجب للصاحب على الصاحب فأجيبوني جواب من يري نفسه لرغبتي محلا ولما
دعتني الطلبة اليه أهلا فأجابه اعرابي آخر أما بعد فقد توسلت بحرمة وذكرت حقاً
وأملت مرجواً فحبلك موصول وعرضك مقبول وقد أنكحنا وسلمنا والحمد لله على ذلك
.. قال وكان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد
فان الله عز وجل جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المتفرقة وجعل ذلك في
سنة من دينه ومنهاج واضح من أمره وقد تزوج فلان بن فلان بفلانة ابنة فلان وبذل
لها من الصداق كذا وكذا فاستخيروا الله وردوا خيراً .. قال وحضر المأمون إملاكاً
فسأله بعض من حضر أن يخطب فقال الحمد لله والمصطفى رسول الله عليه وعلى آله السلام
وخير ما عمل به كتاب الله قال الله جل وعز ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين
من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ ولو لم
يكن النكاح آية منزلة وسنة متبعة الا لما جعل الله جل اسمه في ذلك من تأليف البعيد
وإدناء الغريب لسارع اليه العاقل المصيب وبادر اليه المختار اللبيب وفلان من قد عرفتموه
في نسب لم تجهلوه يخطب اليكم فتاتكم فلانة ويبذل لها من الصداق كذا فشفعوا شافعنا

وأنكحوا خاطبكم وقولوا خيراً تحمدوا عليه وتؤجروا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

مساوي الخطب

قيل واستعمل الوليد بن عبد الملك اعرابياً على بعض مدن الشام فلما صعد المنبر قال الحمد لله أحمده وأستعينه من يهده الله فليس بضال ومن يضلل فأبعده الله أما بعد فو الله لقد ذكر لي انكم تأتون الأندرين فتشربون من خمورها وما الذي عرّضكم أخزاكم الله لما يشين أعراضكم فان كنتم لا بد فاعلين فليشرب الرجل قعباً أو قعبين أو ثلاثة ان كان طيباً ولقد بلغني انكم تأتون بالليل النساء اللواتي قد غاب أزواجهن واني أعطي الله عهداً اني لا أجد رجلا يأتي امرأة ليلا الا قطعت ظهره بالسياط فاذا قدم عليهن أزواجهن فأتوهن حلالا وأيما رجل أصاب في بيته رجلا فليأخذ سلبه فقال له كاتبه أيهما يأخذ سلب صاحبه أيها الأمير فقال أيهما غلب فكانت المرأة تقول لزوجها قد أحل لنا الأمير الزناء ٠٠ وحكي عن جُحى ان أباه قال له دع ما أنت عليه من الجنون والمجون والخلاعة وتزيّن حتى أخطب لك بعض بنات أهل الثروة والشرف فقال نعم يا أبتاه فتزين وتبخر وصار الى مجمع الناس فقعد وهو صامت وقد حضر أشراف الناس وعظماؤهم فقال له أبوه تكلم يا بنيّ فقال الحمد لله أحمده وأستعينه ولا أشرك به حيّ على الصلاح حيّ على الفلاح فقال أبوه يا بنيّ لا تتم الصلاة فاني على غير وضوء

محاسن الامثال

آتيه في البَرْدَيْن ٠٠ يعني قبل أن يشتد الحر وبعد ما يسكن والمعنى فيه أيضاً بالغداة والعشي ٠٠ قال الشاعر

يسِرْنَ الليلَ والبَرْدَيْن حتى　　　إذا أظهرنَ رقّعْنَ الظِلالا

وقولهم هلك في الأحمرين ٠٠ يعنون اللحم والخمر ٠٠ وقولهم انه لعاويل النجادين

يريدون كماله وتمامه فى جسمه •• وقولهم انه لغمر الرداء أى كثير المعروف وأنشد الأصمعي

غمرُ الرداء إذا تبسّمَ ضاحكاً   غلقتْ بضحكتهِ رقابُ المالِ

وقولهم انه لسبطُ البنان اذا كان شجاعاً سخياً •• وقولهم شديد الجفن اذا كان صبوراً على السهر •• وقولهم انه لطيب الحُجزة اذا كان عفيفاً قال النابغة

رِقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتهمْ   يُحيّونَ بالريحانِ يومَ السّباسبِ

وقولهم انه لطاهر الثياب أى ليس فى قلبه غشٌ وقد روى فى تفسير قول الله جل وعز (وثيابَكَ فطهّر) أي طهر قلبك وأنشد

ثيابُ بني عوفٍ طَهارَى نقيّةٌ   وأوجُهُهُمْ بيضُ المشافرِ غُرّانُ

يعنون بثيابهم قلوبهم •• وقولهم انه لطيب الأثواب أى طاهر الأخلاق •• قال بعض الأنصار

ومواعظٌ منْ رَبّنا تهدِي لنا   بلِسانِ أزهرَ طيّبِ الأثوابِ

وقولهم تحسبها حمقاء وهي بأحسن •• يضرب مثلا لمن يظن به الجهل فاذا اختبرته وجدته عاقلا •• وقولهم من أجدب انتجع أى من احتاج طلب •• ويقال ان صعصعة بن صوحان كان يأكل مع معاوية فجعل معاوية يأكل من دجاجة بين يديه فمدّ صعصعة يده فجذب الدجاجة فقال له معاوية انتجعت فقال من أجدب انتجع •• وقولهم من لى بالسانح بعد البارح •• يضرب مثلا لرجل يسيء اليه انسان فيقال له احتمل فانه سيحسن فيما بعد وأصلُ ذلك ان رجلاً مرّت به ظباء بارحةٌ فتطيّر منها فقيل له لاتتطير فانها سوف تسنح لك فقال من لى بالسانح بعد البارح وذلك ان العرب كانت اذا خرجت فمرّت بها ظباء عن يمينها قالت يمن وبركة فاذا مرّت عن يسارها تشاءمت بها وقالت هذا يوم نحس والسانح ماجاء عن يمينك والبارح ماجاء عن يسارك والقعيد ماجاء من ورائك والناطح مااستقبلك

مساوي الامثال

قولهم ذهب منه الأطيبان •• يعنون الشباب والطعم وقالوا هو الأكل والنكاح •• وقولهم نعوذ بالله من الأمرَّين يعنون الفقر والهرم •• ويقال وقيت شرّ الأجوفين يعنون البطن والفرج •• وقولهم أماطِلُه العصرين يعنون الغداة والعشيّ •• وقال الشاعر

أماطِلُهُ العصرَين حتى يملّني ويرضى بنصف الدَّين والأنف راغمُ

وقولهم أفناه المَلَوان يعنون الدهر ومقاساة الغمّ ••وقولهم أبلاه الجديدان يعنون الليل والنهار •• وقال الشاعر

انّ الجديدَين فى طولِ اختلافهما لاينقصان ولكنْ ينقصُ الناسُ

وقولهم فلان قصير يدِ سرباله أى انه قليل المعروف ••وأنشد الأصمعي

ولا تنكحي إنْ فرّق الدهرُ بيننا قصيرَ يدِ السربالِ مثلَ أبانِ

وقولهم انه لجعدُ البنان أى هو بخيل •• وقولهم الحُمّى أضرعتني لك واليك يقول الحاجة أذلّتني اليك ولك •• وقولهم من مدحنا فليقتصد يقول من مدحنا فليقلِ الحق فان المادح بالباطل غير ممتدح •• وقولهم انك تشجّ وتأسو أى انك تصلح وتفسد وتأسو تداوى قال الشاعر

* يدٌ تَشُجُّ وأخرى منكَ تأسونى *

وقولهم سكت ألفاً ونطق خَلْفاً يضرب مثلا للرجل العيّ الذى يسكته العيّ عن الكلام والخلف من الكلام الذى يشين صاحبه مثل خلف السوء يقال فلان خَلَفٌ من أبيه اذا كان صالحاً فاذا كان رديئاً قيل خَلْف ••قال لبيد

ذَهبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافهمْ وبقيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجربِ

وقولهم شرّ الرأى الدَبَرِيُّ يروى ذلك لأمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه وهو ان يعرف الرجل وجه نجاح حاجته بعد فوت الحاجة •• وقولهم أُحشُكَ وتَرُوثني أى أوليك خيراً وتوليني شراً والاصل فى ذلك ان رجلا كان يحشّ لفرسه

وفرسه بقربه فراث على رأسه فقال له أحشّكَ وتروثني •• وقولهم ان الخبيث عينه فرارُه أى يتبيّن الخبث في الخبيث من غير اختبار •• وقد قيل ان الجواد عينه فراره أى تتبين فيه الجودة من غير اختبار يقال فرس جواد بيّن الجودة •• ونظر اعرابي الى صيّاد فقال

انّ الخبيثَ عينهُ فرارُهُ   فى فَمِهِ شفرتهُ ونارُهُ
مشاءُ ممشى الكلب وازدِجارُهُ   أطلسَ يُخفى شخصهُ غبارُهُ

ويقال ان رجلا ضاف امرأة بالبادية وللمرأة ابنةٌ فقالت لها يا أمه لا تضيفيه فان الخبيث عينه فراره فلما أظلم الليل راود المرأة عن نفسها وكانت عفيفة فقالت أمها لولا حق الضيافة لانقلبتَ محروباً فاستحيي الرجل فولى وهو يقول

تقولُ أمُّ عامرٍ للغمْرِ قِلْ   فان تَقِلْ فعندنا ماءٌ وظلْ
ولبنٌ تنهلُ منهُ وتَعِلْ   أما الذي سألتنا فلا يحلْ

•• وقولهم

خلاَ لكِ الجوُّ فبيضى واصفرى   ونقّرِى ماشئتِ أنْ تنقّرى
* قد رُفعَ الفخُّ فما ذا تحذَري *

•• قيل كانَ طرفة بن العبد البكرى مع عمه وهو صغير فى بعض أسفارهما فنزلا على ماء فنصب طرفة فخه للقنابر وقعد لها وهنَّ يحذرن الفخّ وينقرن مما حوله فقال

قاتلكنّ الله من قنابرِ   مُنتبذاتٍ فى العلا نوافرِ

وأخذ فخه ورجع الى عمه فلما تحمّلوا أقبلت القنابر تلتقط ما كان ألقاه لهنّ من الحب فالتفت فرآهن فقال

يالكِ من قُبَّرَةٍ بمعمرِ   خلاَ لكِ الجوُّ فبيضى واصفرِى
* ونقّرِى ماشئتِ أنْ تنقّرِى *

وقولهم لو تُرك القطا لنام كانت حذَامِ بنت الريان ملك معد وأن رجلا من حمير سار الى أبيها فى حمير فلقيهم الريّان في احياء ربيعة فالتقوا فى أرض تدعي المرامة فاقتتلوا يومين وليلتين ثم رجع الحميرى الى عسكره وهرب الريّان وسار يومه وليلته فلما

أصبح الحميري ورأي عسكر الريّان سار فى طلبه وجعلوا يمرون ويُثيرون القطاوجعل القطا تمر على عسكر الريّان فانتبهت ابنته فقالت لقومها

ألاَ ياقومنا ارتحلوا وسيرُوا فلوْ تُرِكَ القطا ليلاً لناما

فارتحلوا واعتصموا برؤس الجبال ورجع القوم ففى ذلك يقول حميد

اذا قالتْ حَذَامِ فصدقوها فانّ القولَ ماقالتْ حَذَامِ

محاسن الجواب

قيل دخل رجل على كسرى ابرويز فشكا عاملا له غصبه على ضيعة له قال كسرى منذ كم هي في يدك قال منذ أربعين سنة فقال أنت تأ كلها منذ أربعين سنة ماعليك ان يأ كل منها عاملي سنةً فقال ما كان على الملك ان يأ كل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا فى قفاه واخرجوه فاخرج فأمكنته التفاتة فقال دخلت بمظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردّوه وأمر بردّ ضيعته وجعله فى خاصته •• ويقال ان سعيد بن مرّة الكندى حين أتي معاوية قال له أنت سعيد فقال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرّة •• قيل ودخل السيد بن أنس الأزديّ على المأمون فقال أنت السيد فقال أنت السيد ياأمير المؤمنين وأنا ابن أنس •• وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أ كبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو عليه الصلاة والسلام أ كبر مني وولدت قبله وقيل انه قال وأنا أسنّ منه •• قيل وقال الحجاج للمهلّب أنا أطول أم أنت فقال الأمير أطول وأنا أبسط قامةً •• قال ووقف المهدى على امرأة من بني ثُعَل فقال لها ممن العجوز قالت من طيء قال مامنع طيئاً أن يكون فيها آخر مثل حاتم فقالت الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها ووصلها •• قال وقدم وفدٌ من العراق على عمر بن عبد العزيز فنظر عمر الى شابٍ فيهم يريد الكلام فقال عمر أولو الاسنان أولى فقال الفتى ياأمير المؤمنين ان الأمر ليس بالسنّ ولو كان كذلك لكان فى المسلمين من هو أسنُّ منك فقال صدقت تكلم قال ياأمير المؤمنين انا لم نأتك رغبةً ولا رَهبةً

أما الرغبة فقدمت علينا في بلادنا وأما الرهبة فقد آمنا الله بعدلك من جورك قال فما أتم قال وفذ الشكر قال لله أنت ماأحسن منطقك •• وقيل انه لما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجّه مصعبٌ اليه وفداً فلما قدم عليه الوفد قال وددت انّ لي بكل خمسة منكم رجلا منهم فقال رجل من أهل الشام بل وددت ان لي بكل عشرة منكم رجلا منهم فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين عَلِقناك وعلقتَ بأهل الشام وعَلِقَ أهلُ الشام آلَ مروان فما أعرف لنا ولك مثلاً الا قول الأعشى

عُلِقتها عرَضاً وعُلِّقَتْ رجلاً غَيرى وعُلّقَ أخرى غيرَها الرجلُ

فما وجدنا جواباً أحسن من هذا •• وقيل انه عزم الفضل بن الربيع على تطهير بعض ولده فأتى الرشيد فقال ياسيدي قد عزم عبدك على تطهير ولده خَدَمِك فان رأى أمير المؤمنين ان يزيّن عبده بنفسه ويصل نعمته هذه بنعمه المتقدّمة ويتمّ سروره فعل متفضلاً على عبده متمنّناً بذلك فقال نعم فغدا اليه وقد أصلح جميع مايحتاج اليه ووضعت الموائدُ وقعد الناس يأكلون وأقبل الرشيد يدور في داره فرأى صبياً صغيراً أول مانطق فقال ياصبي أيما أحسن داركم هذه أمْ دار أمير المؤمنين فقال دارنا هذه أحسن مادام أمير المؤمنين فيها فاذا صار أمير المؤمنين الى داره فداره أحسن فضحك منه الرشيد وتعجب من نجابته ووهب له عشر قَريات ومائة الف درهم •• وقال مسلمة ابن عبد الملك ماشيءٌ يؤتاه العبد بعد الايمان بالله أحب اليّ من جواب حاضر فان الجواب اذا تعقب لم يكُ شيئاً •• وأنشد في مثله في مالك بن أنس صاحب الفقه

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هيبةً والسائلونَ نواكسُ الأذقانِ
هذا التقيُّ وعزُّ سلطان التقيُ فهوَ المطاعُ وليسَ ذا سُلطانِ

مساوي الجواب

قيل انه اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله انه لمطاع في أدانيه شديد

العارضة جواد الكف مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان بأبي أنت وأمي يارسول الله والله انه ليعرف مني أكثر من هذا ولكنه يحسدني فقال عمرو والله يا نبيّ الله انه لزَمِرُ المروءة ضيّق العطن لئيم الخال أحمق الخال والله ما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الأخرى ولكني رضيتُ فقلت بأحسن ماأعلم وسخطت فقلت بأسوأ ماأعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً ٠٠ وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل ابن أبي طالب غلبك أبو تراب على الثروة والعدد فقال له نعم وسبقني واياك الى الجنة فقال الوليد أما والله ان شدقيك لمتوضّمتان من دم عثمان فقال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كمنيح الميسر فقال الوليد والله اني لأرى لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله لوردوا صَعودا فقال له عقيل كلاّ ما ترغب له عن صحبة أبيك ٠٠ قال وقال المنصور لقواده صدق القائل أجِع كلبك يتبعك فقال أبو العباس الطوسي يا أمير المؤمنين أخاف أن يلوح له رجل برغيف فيتبعه ويدعك ٠٠ قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الأهتم قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد من أي قريش أنت قال من بني عبد الدار من هاشم قال لقد هشمتك هاشم وأمّتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم وأقصتك قصيّ فجعلتك عبدها وعبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا ٠٠ قيل ومرّ الفرزدق بالمربد فرأى خليفة الشاعر فقال للفرزدق يا أبا فِراس مَن القائل

هو القَينُ وابنُ القينِ لا قَينَ مِثلُهُ لِمَطْح المَساحي أوْ لقَدّ الأداهمِ

فقال الفرزدق الذي يقول

هو اللصّ وابنُ اللص لا لِصّ مثلُهُ لقطعِ جدارٍ أو لطَرّ دراهمِ

والدراهم أيضاً ٠ قيل ودخل أبو العتاهية على المأمون حين قدم العراق فأنشده شعراً يمدحه به فأمر له بمال وأقبل عليه يحدثه اذ ذكر أبو العتاهية القدَرية فقال يا أمير المؤمنين مافي الأرض فئة أجهل ولا أضعف حُجة من هذه العصابة فقال المأمون أنت رجل شاعر وأنت بصناعتك أعلم فلا تتخطّاها الى غيرها فلست تعرف الكلام فقال ان

جمع أمير المؤمنين بيني وبين رجل منهم وقف على ما عندي من الكلام قال ثمامة فوجه الي رسولا فلما دخلت قال يا ثمامة زعم هذا انه لاحجة لك ولا لأصحابك قلت فليسل عما بدا له فقال المأمون سَلْه ياإسماعيل قال أقطعُه ياأمير المؤمنين بحرف واحد قال شأنك فأخرج أبو العتاهية يده من كمه وحركها وقال ياثمامة من حرك يدي هذه قلت حركها من أمه زانيـــة فضحك المأمون حتى فحص برجله وتمرغ على فراشه وقال زعمت انك تقطعه بكلمة واحدة فقال أبو العتاهية شتمني يا أمير المؤمنين قلت ما فضضتَ يا عاض بظر أمه قال فماد المأمون في الضحك حتى خفتُ عليه من ضحكه وشدة ما ذهب به ثم قلت ياجاهــل تحرك يدك وتقول من حركها فان كنت أنت المحرك لها فهــو قولي وان تكن الأخرى فاشتمتك فقال المأمون ياإسماعيل عدك زيادةٌ في الكلام فان الجواب قدمضى فيما سأل فانطلق بحرف حتى انصرف ٭٭ قال وقلت عاتكة بنت الملاءة لرائض أما وجدت عملا شراً من عملك انما كسبُك باستِك فقال جعلت فداكِ ليس بين ما أكسب وبين الذي تكسبين به الا أصبعان قالت ويلي عليك خذوه فغلبه حَشَمُها فما تهم ركضا

محاسن المسايرة

قال فيما يُحكي عن أنوشروان انه بينا هو في مسيرة له كان لا يسايره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب على مراتبهـم فان التفت يميناً دنا منه صاحب الحرس وان التفت شمالا دنا منه الموبذ فأمره باحضار من أراد مسايرته فالتفت في مســيره هذا يمنة فدنا منه صاحب الحرس فقال فلان فأحضره فقال عرفتَ حديث اردشير حين واقع ملك الخزر وكان الرجل قد سمع من أنو شروان هذا الحديث مرة فاستعجم عليه وأوهمه أنه لايعرفه فحدثه أنو شروان بالحديث وأصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيرهما على شاطئ نهر وترك الرجل النظر الى موطئ قوائم دابته لاقباله على حديث أنوشروان فزلت احدى رجلَي دابته فمالت بالرجل الى النهر فوقع في الماء ونفرت دابته فابتدرها حاشيةُ الملك وغلمانه حتى أزالوها عن الرجل وجذبوه من تحتها وحملوه على أيديهـم

فاغتم لذلك أنو شروان ونزل عن دابته وبُسط له هناك وأقام حتى تغدى موضعه ذلك ودعا للرجل بثياب من خاص كسوته وأُلقيت عليه وأكل معه وقال كيف أعمات النظر الى موطأ حافر دابتك قال أيها الملك ان الله جل وعز اذا أنعم على عبدٍ بنعمة قابله بمحنة وانه جل ذكره أنعم عليّ نعمتين عظيمتين منها اقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم ومنها هذه المائدة واقبال هذا الجيش الذى حدث فيه اردشير حتى لو رحات من حيث تطلع الشمس الى حيث تغرب فيه كنت رابحاً فلما اجتمعت عليّ هاتان النعمتان الجليلتان في وقتٍ واحدٍ قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة الملك وخدمه كنت بعرض هلكة ولو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض كان الملك قد أبقى لي ذكراً مخلداً باقياً ما بقى الضياء والظلام فسرّ بذلك أنو شروان وقال ماظننتك بهذه المنزلة فحشا فمه جوهراً ودراً ثميناً واستبطنه حتى غاب على أكثر أمره .. وحكي عن يزيد بن شجرة الرهاوى انه بينا هو يسير مع معاوية ومعاوية يحدثه عن خزاعة ويومها وبني مخزوم وقريش وكل هذا قبل الهجرة وكان يوم إشراف الفريقين على الهلكة حتى جاءهم أبو سفيان فارتفع ببعيره على رابية ثم أومأ بكمه الى الفريقين فانصرفوا فبينا معاوية يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث اذ صكّ وجهَ يزيد حجر عائر فأدماه وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه ما يمسحه فقال له معاوية لله أنت أما ترى ما نزل بك قال وما ذاك يا أمير المؤمنين قال هذا دم وجهك يسيل على ثوبك فقال عتق ما يملك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهانى حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشيء حتى نبهني له أمير المؤمنين فقال له معاوية لقد ظلمك من جعلك فى الف من العطاء وأخرجك عن عطاء أبناء المهاجرين وحماة أهل صفين وأمر له بمائة الف درهم وزاد فى عطائه الف درهم وجعله بين ثوبه وجلده .. وحكى عن أبي بكر الهذلى انه كان ساير أبا العباس السفاح اذ تحدث أبا العباس بحديث من أحاديث الفرس فعصفت الريح فرمت طَستاً من سطحٍ الى طريق أبي العباس فارتاع من معه ولم يتحرك أبو بكر لذلك ولم تزل عينه مطابقة لعين أبي العباس فقال له ما أعجب شأنك يا هذا لم تُرع مما راعنا فقال يا أمير المؤمنين ان الله جل وعز يقول (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)

وانما للمرء قلب واحد وأنا فلما غمر السرور قلبي بفائدة أمير المؤمنين لم يكن لحادث فيه مجال وان الله جل وعز اذا تفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل ذلك على لسان نبيه أو خليفته وهذه كرامة خصصت بها مال اليها ذهني وشغل بها فكرى فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما حسست بها فقال أبو العباس لئن بقيت لك لأرفعن منك ما لا تطيف به السباع ولا تحط عليه العقبان ٠٠ وحكى عن قباذ انه ركب ذات يوم والموبذ يسايره اذ راثت دابة الموبذ وفطن قباذ لذلك فغم ذلك الموبذ فقال له قباذ فى أول كلام مر ما أول ما يستدل به على سخف الرجل قال أن يعلف دابته في الليلة التي يركب الملك فى صبيحتها فضحك قباذ وقال له لله أنت ما أحسن ما ضمنت كلامك بفعل دابتك وبحق ماقدمتك الملوك وجعلت أحكامها فى يدك ووقف ودعا له بدابة من خاص مراكبه وقال تحول من هذا الجاني عليك الي ظهر هذا الطائع لك ٠٠ وحكي عن معاوية ابن أبي سفيان انه بينا هو يسير وشرحبيل بن السمط يسايره اذ راثت دابة شرحبيل وساءه ذلك فقال معاوية يا أبا يزيد انه كان يقال ان الهامة اذا عظمت دلت على وفور الدماغ وصحة العقل قال نعم يا أمير المؤمنين إلا هامتي فانها عظيمة وعقلي ضعيف ناقص فتبسم معاوية وقال كيف ذاك لله أنت قال لإعلافى دابتي مكوكين من شعير فتبسم معاوية وحمله على دابة من مراكبه ٠٠ ويقال ان سعيد بن سلم بينا هو يساير موسى الهادي وعبد الله بن مالك امامه والحربة بيده فكانت الريح تسفى التراب الذى تثيره دابة عبد الله في وجه موسى وعبد الله فى خلال ذلك يلحظ موضع مسير موسى فيطلب أن يحاذيه فاذا حاذاه ناله من ذلك التراب مايؤذيه حتى اذا كثر ذلك من عبد الله قال موسى لسعيد أما ترى ما لقينا من هذا الخائن في مسيرنا هذا فقال له سعيد والله ياأمير المؤمنين ماقصر في الاجتهاد ولكنه حرم حظ التوفيق

مساوى المسايرة

ذكر عن عبدالله بن الحسن انه بينا هو يساير أبا العباس السفاح بظهر مدينة الانبار

وهو ينظر الى بناء قد بناه اذ قال أبو العباس هات ما عندك يا أبا محمد وهو يستطعمه الحديث بالأنس منه فأنشده

أَلَمْ تَرَ حَوْشَباً أَمْسَى يُبَنِّي بِنَاءً نَفْعُهُ لِبَنِي بُقَيلَةْ

يُرَجِّي أَنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ وَأَمْرُ اللهِ يُحْدِثُ كُلَّ لَيلَةْ

فتبسم أبو العباس وقال لو علمنا لاشترطنا حق المسايرة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين بوادر الخواطر وإغفال المشايخ قال صدقت خذ في غير هذا ٠ وذكر عن المدائنى قال بينا عيسى ابن موسى يساير أبا مسلم فى منصرفه عن أبي جعفر فى اليوم الذى قتل فيه إذ أنشد

سَيَأْتِيكَ ما أَفْنَى القُرُونَ التي مَضَتْ وَمَا حَلَّ فِي أَكْنَافِ عَادٍ وَجُرْهُمِ

وَمَنْ كَانَ أَسْنَى مِنْكَ عِزّاً وَمَفْخَراً وَأَنْهَضَ بِالجَيْشِ اللُّهَامِ العَرَمْرَمِ

فقال أبو مسلم هذا مع الأمان الذى أعطيت فقال عيسى عتق ما يملك ان كان هذا لشيء من أمرك وما هو الا خاطر قال فبئس والله الخاطر

محاسن المسامرة

قال الكسائي دخلت على الرشيد ذات يوم وهو فى إيوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً وأمر بتفريقه فى خدم الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني فقال هل علمتَ من أول من سنّ هذه الكتابة فى الذهب والفضة قلت يا سيدى هذا عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب فى ذلك قلت لا علم لى غير انه أول من أحدث هذه الكتابة فقال سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين الملك ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أباً وابناً وروحاً قديشاً فلم يزل كذلك صدر الاسلام كله يمضى على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه عليه وكان فطناً فبينا هو ذات يوم اذمر به قرطاس فنظر الى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال ما أغلظ هذا فى أمر الدين والاسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور

وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرّزت بشرك مثبت عليها فأمر بالكتاب الى عبدالعزيز بن مروان وكان عامله بمصر بابطال ذلك الطراز على ما كان يطرّز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وان يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد (وشهدَ اللهُ أنهُ لا إلهَ إلاّ هوَ) وهذا طراز القراطيس خاصةً الى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الي عُمّال الآفاق جيعاً بابطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرّزة بطراز الروم ومعاقبة من وُجد عنده بعد هذا النهى شئ منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل فلما أثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل الى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضبا وكتب الي عبدالملك ان عمل القراطيس بمصر وسائر مايطرّز هناك للروم ولم يزل يطرّز بطراز الروم الى ان أبطلته فان كان من تقدّمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وان كنت قد أصبت فقد أخطأوا فاختر من هاتين الحلّتين أيّهما شئت وأحببت وقد بعثتُ اليك بهدية تشبه محلك وأحببت ان تجعل ردّ ذلك الطراز الى ما كان عليه في جميع ما كان يطرّز من أصناف الاعلاق حاجةً أشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه ردّ الرسول وأعلمه أن لاجواب له ولم يقبل الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول الي عبد الملك وقال انى ظننتك استقللتَ الهدية فلم تقبلها ولم تجبنى عن كتابي فأضعفتُ لك الهدية وأنا أرغب اليك في مثل مارغبت فيه من ردّ هذا الطراز الى ما كان عليه أوّلا فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم يقتضى أجوبة كتبه ويقول انك قد استخففت بجوابي وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرنّ بردّ الطراز الى ما كان عليه أو لآمرنّ بنقش الدنانير والدراهم فانك تعلم انه لاينقش شئ منها الا ماينقش في بلادى ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الاسلام فينقش عليها من شتم نبيك ما اذا قرأته ارفضّ جبينك له عرقاً فأحب ان تقبل هديتى وترد الطراز الى

ماكان عليه وتجعل ذلك هدية بررنى بها وتبقى على الحال بيني وبينك فلما قرأ عبدالملك الكتاب غاظ عليه وضاقت به الارض وقال احسبنى أشأم مولود وُلد فى الاسلام لأنى جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هــذا الكافر ميبقى غابر الدهر ولا يمكن محوُهُ من جميع مملكة العرب اذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم وجمع أهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به فقال له رَوْح بن زنباع انك لتعلم الرأى والمخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك من قال الباقر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ولكنه ارتج علىّ الرأى فيه فكتب الى عامله بالمدينة ان أشخص الى محمد بن على بن الحسين مكرماً ومتعه بمائتى الف درهم لجهازه وبثلاثمائة الف درهم لنفقته وأزح علّتــه فى جهازه وجهاز من يخرج معــه من أصحابه واحتبس الرسول قبــله الى موافاته عليه فلما وافى أخبره الخبر فقال له الباقر لايعظمنّ هذا عليك فانه ليس بشئ من جهتين احداهما ان الله جلّ وعزّ لم يكن ليطلق مايهددك بهصاحب الروم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخرى وجود الحيلة فيه قال وما هي قال تدعو فى هذه الساعة بصنّاع يضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله وسلم أحدهما فى وجه الدرهم والدينار والآخر فى الوجه الثانى وتجعل فى مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التى تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الثلاثة الاصـناف التى العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدّة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصبّ سنجات من قوارير لاتستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهــم فى ذلك الوقت انما هي الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية لأن رأس البغــل ضربها لعمر بن الخطاب رحمــه الله بسكة كسروية فى الاسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية نوش خُر أى كل هنيئاً وكان وزن الدرهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها

وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السميرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل عبد الملك ذلك وأمره محمد بن علي بن الحسين ان يكتب السكك في جميع بلدان الاسلام وان يتقدّم الى الناس فى التعامل بها وان يتهدّدوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد على السكك الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك وردّ رسول ملك الروم اليه يعلمه بذلك ويقول ان الله جلّ وعزّ مانعك مما قدّرت ان تفعله وقد تقدمت الى عمّالي في أقطار الارض بكذا وكذا وبابطال السكك والطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهدّدت به ملك العرب فقال انما أردت أن أغيظه بما كتبت به اليه لاني كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم الروم فأما الآن فلا أفعل لان ذلك لايتعامل به أهل الاسلام وامتنع من الذى قال وثبت ما أشار به محمد بن عليّ بن الحسين الي اليوم قال ثم رمي بالدرهم الى بعض الخدم وقال على بالخازن فأقبل الخازن فقال ائتنى بالجبل فأتاه بحُق فيه خاتم ياقوت يتقد كأنه مصباح فقال للخادم ضع لنا هذا على هذا الدرهم الذى معك وليكن على مقدار إصبعي ثم قال أتعرف هذا الخاتم فقلت لا ياسيدى قال ان ملك الترك كان غزا فى زمن أبي مسلم سمرقند وعليها عامل له يقال له صبيح بن اسماعيل ومع ملك الترك قائد لملك الصين كان جليلا عنده عظيم القدر بمنزلة ولي العهد أمدّه به لصهرٍ كان بينهما في سبعين الف رجل وان صبيح بن اسماعيل ظفر بعسكر التركي وهزمه وغنم عامة مافيه وأسر كافة رجاله وأسر القائد الصيني فيمن أسر فكان هذا الخاتم فى أصبعه فأخذه منه وبعث به الى أبي مسلم فبعث به أبو مسلم الي أبي العباس فأعجب به اعجاباً شديداً ودعا له من يبصره من الجوهريين والمقوّمين وسألهم عن قيمته فلم يحسنوا ان يقوموه فلم يزل مرفوعا فى خزانتـه الي ان مات فلما أخرج ماكان فى خزانته من الجواهر والذخائر لتباع اخرج هذا الخاتم فنودى عليه وطلبه المنصور وعيسى بن موسى وتزايدا عليه فباع به المنصور أربعين الف دينار وحرص على شرائه واشتدّت عليه مزايدة عيسى اياه فيه فلما رأى عيسى ان ذلك قد غاظه أمسك عن مزايدته فاشتراه المنصور بأربعين الف دينار فما ظنك بشيء يشتريه المنصور بهذه الجملة

فى ذلك الزمان وكان الدرهم أعزّ من الدينار فى زمانا فلم يزل فى خزانته الى ان ولى المهدى فأخرجه ووهبه لي من دون أخي الهادى وذلك انه جعل ولاية العهد له فأرضاني عن ولاية العهد بهذا الخاتم وبأشياء آخر فلما ولى الهادى طاب مني الخاتم فمنعته ولجّ فيه لجاجاً شديداً وبعث الى سعيد بن سَلْم الباهلى يدعوني فعلمت لما يدعوني فأخذت هذا الخاتم وأخرجتهُ من أصبعي فلما توسطت الجسر قلت لسعيد انظر الى هذا الخاتم ثم رميت به في دجلة ومضى سعيد الي الدار فأخبر الهادى بما كان مني فبعث بالغوّاصين الي الموضع الذى ألقيت فيه الخاتم فطلبوه أشد طلب فلم يقدروا عليه فلما صار الأمر الينا بعثنا بالغوّاصين فأخرجوه فها هو ذا عنـدى ثم قال ياعلى أتعبناك بذكر هـذه الاموال وقد عوّضناك لاصغائك الينا بخمسين الف درهم فحملت بين يدىّ وحكي بعد ذلك ان هذا الخاتم صار الى المأمون فوهبه لبوران بنة الحسن بن سهل ذي الرياستين ثم صار الي المعتصم ثم الى المعتزّ والمستعين فنقشه المستعين ثم صار كل خليفـة ينقش عليه اسمه حتى نقصت من قيمته وهو الآن عند الخليفة المقتدر بالله

مساوى المسامرة

على بن محمد بن سليمان الهاشمى قال حدثني ابى عن سليمان بن عبدالله قال وفدت على أبى العباس فكان يدعونى فى كل ليلة مُقامي عنده ويعقب بين أصحابه وأهل الاقدار والأدب ومن يحضر بابه فيسامرونه فاذا كانت الليلة التى يحضره فيها سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومى وجدّته أم هانئ بنت أبي طالب وكانت قد كبرت سنه وشهد عامة سلطان بني أمية وكانت السن قد أرعشتهُ فقال له ياسعيد حدّثْ عن بني أمية فانك لاتزال تحدّث عنهم وعن جوهرهم فقال ياأمير المؤمنين حضرت الجمعة ونحن مع الوليد ابن يزيد فمضينا نريد الجمعة فاذا سرادق قد ضُمّتْ اليـه سرادقات ومدّت الحجرُ فى جنبتيه ووضع المنبر وأخذ الناس يتطوّعون وينتظرون الفريضة فلما زالت الشمس أذّن المؤذن فآذنه بالصلاة فاذا أصوات الملاهي والمعازف والمزامير مقبلة من مِضْرَبه نحونا

فما راعنا الا به على هذا الذي يسميه اللعّابون الداربازى عليه غلالة وازار مصبوغان بالزعفران لايواريان عورته متّشح بازار وهو متخلّق فى فمه مزمار حتى أشرف علينا وهو يقول طُوط طُوط وحكاه الشيخ برعشته فضحك أبو العباس حتى استلقى على فراشه وضرب مرافقه برجليه

محاسن الاغضاء

يُحكى عن بهرام جور انه خرج يوماً لطلب الصيد فاحتمله فرسه حتى دفع الى راعٍ تحت شجرة وهو حاقن فقال للراعي احفظ عليّ عنان فرسي حتى أريق ماءً وأخذ بركابه حتى نزل وقبض على عنان الفرس وكان عنانه ملبساً ذهباً فوجد الراعي غفلة من بهرام فأخرج من خفه سكّيناً فقطع به أطراف اللجام فرفع بهرام رأسه فنظراليه فاستحي ورمي بطرفه الى الارض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام وجعل الراعي يفرح بابطائه عنه حتى اذا ظنّ انه قد فرغ وأخذ من اللجام حاجته قال ياراعي قدّم اليّ فرسي فانه سقط فى عيني شئ وغمض عينه لئلا يوهمه انه يتفقّد حلية اللجام فقرب الراعي منه فرسه فركبه فلما ولى قال له الراعي أيها العظيم كيف آخذُ الى موضع كذا وكذا مكاناً بعيداً قال بهرام وما سؤالك عن هذا الموضع قال هناك منزلي وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا ولا أراني أعود اليه أبداً فضحك بهرام وفطن لما أراده الراعي وقال أنا رجل مسافر وأنا أحق بأن لا أعود الى ههنا أبداً ثم مضى فلما نزل عن فرسه قال لصاحب مراكبه ان معاليق اللجام وهبتها لسائل مرّ بي فلا تتهم أحداً ٠٠ وحكي عن أنو شروان انه قعد فى يوم نيروز أو مهرجان ووضعت الموائد ودخل وجوه الناس وكسرى بحيث يراهم ولا يرونه فلما فرغ الناس من الطعام وجاؤا بالشراب فى آنية الفضة وجامات الذهب فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية فى آنية الذهب فلما انصرف الناس ورفعت الموائد أخذ بعض أولئك القوم جام ذهب فأخفاه فى قبائه وأنو شروان يلحظه فصرف وجهه عنه وافتقد صاحب

الشراب الجامَ فصاح لا يخرجن أحــد من الدار حتى يفتش فقال كسرى لا تعرضن لأحد وانصرف الناس فقال صاحب الشراب إنا قد فقدنا بعض آنية الذهب فقال الملك صدقت أخذها من لا يردها ورآها من لايخبرك بها •• وحكي عن معاوية بن أبي سفيان انه قعد للناس في يوم عيد ووضعت الموائد ويدر الدراهم للجوائز والصلات فجاء رجل من الجماعة فقعد على كيس فيه دنانير والناس يأكلون فصاح به الخدم تنحّ فليس لك هذا الموضع فسمع معاوية وقال دعوا الرجل يقعد حيث أحب وأخذ الكيس وقام فلم يجسر أحد أن يدنوَ منه فقال الخدم أصلح الله الأمير انه قد نقص من المال كيسٌ فيه دنانير فقال أنا صاحبه وهو محسوب عليّ لكم •• وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن عليّ وقد عثر برجل أخذ درة رائعة ثمينة من بين يديه فطلب بعد أيام فلم يوجد فباعها الرجل ببغداد وقد كانت وصفت لأصحاب الجوهر فأُخذ وحُمل الى جعفر فلما رآه وبصر به استحيي منه وقال ألم تكن طلبت هذه الدرة مني فوهبتها منك قال نعم فقال لا تعرضوا له فباعها الرجل بألوف دنانير

مساوي الاغضاء

قال بعث زياد الى رجال من بني تميم وجمع العرفاء فقال اخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق وحدّ لكل واحد منهم حداً فكان يقول لو ضاع بيني وبين خراسان شيء لعلمت مَن أخذه وكان يدفن النباش حياً وينزع أضلاع اللصوص •• قيل وقال عبد الملك للحجاج كيف تسـير في الناس قال انظر الى عجوز أدركَتْ زياداً فاسألهــا عن سيرته ثم اعمل بهــا قال عوف الاعرابي فأخذ والله بسيء أخلاقه وترك أحسنها ••وقال واختصم الى زياد رجلان فقال أحدهما أصلح الله الأمير هذا يدلّ عليّ بخاصــة زعم انها له منك فقال صدق وسأخبرك ان كان الحق لك عليه قضيت عليه وقضيت عنه وان كان الحق له عليك أخذتك به أخذاً عنيفاً

محاسن التأنى

قال بعض الحكماء التؤدة يمن وفى اليمن النجح وأنشد فى ذلك القطامى

قد يُدركُ المتأنى بعضَ حاجتِهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّللُ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حُرِم الرفق فقد حرم الخير ٠٠ ولأمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله عنه

إصبر على مَضَضِ الإدلاجِ بالسَّحرِ وفى الرواحِ على الحاجاتِ والبُكَرِ
لا تضجرنَّ ولا يُعجزكَ مَطلبها فالنجحُ يَتلفُ بين العجزِ والضجرِ
إني وجدتُ وفى الأيام تجربةٌ للصبرِ عاقبةً محمودةَ الأثرِ
وقلَّ مَنْ جدَّ فى أمرٍ يُحاولهُ فاستصحب الصبرَ إلا فاز بالظفرِ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئاً الا زانه ولا يفارق شيئاً إلا شانه وخلق الله جل وعز السموات والأرض فى ستة أيام ولو شاء جل وعز قال لها كونى فكانت ٠٠ وفى المثل رب عجلة تهب رَيثا يقول رب عجلة يراد بها صلاح الأمر فتفسده حتى لا يصلح الا بعد مدة طويلة فكأنها كانت ريثا ٠٠ وهذا قريب من قول بزرجمهر إن شراً من التواني الاجتهاد فى غير حينه ٠٠ وأنشدنا ابن حمزة

الخَرقُ شُؤمٌ والأناةُ سَعادةٌ فاستأنِ حِلمكَ في أمورِكَ تَسلَمِ

وكان يقال ان من الحزم الأناة والتثبتُ فان العجلة لا تزال تورث أهلها حسرة وندامة وأنشد

الرِّفقُ يُمنٌ والأناةُ سَعادةٌ فاستأنِ فى رفقٍ تلاقِ نجاحا

مساوى العجلة والحدة

قيل سأل المأمون أحمد بن أبي خالد عن أخلاق أبي عباد ثابت الكاتب فقال هو يا أمير المؤمنين أحد من سيف سعيد بن العاص وأنزق من مجنون البكرات قال ما أتبين

ذلك فيه قال اوضع الخلافة وعلى ذاك فان حركته تحرك فأراد المأمون أن يمتحنه فدخل عليه فعرض ما معه من الحوائج فأمره أن يوقع فيها ثم خرج فلما صار بالباب قال ردوه فرجع فقال افعل في الاهوازيين ما قلت لك ولا تعرض فيه رقعة قال نعم ثم خرج فلما صار بالباب قال ردوه فأتاه الرسول فقال ارجع فرجع فقال قل لعمرو بن مسعدة أخر أمر أبي دلف حتى آمرك بما أريد ثم خرج فلما صار بالباب قال ردوه فأتاه الرسول فقال ارجع فتناول الدواة وقال الساعة والله أضرب بها وجهك القبيح يابن الخبيثة قال الغلام ما ذنبي قال ينبغي أن تقول قد ذهب الى النار ورجع فقال ارفع في غد فيما تعرض قصة الهاشميين قال نعم ثم قال والله لأرجع بعدها فضحك المأمون حتى أمسك بطنه وقال انطلق راشداً ٠٠ قال وقعد المأمون ذات يوم وأبو عباد يكتب بين يديه إذ دخلت شعرة بين سنّي القلم فأهوى لإخراجها باسنانه ثم كتب فاذا هي على حالها فأهوى اليها ثانية فقطع طرفها وبقي أصلها ثم كتب فاذا هي قد أعمّت حروفه فأخذ القلم فاتكى عليه باسنانه وكسره وقال لعنك الله ولعن من براك ولعن من أنت له فضحك المأمون وقال بحقّ قيل فيك ماقيل

محاسن المكافأة

قال بعض الحكماء لا يكونن سلاحك على عدوك أن تكثر سبه وشتمه فانك انما تخبر عن خبره فيك وعجزك عنه ولكن عامله بالكظم وساتره بالحيلة فان أقدمت أقدمت مع الفرصة وان غُلبت على الظفر لم تغلب على ستر العجز ٠٠ وقيل الأدب الصبر على كظم الغيظ حتى تملك الفرصة ٠٠ وقال أبو عمرو بن العلاء لما قدم عبدالملك المدينة خطب فقال يا أهل المدينة إنا والله ما نحبكم ما ذكرنا ما فعلتم بنا ولا تحبوننا ما ذكرتم ما فعلنا بكم وانما مثلنا ومثلكم كمثل حية كانت في جحر الى جنبها خباء رجُل فوثبت عليه فلسعته فقتلته فجاء أخو المقتول يطالب بثأره فقالت له الحية لا تقتلني حتى أؤدي اليك دية أخيك ففارقها على ذلك وعاهدها فكانت تؤدى اليه في كل يومين مالا

فلما استوفى أكثر الدية قال والله لو قتلتها كنت قد أدركت ثأرى وأخذت الدية فحمل فأساً وحددها فلما خرجت اليه أهوى اليها بالفأس فأخطأها ورجعت الى جحرها فأسقط فى يده فقالت أما والله ما الثأر أدركت ولا الدية استوفيت فقال تعالى أعاقدك أن لا يبدأك منى مكروه حتى أستوفى منك الدية فقالت أما ما رأيت قبر أخيك تجاهك وذكرت أنا الضربة فانى أثق بك ولن تثق بى ثم أنشد

ألا هلْ لنا مولىً يحبُّ صلاحنا فيَعذِرنا من مُرّةَ المتناصرَه

وأنشد فى مثله

ظلمتُ الناسَ فاعترَفوا بظلمي فتبتُ فأزمَعوا أن يَظلمونى
فلستُ بصابرٍ إلّا قليلاً فان لم ينتهوا راجعتُ ديني

.. آخر

إياكَ من ظلمِ الكريمِ فانهُ مُرٌّ مذاقتهُ كطعمِ العلقمِ
ان الكريمَ اذا رآكَ ظلمتَهُ ذكرَ الظُّلامةَ بعدَ نومِ النُّوَّمِ
فجفا الفِراشَ وباتَ يطلبُ ثأرَهُ أنِفاً وان أغضَى ولم يتكلمِ

محاسن الشدة

ذكروا ان جُندب بن العنبر كان شديد البأس وان عوانة بن زيد عيّره يوماً فقال

هل يسودُ الفتى اذا قبحَ الوجــهُ وأمسَى تراهُ غيرَ عتيدِ
وإذا ما تكلَّمَ القومُ يوماً فى النَّدى قال غيرَ سديدِ

وكان جُندب فيه دمامة مع امساك غير انه كان ليثاً فى الحرب فأجابه

ليسَ زَينَ الفتى الجمالُ ولكنْ زَينه الضربُ بالحسامِ التليدِ

وكان جندب عائفاً فقال والله لاتموت حتى تتصر عليك طعينةٌ وان عوانة خرج يوما يتصيّد على فرسه ومعه قوسه فسار غير قليل اذ عرضت له جارية قد حملت وطباً من لبن فهمّ بها فدنا فقال تمكّنيني طائعة أو تقهرين فقالت لااحداهما فنزل اليها فأخذت

ساعدَيه باحــدى يديها فما زالت تعصرُها حتى تركتهما وما يستطيع ان يحركهما ثم كتفته بوتر قوسه وشدّت حبل الفرس فى جيده ثم قالت خذ بنا نحو محلة جندب فمرّ يقود الفرسَ فى جيده حبل فلما قارب الحيّ بصر بجنــدب مقبلا فناداه أيها المرء الكريم انصر أخاك ظالماً أو مظلوما فذهب مثلاً فأطاقه •• ومنهم كليب بن شؤبوب الأزديّ كان أخبث أهل زمانه في قطع الطريق وحــده وكان كثير الغارة على طيء فـعاحارثة بن لأم الطائى رجلا من قومه يقال له عبرم وكان شجاعا فقال له أما تستطيع أن تكفينا هذا قال نعم فأرسل العيون حتى علم مكانه فانطلق اليه حتى وجده نائماً فى ظلِّ اراكة وفرسه مشدود عنده فنزل عبرم ورجل معه فمشيا حتى أخذ كل واحــد منهما باحدى يديه فانتبه ونزع يده اليمنى فقبض على حلق صاحب اليسرى وهو عبرم فما زال يخنقه حتى قتله وقد كان أعدّ قوما فلحقوه وهم عشرة فوجدوه قتيلا وأخذوا كليباً فكتفوه وساقوه وأنشأ خوذة بن عبرم يرثى أباه ويقول

إلى الله أشكو أن أؤوبَ وقد ثوَى … مَلاَذى وبابى سيدُ القوم عبرَمُ
فماتَ ضياعاً هكذا بيدِ امرىءٍ … لئيمٍ فلو أُدمي لما كنتُ أَنْلَمُ
ولكنْ ثوَى لم يكلُم السيفُ جيدَهُ … ولا نالهُ رُمحٌ ولم يُرَقِ الدَّمُ
فأنتَ ابنُ شؤبوبٍ فيالهفتا لهُ … وما جُزءٌ من أظفاره منكَ أكرمُ
سأسقيكَ قبلَ الموتِ كأساً مزاجها … ذُعافٌ من السمّ النقيع وعلقمُ

•• فأجابه كليب

أخَوْذَةُ إنْ تفخرْ وتزعمْ بأنني … لئيمٌ ويأبى لي قِتالي عبرمُ
فأقسمُ بالبيتِ المحرّم من مِنًى … وبرٌّ يمينى صادقاً حينَ أقسمُ
لَضَبٌّ بقفرٍ من قفارٍ وضبعةٌ … وخوعٌ ويربوعُ الفلا منكَ أكرمُ
ألاَ عجباً منْ نغرٍ هــذا وأمّهُ … سواديّةٌ والجدُّ عِلجٌ مكدَّمُ
أتوعــدُنى بالمنكرات وانني … صبورٌ على ماناب جَلْد مصمّمُ
وأعــلمُ أنى ميتٌ لا محــالةَ … فلا جزَعاً ان كنتَ ذلك تعلمُ

فأراد خوذة قتله فمنعه أصحابه حتى يذهبوا به الى حارثة فلما انتهوا اليــه قال له حارثة

يا كليب أنت أسير فقال من يرَ يوماً يُرَ به فذهبت مثلا فدفعه الى خوذة فخنقه حتى مات .. ومنهم هُدْبة بن خَشْرَم قتل ابن عمّ له يسمى زيادة بن زيد فحبس ليقاد به فلم يزل محبوساً حتى شبّ ابن المقتول فدخل عليه السجن وهو يلاعب صاحباً له بالشطرنج فقيل له قمْ الى القتل فقال حتي أفرغ من لعبي فلما فرغ خرج وجعل يهرول فقيل له مابالك تأتي الموت هكذا فقال لا آتيه الا شدًّا فلقيه عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدني فأنشده

ألاَ علّلاَني قبلَ نوْحِ النوائحِ ... وقبلَ اطّلاَعِ النفسِ بينَ الجوانحِ
وقبلَ غَدٍ يالهفَ نفسي على غَدٍ ... اذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ
اذا راح أصحابي وخُلِّفْتُ ثاوياً ... بِداوِيةٍ بينَ المِتانِ الضحاضحِ

قال ثم أقعد ليقاد فنظر الى أبويه فقال

أبْلِياني اليوْمَ صبراً منكما ... انّ حُزناً منكما بادٍ لشرْ
لاأرَى ذَا الموتِ يُبقى أحداً ... انّ بعدَ الموْتِ دارَ المستقرْ

ثم نظر الى امرأته فقال لها

فلاتنكحي انْ فرّقَ الدهرُ بيننا ... أغمّ القفا والوجهِ ليسَ بأنزَعا
وكوني حبيساً أولأرْوَعَ ماجدٍ ... اذا ضَنّ أغساسُ الرجالِ تبرعا

فمالت زوجته الى جزّار فأخذت مُدْيَته فقطعت بها أنفها وجاءته مجدوعة فقالت أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح فرسف في قيوده وقال الآن طاب الموت فلما قُدّم ليقاد بابن عمه وأخذ ابن زيادة السيف فضوعفت له الدية حتى بلغت مائة الف درهم فخافت أم الغلام ان يقبل ابنها الدية ولايقتله فقالت اعطي الله عهداً لئن لم تقتله لأتزوجنّه فيكون قد قتل أباك ونكح أمك فقتله .. قال ولما واقع طلحة والزبير عثمان بن حُنيف عامل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه على البصرة خرج حُكيم بن جبلة العبديّ فشدّ عليه رجل من أصحاب طلحة فقطع رجله فزحف الى رجله حتى أخذها ورمي بها قاطعها فقتله ويقول

يارِجْلُ لاتُراعي ... إنّ معي ذِراعي

ثم حبا الى المقتول فاتكأ عليه فقيل له ياحكيم من ضربك فقال وسادتى ٠٠ وعن معاذ ابن الجموح قال سمعت الناس يوم بدر يقولون أبو الحكم لايخلص اليه يريدون أبا جهل فما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت نحوه فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطننت قدمه بنصف ساقه فوالله ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى قال وضربني عكرمة بن أبي جهل على عاتقي فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبي فاجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لأسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ٠٠ قيل ولما حمل رأس محمد بن عبد الله بن الحسن الى المنصور من مدينة الرسول عليه وعلى آله السلام قال لمطير ابن عبد الله أما تشهد أن محمداً بايعني قال اشهد بالله لقد أخبرني أن محمداً خير بني هاشم وانك بايعت له قال يابن الزانية أما قلت قال الزانية ولدتك قال يابن الزانية الفاعلة أتدرى ماتقول قال التي تدفى خير من أمك فأمر به فوتد فى عينيه فما نطق ٠٠ قيل وقدم اعرابي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستحمله فقال خذ بعيراً من إبل الصدقة فنظر الى بعير منها فتعلق بذنبه ونازعه البعير فاقتلع ذنبه فقال عمر هل رأيت أشد منك قال نعم خرجت بامرأة من أهلى أريد بها زوجها فنزلت منزلا أهله خلوف فدنوت من الحوض فاذا رجل قد أقبل ومعه ذود له فصرف ذوده الى الحوض وأقبل نحو المرأة ولا أدرى مايريد فلما قرب منها ساورها فنادتنى فلما انتهيت اليه كان قد خالطها فجئت أدفعه فأخذ رأسى فوضعه بين ذراعه وجنبه فما استطعت ان أتحرك حتى قضى ما أراد ثم قام فاضطجع وقالت نعم الفحل هذا لوكانت لنا منه سخلة فأمهلته حتى امتلأ نوما ثم قمت اليه فضربت ساقه بالسيف فأطننتها فوثب فهربت وغلبه الدم فرمانى بساقه فاخطأنى وأصاب بعيرى فقتله فقال عمر فما فعلت المرأة فقال هذا حديث الرجل فكرر عليه مراراً كل هذا يقول هذا حديث الرجل ٠٠ عمر بن شبة النميري أبو زيد قال كان علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين من آل الافطس وكان يلقب بالجزري فتزوج رقية بنت عمرو العثمانية وكانت تحت المهدى فبلغ ذلك الهادى فأرسل اليه فحمله وقال أعياك النساء الا امرأة أمير المؤمنين

فقال ماحرّم الله عزّ وجلّ على خلقه الا نساء جدّي صلى الله عليه وسلم فأما غيرهن فلا ولا كرامة فشجه بمخصرة كانت في يده وأمر بضربه خمسمائة سوط وأراده على ان يطلقها فلم يفعل فحمل من بين يديه في نطع فألقى ناحية وكان في يده خاتم سرىّ فرآه بعض الخدم وقد غشى عليه فأهوي الى الخاتم فقبض على يد الخادم فدقها فصاح الموت دقّ يدي فسمعه الهادي فدعاه فرأى مابه فاستشاط فقال تفعل هذا بخادمي مع استخفافك بي وقولك لي قال قل له وسله ومره ان يضع يده مرة على رأسك ليصدقن ففعل ذلك موسى فصدقه الخادم فقال أحسن والله أنا أشهد انه ابن عمي لو لم يفعل ذلك لانتفيت منه وأمر باطلاقه ووصله بمائة الف درهم ٠٠ قيل وخطب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال تقول قريش جزع ابن أبي طالب من الموت والله لعليّ آنس بالموت من الطفل بثدى أمه ٠٠ قيل ولما كان في حرب صفين والناس في أشد مايكون من الحرب قال على رضوان الله عليه الا ماء فاشتريه فأتاه شاب من بني هاشم بشربة من عسل فتناوله وقال يافتي عسلك هذا طائفيّ قال سبحان الله في هذا الوقت تعرف الطائفيّ من غيره فقال انه لم يملأ صدر ابن عمك شئ قط ٠٠ وحكي عنه رضوان الله عليه انه قال ماأبالي وقعت في الموت أو وقع الموت عليّ ٠٠ حدثنا الوضّاحي عن معمر بن وهيب قال قال عبد الملك بن مروان عند موته للوليد وهو يبكي عند رأسه ماهذا البكاء وحنين النساء ثكلتك أمك الا تتأهب للخلافة بشدة سطوتك وقلة رحمتك لناقض بيعتك وتجريد سيفك للمبدي ذات طويّته فقال له قبيصة بن ذؤيب ليس هذا أمر الله جلّ وعزّ فقال ما كنت لآمر بغيره ثم قال

بنُوا الحرْبِ لانَعيِ بشئٍ نُريدُه ... ولَسنا على ماأحدَثَ الدهرُ نجزَعُ
جِلادٌ على رَيبِ الزمانِ فلن ترى ... على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمعُ

وأنشدنا غيره في مثله

وإنا لقومٌ مانفيضُ دُموعَنا ... على هالكٍ مناوانْ قصَمَ الظهرَا
ولَسنا كمنْ يبكى أخاهُ بعبرةٍ ... فيعصرُها من جفنِ مقلتهِ عصْرَا
ولكننا نَشفى الفؤادَ بغارةٍ ... تلَهّبُ منْ قُطرَيْ جوانبها جمْرَا

•• ولآخر في مثله

سَقياً ورَعياً وايعاباً ومغفرَةً … للباكياتِ علينا يومَ نرتحلُ
يُبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ … لنحن أغلظُ أكباداً من الابلِ

•• ولآخر في نحوه

اذا استلَبَ الخوفُ الرجالَ قلوبَها … صبرنا على الموتِ النفوسَ الغواليا
حِذارَ الأحاديثِ التي غِبَّ يومها … عقَدْنَ بأعناقِ الرّجالِ المخازيا

•• وآخر في مثله

يُقتلونَ وقتّالونَ بيتهمْ … كما تقتّلُ أسدُ الغابِ في الأجمِ
والقتلُ عادتهم والقتلُ مكرُمةٌ … ولا يموتونَ من داءٍ ولا هَرَمِ
وبالوجوهِ جراحٌ ما تَشينهمُ … وما بهم طعنةٌ في ظهر منهزمِ

•• ولآخر في مثله

سَدِكَتْ أناملهُ بقائمِ سيفه … وبنشرِ فائدةٍ وذروةِ منبرِ
ما إنْ يزالُ اذا الرماحُ شجرنَهُ … متسربلاً سربالَ طيبِ العُنصُرِ
يَلقى الرماحَ بصدرِهِ وبنحرِهِ … ويقيمُ هامتَهُ مقامَ المِغفَرِ
أوما إلى الكَوماء هذا طارقٌ … نحرَتنيَ الأعداء ان لم تُنحَرِ

•• وللمأمون

نحنُ الذينَ اذا تخمّطَ عُصبةٌ … من معشرٍ كنا لها أنكالاَ
وترى القرومَ مخافةً لقرومنا … قبلَ اللقاء تقطّرُ الأبوالاَ
نَردُ المنيةَ لانخافُ ورودَها … تحتَ العجاجةِ والعيونُ تلالاَ
نُعطي الجزيلَ فلا نمنُّ عطاءنا … قبلَ السؤالِ ونحملُ الأثقالاَ
واذا البلادُ على العبادِ تزلزلتْ … كنّا لزَلزَلةِ البلادِ جبالاَ

مساوى الجبن

قيل في المثل هو أجبن من مجرسٍ وهو القرد وذلك انه لا ينام الا وفي يده حجر

مخافة أن يأكله الذئب •• وحدثنا رجل بمكة قال اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع فى موضع واحد ثم تبيت مستطيلةً واحداً فى أثر واحد فى يد كل واحد منها حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها فان نام واحد سقط الحجر من يده فزعت فتحوّل الآخر فصار قدامها فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذى باتت فيه على ثلاثة أميال وأقلّ وأكثر جبناً •• وقيل أيضاً هو أجبن من صافر وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من أن ينام فيؤخذ •• ويقال أيضاً ان الصافر هو الذى يصفر لريبةٍ ••وذكروا ان رجلا كان يأتي امرأة وهي جالسة مع بنيها وزوجها فيصفر لها فتقوم وتُخرج عجزها من وراء الباب وهي تحدّث ولدها فتقضى حاجتها وحاجته وينصرف فعلم بذلك بعض بنيها فغاب عنها يوما ثم جاء في ذلك الوقت وصفر ومعه مسمار محميّ فلما جاءت لعادتها كواها به فجاء الرجل بعد ذلك فصفر فقالت قد قلينا صفيركم فضربه الكميت مثلاً فى قوله

أرجو لكم أن تكونوا فى مودّتكم كلباً كورها تقلى كلّ صفّارِ
لما أجابت صفيراً كان يألفها من قابسٍ شيّط الوجعاء بالنارِ

وقيل أيضاً هو أجبن من المنزوف ضرطاً وكان من جبنه ان نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا أتينه بصبوحهٍ قلن له قم فاصطبح فيقول لو لعادية تنبهننى فقلن هذه نواصى الخيل فجعل يقول الخيل الخيل ويضرط حتى مات فضرب به المثل •• قيل وخرج رُهم بن خُسرم الهلالى ومعه أهله وماله يريد النقلة من بلد الى بلد فلقيه قوم من بني تغلب فدهش ورعب رعباً شديداً فقال يا بني تغلب شأنكم المال وخلوا عن الظعينة فقالوا رضينا أن ألقيت الرمح فرجع اليه عقله وقال أومعي رمح وحمل عليهم فقتل منهم رجلا ثم صرع آخر وأنشأ يقول

رُدّوا على آخرها الأتاليا ان لها بالمشرفىّ حاديا
* ذكّرتنى الطعن وكنتُ ناسيا *

فانهزم الباقون ونجا هو بالمال والظعينة ومرّ نحو وطنه سالماً •• قيل وكان فى بني ليث رجل جبان فخرج رهطه وبلغ ذلك ناساً من بنى سُليم كانوا أعداءهم فلم يشعر الرجل

الا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفرّ فلم يجد مفراً ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم أبرز كنانته وأخذ قوسه وقال

ما عِلّتى وأنا جَلدٌ نابِلُ ... والقوسُ من نَبعٍ لها بلابِلُ
يَرِنُّ فيها وَتَرٌ عنابِلُ ... إلاّ أقاتلكم فأمى هابِلُ
أكلّ يومٍ أنا عنكم ناكِلُ ... لا أطعنُ القومَ ولا أقاتلُ

* الموتُ حقٌّ والحياةُ باطِلُ *

فقاتلهم فانهزموا فصار بعد ذلك أشجع قومه .. قيل وخرج أبو دُلامة مع رَوْح بن حاتم الى بعض الحروب فلما التقى الجمعان قال أبو دلامة لروح أصلح الله الأمير لو أن تحتى فرساً من خيلك وفى وَسطى ألف دينار لأشجيت أعداءك نجدة واقداماً فقال روح ادفعوا اليه ذلك فدفع اليه فلما أخذه أنشأ يقول

إني أعوذُ برَوْحٍ أن يُقدّمَنى ... إلى القتالِ فيشقى بي بنو أَسدِ
إنّ المهلبَ حُبَّ الموتِ أورثكُمْ ... ولم أرِثْ نجدةً فى الموتِ من أحدِ

فأجابه رَوْح

هوّنْ عليكَ فانْ أُريدك فى الوغى ... لتَطاعُنٍ وتنازُلٍ وضرابِ
كُنْ آخراً فى القومِ تنظرُ واقفاً ... فان انهزمتَ مشيتَ فى الهُرّابِ

فأجابه أبو دُلامة

هذى السُّيوفُ رأيتُها مشهورةً ... فتركتُها ومضَيتُ فى الهُرّابِ
ماذا تقولُ لما يَجيء ولا يُرَى ... من بادراتِ الموتِ من نُشّابِ

فضحك روح فأعفاه وانصرف .. وحدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال لما تُوُفىَ أبو العباس السفاح دخل أبو دُلامة على أبي جعفر المنصور والناس عنده يعزونه فقال ياأمير المؤمنين كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض فلم أقبضها فقال المنصور للخازن ادفعها اليه وسيره الى هذا الطاغية يعنى عبد الله بن علىّ فقال أبو دُلامة ياأمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم فانى والله مشؤم فقال لعله يغلب شؤمك فاخرج مع العسكر فقال والله ما أحبُّ لك يا أمير المؤمنين أن تجرب ذلك فانى لا أدرى

على أى الفريقــين يكون فقال أبو جعفر دعنى من هذا ما نريد غير المسير فقال يا أمير المؤمنين والله لأصدقنك اني شهدت تسعة عساكر كلها هزمت فأنا أعيذك بالله أن تكون العاشر فاستفرغ أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف .. قال وقيل لجبان انهزمت فغضب عليك الأمير فقال يغضب عليّ الأمير وأنا حيّ أحب الىّ من أن يرضى عني وأنا ميت .. قال وقيل لبعض الجبّان مالك لا تغزو فقال والله انى لأبغض الموت على فراشي فكيف أمرّ اليــه ركضاً .. قال وقال الحجاج لحميد الأرقط وقد أنشده قصيدة يصف فيهـا الحرب ياحميد هل قاتلت قط قال لا أيها الأمير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك قال انتبهتُ وأنا منهزم .. وقال عمرو بن بحر الجاحظ سمعت بلالا يحكى عن أصحابه ان رئيسهم كان يسمي ابريقياء وانهم خرجوا فى سفر فاذا بعشرة نفر من اللصوص قد تعرضوا لهم قال وكان أشــد أصحابنا والمنظور اليه منا فتىً يقال له دومق بطل شديد لا يهوله شئ مطاعن مسابق فحمل على رجل منهم فعطف عليــه الرجل فقطع أنف دومق ونزع خصييه وكسر أسنانه فرجع منهزماً فغاظني ذلك فوثبت وأخذت كسائى وطويته بطاقين ولففته على يديّ وأخذت عصاي وأخذ آخر ملحفةً والدنّه فلفها على ذراعيــه وأخذ آخر طبقاً كبيراً من أطباق الفاكهة فستر به وجهه وخرجنا وتقدم رئيسنا ابريقياء وقد لفّ على يده قطيفة وهو يقول

* إنْ تُنكرُونِى فأنا ابنُ كلبِ *

فقال له بعض اللصوص ما ننكر ذلك عليك فشدّ عليه ابريقياء بأسفل دَنّ كان معه فلم يحِكْ فيه فأخذ اللص أســفل الدنّ فرمي به أبريقياء فهشم وجهه وكسر أسنانه وتنحى أبريقياء وأقبل منا آخر يسمى لقوة وأنشأ يقول

انّ عصايَ فاعلموا مُقَيَّرَهْ أضربُ بها وجهَ اللصوصِ الكفرَهْ

ثم شد على واحد منهم فضرب مَفرق رأسه فلم يحِكْ فيه واستلب العصا منه وطلاه بها طلياً فاذا هو قد خلع منكبه وكسر أضلاعه وبقى لايحلى ولا يُمِرّ ثم أقبل فتى من أصحابنا وفى يده مِجرفة وهو يقول

أنا ابنُ كهلٍ في يَديّ مِجرفَهْ والله لو كان بكفى مِغرَفَهْ

وهيَ لعَمري قد كسَتني مامحقهْ والدني كريمةٌ منظّفهْ

فتاتكمْ فكيفَ عِندي مجرَفهْ

فضرب بالمجرفة واحداً من اللصوص فأخطأه وعطف عليه اللص فأخذها من يده ثم ضربه بها ضربةً فدار سبع مراتٍ وسقط وقد غُشي عليه فلما رأيت ذلك عدتُ الى الطعان وأنا أقول

أنا فلانٌ سيدُ الفِتيانِ أنا ابنُ حمرانَ فتى المَيدانِ

أحلفُ باللهِ وبالفرقانِ لأضربنَّ القومَ بالمِيزانِ

ضربَ غلامٍ ماجدٍ كَشحانِ والعجزُ منسوبٌ الى الجبانِ

فأشد على واحد منهم فأضرب كفيه فوثب قبل أن تصل اليه الضربة فضربني فهشم أنفي وكسر أسناني وخرجت مغشياً عليَّ ثم فتحت عيني فلم أر منهم أحداً ولا أدري كيف أخذوا فالحمد لله على الظفر

ماقيل في ذلك من الشعر

ما أحسنَ الضربةَ في وجههِ إنْ لم تكنْ رمحةَ بِرْذَوْنِ

.. ولآخر

وَيَحسِبُها الشجاعُ قراعَ سَيفٍ ويحسِبُها الجبانُ قراعَ ثورِ

.. آخر

جبانُ اللقاءِ وعندَ الخُوَا نِ أمضى وأشجعُ من رُستُمِ

فلو كنتَ تفعلُ ذا في الحروبِ أغَرْتَ على التركِ والدّيلَمِ

كاتب الحسن بن زيد

ظلّتْ تُشجّعُني ضلاً بتضليلِ وللشجاعةِ خَطْبٌ غيرُ مجهولِ

هاتِ لي شجاعاً بغيرِ القتلِ مصرَعهُ أوجِدْكِ ألفَ جبانٍ غيرِ مقتولِ

الحربُ تُوسعُ من يَصلَى بها حرَباً يُتمَ البنينَ وإثكالَ المثاكيل

واسمُ الوغى اشتُقّ من غوغاء تبصرُها يغدون للموتِ كالطيرِ الأبابيلِ
واللهِ لو أنّ جبريلاً تكفّل لي بالنصرِ ماخاطرت نفسى بجبريلِ
هل غير أنْ يعذلوني أنني فشلٌ فكل هذا نعم فاغروا بتعذيلي
إن أعتذرْ من فراري في الوغى أبداً فكان ذلك عذراً غير مقبولِ
إسمعْ أخبّرك عن بأسي بذى سَلَمٍ خلافَ بأس المساعير البهاليلِ
لما بدتْ منهمُ نحوى عشوزنةٌ تُشرّعُ الموتَ فى عرضي وفى طولى
فقلتُ ويحكمُ لا تذهبوا تجلدي رُمحى كسيرٌ وسيفى غيرُ مسلولِ
لما اتقيتهمُ طوراً بذاتِ يدٍ وانصعتُ أطوى الفلا ميلاً الى ميلِ
اللهُ خلّصني منهمْ وفلسفتي حتى تخلصتُ مخضوبَ السراويلِ

.. ولآخر

أضحتْ تشجّعني هندٌ وقد علمتْ أنّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العطَبُ
لا والذي حجّتِ الانصارُ كعبتَهُ مايشتهي الموتَ عندى من له أرَبُ
للحربِ قومٌ أضلّ اللهُ سعيَهمُ اذا دعتهم الى حوْماتها وثبوا
ولستُ منهم ولا أهوى فعالَهمُ لا القتلُ يعجبنى منهمْ ولا السلَبُ

قطرُب النحوىّ

مالي ومالكِ قد كلّفتني شططاً حمل السلاحِ وقولَ الدارعينَ قفِ
أمنْ رجالِ المنايا خلتني رجلاً يُمسى ويُصبحُ مُشتاقاً الى التلَفِ
تمشى المنونُ الى غيرى فأكرهُها فكيفَ أمشي اليها عاريَ الكتفِ
هلْ خلتِ أنّ سوادَ الليلِ غيّرنى وانّ قلبي فى جنبيْ أبى دُلفِ

محاسن النظر فى المظالم

قال دخل رجل فى جماعة من الناس على سليمان بن عبد الملك وهو جالس للعامة فقال ياسليمان أذكرك يوم الاذان فقال فارتاع لما دعاه باسمه وقال ويحك وما يوم الاذان

قال قول الله جلّ ذكره (فأذّنَ مؤذّنٌ بينهم أنْ لَعنةُ الله على الظالمين) فبكى سليمان وقال له ماحاجتك فقال أنا جار في ضيعتك الفلانية وقد ظلمني وكيلك فأضرّ ذلك بي وبعيالي قال قد وهبتُ لك الضيعة وكتب الى وكيله بتسليمها اليه .. قيل وقدم رجل من حُلوان مصر على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال ياأمير المؤمنين ان والدك ولي بلادنا فكتب الى عبد الملك يخبره ان حلوان صافية وهي أرض خراج فاقطعها اياه فورثتها أنت واخوتك فاتّق الله ولا تظلمنا كما ظلمنا أبوك فانه كان شيخاً ضعيف المخرج وأنت رجلٌ مخرج فقال عمر ان كان أبي كما ذكرت فهو أبي لا أبوك نازعتني منازعة جيلة ولا تشتم عرضي فان لي فيها شركاء اخوة وأخوات لا يرضون أن أقضى فيها بغير قضاء قاض أقوم معك الى القاضي فان قضي لي اصطبرت وان قضى لك سلمت قال ان قمت معي الى القاضي فقد أنصفتني فقاما جميعاً الى القاضي فقعدا بين يديه فتكلم عمر بحجته وتكلم الرجل فقضى القاضي للرجل فقال عمر ان عبد العزيز قد أنفق عليها الف الف درهم فقال القاضي قد أكلتم من غلّتها بقدر ذلك فقال عمر وهل القضاء الا هذا لو قضيت لي ماوليتَ لي عملا أبداً نخرج الى الرجل من حقه .. قال ودخل نفر من القرّاء وفيهم رجل ذكر ظُلامة له على عمر فقال ياأمير المؤمنين اذكر مقامي هذا فانه مقام لايشغل الله جلّ وعزّ عنه كثرة من تخاصم اليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنوب فقال عمر ويحك اردد كلامك فردّه عليه فجعل يبكي وينتحب حتى اذا أفاق قال ماحاجتك قال عاملك على اذربيجان ظلمني وأخذ من مالي عشرة آلاف درهم فكتب بردّ ذلك عليه وبعزل عامله وقال انظروا هل اخلولق له من ثوب أو تقطع له من حذاء فحسب ذلك فبلغ عشرين ديناراً فأمر بدفعها اليه .. قال وبينا عمر رحمه الله يسير على بغلته اذ جاء رجل فتعلق بلجامها فقال أتيتك بعيدَ الدار مظلوما قال له من أين أنت قال من حضرموت أرضي وأرض آبائي أخذها الوليد وسليمان فأكلاها فنزل عمر عن بغلته يبكي حتى جلس على الارض ثم قال من يعلم ذلك قال أهل البلد قاطبةً قال يكفيني من ذلك شاهدَا عدل اكتبوا له الى بلاده ان أقام شاهدَيْ عدل ان الارض له ولآبائه فادفعوها اليه فلما ولى الرجل قال انظروا

هل هلكت له راحلة أم نفد له زاد أو تخرّق له من حذاء فحسبوا ذلك فبلغ ثلاثين ديناراً فأتى بها فعدّت في يده .. قال ابن عيّاش وخرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له وعليه قميص ومُلاءة اذ جاء رجل على راحلة حتى أناخها وسأل عن عمر فقيل له قد خرج وهو راجع الآن فأقبل عمر ومعه رجل يسايره فقيل للرجل هذا أمير المؤمنين فقام فشكا اليه عديّ بن ارطاة في أرض له فقال عمر قاتله الله أما والله ماغرّنا الا بعمامته السوداء أما اني قد كتبت اليه فضلاً عن وصيتي ان من أتاك ببينة على حق له فسلمه اليه ثم قد عنّاك اليّ فكتب الى عدي بردّ أرضه وقال للرجل كم أنفقت قال تسألني عن نفقتي وقد رددت عليّ أرضاً هي خير من مائة ألف درهم قال انما ردّها عليك حقك أخبرني كم أنفقت قال ما أدري قال احزروه فاذا هو ستون درهماً فأمر له بها من بيت المال فلما ولى صاح به فرجع فقال وهذه خمسة دراهم من مالي فكل بها لحماً حتى تبلغ .. الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت قال أخبرني دهقان السيلحين قال كان لسعيد بن مالك الى جنبي ضيعة وكان رجلا حديداً فأتيته فقلت له أعدني على نفسك فأمر فوجئ في عنقي فقلت لأرحلنّ الى عمر فدخلت على امرأتي فاعلمتها ذلك فقالت اني أخاف أن لا تصنع شيئاً ويجترئ عليك فقلت اني أكره أن يتحدث العجم بأني قلت شيئاً ولم أفعله قال فخرجت حتى قدمت المدينة فسألت عن عمر رحمه الله فدُللتُ عليه وأرشدت اليه فلما أتيت منزله دخلت فاذا عمر رضى الله عنه جالس على عباءة فرفع رأسه اليّ وقال كأنك لست من أهل الملة فقلت أنا رجل من أهل الذمة قال فما حاجتك قلت لسعيد بن مالك ضيعة الى جانبي واني أتيته أستعديه على نفسه فأمر بي فوُجئت في عنقي فقلت لأرحلنّ الى عمر فقال عمر يايرفى ائتني بالدواة والمكتب فأتاه بجراب فأدخل يده وأخرج صحيفة فكتب فيها ثم أخرج سيراً يشدها به فلم يقدر عليه فتناول خيطاً من العباءة التي تحته وقد تنشرت جوانبها فشدها به فأردت أن لا آخذها ثم تناولتها متثاقلا فكأنه عرف ما في نفسي فقال ائته فان كفاك والا فأقم واكتب اليّ قال فخرجت حتى قدمت على أهلي فقالوا ما صنعت قلت أتيت رجلا لم يقدر على سير يشدّ به صحيفته حتى تناول خيطاً من عباءة كانت تحته قد تفزّرت وتنشّر

جوانبها فشدّها به قالوا وما عليك من ذلك ان نفذ أمره قال فأتيت سعيداً فناولته الكتاب فلما قرأه أرعدت فرائصه حتى سقط الكتاب من يده وقال ويلك ماصنعت إذهب فالارض لك فقلت لاأقبلها فقال لا والله لاأخذتها أبداً قال وكان نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى سعيد بن مالك سلام عليك أما بعد فان مهرزاد دهقان السيلحين ذكر ان له ضيعة الى جانبك وانه أتاك يستعديك على نفسك فأمرت به فوجئت عنقه فاذا جاءك كتابي هذا فأرضه من حقه والا فأقبل اليّ راجلا والسلام ٠٠ قيل ولما ولي المأمون الخلافة عُرضت عليه سيرة أبي بكر رحمه الله وفي آخرها وكان يأخذ الأموال من وجوهها ويضعها في حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق ذلك ثم عرضت عليه سيرة عمر رضي الله عنه وفي آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها في حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق هذا ثم عرضت عليه سيرة عثمان رحمه الله وفي آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها في حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق هذا ثم عرضت عليه سيرة علي رضي الله عنه وفي آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها في حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق هذا ثم عرضت عليه سيرة معاوية بن أبي سفيان وفي آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها كيف شاء فقال ان كان فهذا ٠٠ وأخبرنا بعض أصحابنا قال شهدت المأمون يوما وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصري ياأمير المؤمنين اني تزوجت بامرأة من آل زياد وان أبا الرازي فرّق بيننا وقال هي امرأة من قريش قال فأمر عمرو بن مسعدة فكتب الى أبي الرازي انه قد بلغ أمير المؤمنين ماكان من الزياديّة وخلعك إياها اذ كانت من قريش فمتى تحاكمت اليك العرب لاأم لك في أنسابها ومتى وكلتك قريش يابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها فخلّ بين الرجل وامرأته فلئن كان زياد من قريش انه لابن سُمَيّة بغيٍّ عاهرة لايفتخر بقرابتها ولا يتطاول بولادتها ولئن كان ابن عُبيد لقد باء بأمر عظيم اذ ادّعى الى غير أبيه لحظٍّ تعجّله ومُلك قهره ٠٠ وحدثنا غيره قال شهدت المأمون يوما وقد ركب بالشمّاسيّة وخلفه ظهره أحمد بن هشام فصاح به رجل من أهل فارس الله الله ياأمير المؤمنين فان أحمد بن هشام ظلمني

واعتدى عليّ فقال كن بالباب حتى أرجع فانظر فى أمرك فلما مضى التفت الى أحمد ابن هشام فقال مايؤمنك منا ان نوقفك وصاحبك هذا على رؤس هذه الجماعة ونقعد مع خصمك حيث يقعد ثم يكون محقاً وتكون مبطلا فكيف ان كنت فى صفته وكان فى صفتك فوجه اليه من يحوله عن بابنا الى رحلك وأنصفهُ من نفسك واعطه ماأنفق في طريقه الينا ولا تجعل لنا ذريعة الى لائمتك فوالله لو ظلمت العباس ابني كان أهونَ عليّ من ظلمك ضعيفاً لايجدُني فى كل وقت ولا يخلو له وجهي ولا سيما من كان يجشّم السفر البعيد ويكابد حرّ الهواجر وطول المسافة قال فوجّه اليه أحمد بن هشام فحوّله الى مضربه وكتب الى عامله برد ماأخذ منه ووصل الرجل بأربعة آلاف درهم ٠٠ قال وتنازع رجلان بباب الجسر أحدهما من العظماء والآخر من السوقة فقنّعه الرجل فصاح السوقى واعُمَراه ذهب الاسلام فأخذ الرجل وكتب بخبره الى المأمون فدعاه وقال له ما كانت حالك فأخبره وأحضر خصمه وقال له لم قنّعت هذا فقال ياأمير المؤمنين هذا رجل معاملى وكان سيئ المعاملة وكنت صبوراً على ذلك منه فلما كان فى هذا اليوم مررت بباب الجسر فأخذ بلجام دابتي وقال لاأفارقك حتى تخرج الي من حقي فقلت له انى أبادر الى باب اسحاق بن ابراهيم فقال والله لو جاء اسحاق ومن ولى اسحاق مافارقتك فما صبرت حين عرّض بالخلافة ان قنّعته فصاح واعمراه ذهب الاسلام منذ ذهب عمر فقال للرجل ماتقول قال كذب عليّ وقال الباطل فقال الرجل لى جماعة يشهدون على مقالته ياأمير المؤمنين فان أذنت لى أحضرتهم قال المأمون للرجل من أين أنت قال من أهل فامية فقال أما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول من كان جاره نبطيّاً واحتاج الى ثمنه فليبعه فان كنت انما طلبت سيرته فهذا حكمه فى أهل فامية ثم أمر له بألف درهم وأمر صاحبه ان يُنصفه ٠٠ وحدثنا أبو الفضل الهاشمى عن قحطبة بن حميد بن شبية قال قعد المأمون للمظالم ذات يوم فلم يزل قاعداً الى ان قلنا قد فاتته الصلاة فكان آخر من دُعى امرأة فقالت السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الي يحيي بن أكثم فقال وعليك السلام تكلّمي ياأمة الله فقالت

يا خيرَ مُنتصفٍ يُهدَى به الرَّشدُ ويا إماماً به قد أشرقَ البلدُ
أشكو اليكَ عقيدَ الملك أرملةً عدا عليها فلا تقوَى به الأسدُ
فابتزَّ منى ضياعى واستبدَّ بها ففارقَ العيشَ منى الأهلُ والولدُ

•• فقال المأمون

في دُونِ ماقلتِ عِيلَ الصبرُ والجلدُ وقد تقطعَ منى القلبُ والكبدُ
هذا أوانُ صلاةِ الظهرِ فانصرفي وأحضرى الخصمَ في اليومِ الذى أعدُ
والمجلسُ السبتُ انْ يُقضَ الجلوسُ لنا ننصفْكِ فيه والاّ المجلسُ الأحدُ

قال فانصرفت فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من دعا به المرأة فسلمت فرد المأمون عليها السلام وقال أين الخصم رحمك الله قالت هو واقف على رأسك وقد حيل بينى وبينه وأومأت الى العباس ابنه فقال يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فاقعده معها ففعل ذلك فجعلت تعلو على العباس بصوتها وتقول ظلمتنى واعتديت علىّ وأخذت ضيعتى فقال لها أحمد ماهذا الصياح انك بين يدى أمير المؤمنين تناظرين الأمير فقال المأمون دعها يا أحمد فان الحق أنطقها والباطل أخرسه فلم يزالا يتناظران حتى حكم المأمون لها برد ضيعتها ثم قال يا أحمد اردد عليها ما جباه العباس من ضيعتها وادفع اليها عشرة آلاف درهم ترمّ بها ما أراه من سوء حالها واكتب الى والينا وقاضينا بارفاقها والنظر فى أمرها وأوغر لها خراج ضيعتها بالشئ الطفيف وليكن ذلك فى يومنا هذا فما برحت حتى قُضيَتْ حوائجها وخرجت •• وعن الحسن بن سهل قال جلس المأمون ذات يوم للمظالم واذا هو برجل قد مثل بين يديه وفى يده رقعة فيها سطران بسم الله الرحمن الرحيم مظلمة من أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فقال أمظلمة منى قال أفأخاطب بالخلافة سواك قال له وما ظلامتك هذه قال ثلاثون الف دينار قال وما وجهها قال ان سعيداً وكيلك اشترى مني جوهراً بثلاثين الف دينار وحمله الي منزلك ولم يوفر علىّ المال قال فاذا اشترى سعيد منك الجوهر تشكو الظلامة مني قال نعم اذا كانت الوكالة قد صحت له منك قال ان كلامك هذا يحتمل ثلاث جهات أما أول ذلك فلعل سعيداً قد اشترى هذا الجوهر منك كما زعمتَ وحمله الينا وأخذ المال من بيت المال ولم يوفره عليك

أو لعله قد وفره وادعيت باطلا أو اشتراه لنفسه أمّا فى العاجل فلا يلزمنى لك حق ولا أعرف لك ظلامة فقال الرجل ان الله جل وعز قد أهّلك لموضع رفيع واختصك بنسب جعلك أولي الخلق معه بالانصاف والانتصاف فانك مناسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسترعاك على خلقه فهلا تحملنى على كتاب الله جل وعز وسُنة ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى رسالته الى أبى موسى الأشعرى وهي التى اتخذ نحوها صدور أحكامكم ووصية لقضاتكم اذ يقول البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر قال المأمون فانك والله قد عدمت البينة فما يجب لك الا حلفةٌ ولئن حلفتها لأنا صادقٌ اذ كنت لا أعرف لك حقاً يلزمنى قال فاذاً أدعوك الى الحاكم الذى نصبته لرعيتك قال نعم يا غلام علىّ بيحيى بن أكثم فاذا هو قد مثل بين يديه فقال يا يحيى قال لبيك يا أمير المؤمنين قال اقض بيننا قال فى حكم وقضية قال نعم قال لا أفعل قال ولِمَ قال لانّ أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضائى قال قد فعلت قال فانى أبدأ بالعامة أولا ليصح المجلس للقضاء قال افعل ففتح الباب وقعد فى ناحية من الدار وأذن للعامة ونادى المنادى وأخذ الرقاع ودعا بالناس ثم دعا الرجل المتظلم فقال له يحيى ما تقول قال أقول أن تدعو بخصمى أمير المؤمنين المأمون فنادى المنادي فاذا المأمون قد خرج فى رداء وقميص وسراويل قد أرسلها على عقبيها فى نعل رقيق ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف على يحيى وهو جالس فقال له اجلس فطرح المصلى ليقعد عليه فقال له يحيى يا أمير المؤمنين لا تأخذ على خصمك شرف المجلس فطرح له مصلى آخر فجلس عليه وقال له يحيى ما تقول فقال لى على هذا ثلاثون الف دينار قال ومن هذا قال أمير المؤمنين المأمون بالله قال له يحيى يا أمير المؤمنين قد سمعت ما يقول قال سَله ماوجهها فأعاد خبر الوكيل فقال المأمون ما أعرف له حقاً فأقبل على الرجل فقال قد سمعت ألك بينة قال لاقال فما تريد قال ما يوجبه الحكم لمن عدم البينة قال المأمون ويحك قد لججت في اليمين قال يا أمير المؤمنين أتحلف قال أى والله ولا أوطئ نفسي الحشوة فى اعطاء رجل ما لا يجب له ظلماً فقال قل والله فاستحلفه غموساً ثم وثب يحيى عند فراغ المأمون من يمينه فقام على رجليه فقال له المأمون ما أقامك فقال اني كنت

في حق الله جل وعز حتى أخذته منك وليس الآن من حقك أن أتصدر عليك وقبض على الرجل لئلا يخرج فقال المأمون ارفقوا به ثم قال يا غلام احضرني ما ادّعي من المال فلما أحضر قال خذه اليك والله ما كنت أحلف على فجرة ثم أسمح لك فأفسد ديني ودنياي والله يعلم ما دفعتُ اليك هذا المال الا خوفاً من هذه الرعية لعلها ترى أني تناولتك من وجه القدرة واني منعت واجبك بالاستطالة عليك وانها لتعلم الآن ما كنت أسمح لك باليمين والمال فقال يا أمير المؤمنين أفأُحاطُ في المال حتى أصلَ الى حيث آمن عليه قال أي والله ولو بالتعزُّز وأسبيجاب فأخرج الرجل مع المال وبُذرق به الى أن بلغ مأمنه (ومنه روايات)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل اذا ظُلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله جل وعز لبيك عبدي أنصرك عاجلا وآجلاً ·· وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قولهم انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه ·· قال وقال الفُضيل بن عياض بكي ابني فقلت له ما يُبكيك فقال أبكي على من ظلمني وأخذ مالي أرحمه غداً اذا وقف بين يدي الله عز وجل وسأله فلا تكون له حجة ·· قال وقال الحسن البصري يا أيها المتصدق على السائل ترحمه ارحم أولا من ظلمت ·· وروي عن عبد الله بن سلام انه قال قرأت في بعض الكتب قال الله تبارك وتعالى اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني ·· وقال خالد اياكم ومجانيق الضعفاء يريد الدعاء (ومنه توقيعات)

قال وقع المأمون في كتاب متظلم من أحمد بن هشام اكفني أمر هذا الرجل والا كفيته أمرك ·· ووقع في رقعة رجل من العامة تظلم من عليّ بن هشام يا أبا الحسن الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه مَن دونه فاعلمني أي الرجلين أنت ·· وقال عمرو بن مسعدة كتبت الى عامل دستبي كتاباً أطلته فأخذه المأمون من يدي وكتب قد كثر شاكوك فاما عدلت واما اعتزلت ·· ووقع في رقعة رجل تظلم من الرُّستمي ليس من البرّ أن تكون آنيتك ذهباً وقدورك فضة وجارك يَطوى وغريمك يعوى ·· قال ووقع هشام بن عبد الملك في رقعة متظلم من العامة أتاك الغوث ان كنت صادقاً حل بك النكال ان

كنت كاذباً فتأخر أو تقدّم ٠٠ قال ورفع رجل الي المنصور قصة يتظلم فيها من عامل فارس فوقّع له ان آثرت العدل صحبتك السلامة ووقع لقوم متظلمين شكوا سيرةواليهم كما تكونون يولى عليكم ٠٠ ووقع يحيى بن خالد لمتظلم من بعض الولاة أنصِف من وليت أمره والا أنصفهم من ولي أمرك ٠٠ ووقع بعضهم الى صاحب مظالم ما أراني سالماً من المآثم بتوليتي اياك المظالم يا رديء المختبر اعتزل غير محمود الأثر ٠٠ قيل وقال رجل للمعتصم يا أمير المؤمنين ظلمنى من وافق اسمه فعله فقال المعتصم "لبغا سله عمن يتظلم فاني أراه يتظلم من ظلوم فسأله فقال من ظلوم فتبسم المعتصم وقال لابن أبى دؤاد ما أبعد الرجل فى قوله قل لها بحياتي أنصفيه٠٠قال وأخبرنا ابراهيم بن محمد قال كنا مع المتوكل فى بعض منتزهاته فوقف على تل كله حصىً قد غسله المطر فاستحسنه فنزل فصلى وسبح ثم قال فى دعائه اللهم انك خلقتنى ولم أك شيئاً ثم صيرتني فوق هذا الخلق وأنت قادر أن تزيل هذا كله فارزقنى العدل والنصفة وألق فى قلبي لهم الرأفة والرحمة ثم بكى وأخذ كفاً من ذلك الحصى فجعله على رأسه وجعل يقلب خده ووجهه على الأرض ثم قام فركب

مساوى أخذ الجار بالجار

قال قال الحجاج بن يوسف لآخذنّ السمي بالسميّ والولي بالولي والجار بالجار وقد لعن الناس قائل هذا البيت

أرى أخذَ البريّ بغير جُرْمٍ   تجنبَ ما يُحاذرُهُ السّقيم

وقال الحارث بن عُباد فى هذا المعنى

لم أكنْ من جُناتِها علمَ اللهُ   وانى بحرّها اليومَ صالى

٠٠ وقيل

* لعلّ لهُ عذراً وأنتَ تلومُ *

وأنشد في مثله النابغة

حمّلتني ذنبَ امرئٍ وتركتَهُ كذي العُرِّ يكوى غيرُهُ وهو راتعُ

•• وكانوا اذا أصاب ابلهم العرّ كووا السليم ليذهب العر عن السقيم فاسقموا الصحيح من غير أن يبرأ السقيم وكانوا اذا أوردوا البقر الماء فلم تشرب ضربوا الثور ليقتحم الماء فتتبعه البقر فقال الشاعر في ذلك

تجوني اذ عجزت جبالَ سلمى كضربِ الثورِ للبقرِ الظماء

•• وقال غيره

كما تُضربَ اليعسوبُ أن عاف باقرٌ وما ذنبُهُ ان عافتِ الماء باقرُ

وقال غيره

إذا عركتْ عجلٌ بنا ذنبَ طيءٍ عركنا بتيمِ اللاتِ ذنب بنى عجلِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان

وإنّ امرأ يمسي ويُصبحُ سالماً منَ الناسِ إلّا ما جنى لسعيدُ

•• قيل وأُتى عبد الصمد بن علىّ بأناس من الشُطّار فأمر بضربهم وحلق رؤسهم ولحاهم ففُعل بهم ذلك وكان فيهم رجل سُناطٌ فقيل له ان هذا ليست له لحية فهل نزيده فى الضرب قال لا ولكن احلقوا لحية هذا الشرطيّ مكانه

محاسن السطوة

قيل وبلغ من عدل هرمز بن كسرى أنو شروان انه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن متنزّهاً وكان ممره على كروم وبساتين وان رجلا من أساورته اطلع على كرم فرأى فيه حصرماً غضاً فأمر غلامه فنزل اليه وأخذ منه عناقيد وقال له انطلق به الى المنزل ليطبخ مرقةً حصرمية فأقبل حافظ ذلك الكرم فتعلق بالغلام وصاح حتى بلغ ذلك صاحبه ففزع وتخوف عقوبة الملك فدفع منطقتَه الى حافظ ذلك الكرم وكانت محلاّة بالذهب مرصعة بالجوهر فافتدى بها نفسه من عقوبة الملك ورأى ان لحافظ ذلك الكرم عليه الفضل •• وبلغ من عدله أيضاً ان ابنه أبرويز وقع مركب من مراكبه فى

بعض مسيره في زرع على طريقه فأفسده فأقبل صاحب الزرع الى ذلك المركب فأخذه وصار الى الموكل بالنظر في مظالم الرعيــة فرفع أمره الى الملك فأمر الملك بالفرس ان تجدع أذناه ويقطع ذنبه ويغرّم صاحبه كسرى أبرويز مقدار مائة ضعف مما أفسد من ذلك الزرع فخرج الموكل بذلك من عنــد الملك لينفذ أمر الملك في فرس ابنه فتحمل عليه ابنه بنفر من عظماء المرازبة وسألوه ان يصفح عما أمر به الملك على ان يغرّم كسرى لصاحب الزرع ألفي ضعف ماأفسد المركب من زرعه فلم يجبهم الموكل الى ذلك وأخذ الفرس فجدع أذنيه وقطع ذنبه وغرّم كسرى مائة ضعف ماأفسد المركب من زرع الرجل ورده عليــه ٠٠ وحكي عن بهرام جور ان رجلا من خاصــته في مسيره الي ملك الترك أخذ من امرأة أكار سبزتين فشكت ذلك الي بهرام فأمر بالرجل فضربت عنقــه ودُفع سلبه الى المرأة بدلاً من تبنها ٠٠ قيل وبلغ من عــدل كسري انوشروان انه اتخذ وصيفتين وأمر ان تقوم واحدةٌ عن يمينه وتقوم الاخرى عن شماله بأيديهما قضيبان من ذهب وهو جالس لينظر في أمور الناس فكان اذا كاد أن يســهو حرّكتاه بالقضيب وقالا له والرعيــة يسمعون أيها الملك انتبه أنت مخلوق لاخالق أنت عبد لامولى أنت فانٍ لاباق ليس بينك وبين الله جلّ وعزّ قرابة فانظر لنفسك وأنصف الناس فمضى على هذا حتى أتاه اليقين ٠٠ وقال اردشير تعطيل الحدود تضرية للمجرمين ويوم العدل على الظالم أمرّ من يوم الظالم على المظلوم ٠٠ المدائني قال مرّ رجل من الدهاقين أيام زياد بحمار قد حمل عليه خمر فأخذه الحرس وقالوا ألم تعلم ان الأمير قد نهي عن ادخال الخمر الى المصر قال بلى وهذا الخمر للأمير فلما بلغ زياداً ذلك قال هذا رجل احتال للوصول اليّ فدعا به وقال ماأمرُك قال لي أرض عند نهر المرأة فيها نخل فأرســل ابن المرأة غلمانه ليصرموا بعض النخل فقلت لهم خــذوا حاجتكم منها ولا تفســدوا فأخذوا ماأرادوا وأتوه فأخبروه بمقالتي فأرســل اليّ وضربني وعقر نخلي فأرسل زياد معه رجلا وقال له انطلق به فاذا كنت قريباً من الارض التي يذكر فسلْ من لقيت من رجل وامرأة عما يقول فان اجتمعوا على مقالة واحدة ورأيت النخل قد عقر فخذ الذى أمر بقطعها فأجّله ثلاث ساعات فان أتاك بقيمة النخل لكل نخــلة

الف درهم نخلّ سبيله وان مضت الثلاث الساعات ولم يأتك بذلك فاضرب عنقه وائتني برأسه ومضى الرسول وسأل فكان الأمر كما حكاه فاغرم قاطع النخل أربعين الف درهم وحمل المال الى زياد فقال لو أتيتنى برأسه كان أحب الىّ ودفع المال الى صاحب النخل

محاسن العفو

قيل أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأتعلق بأطرافك وأقول يارب سل مصعباً فيم قتلنى فقال اطلقوه فقال أيها الأمير اجعل ماوهبت لى من عمرى فى خفض فقال اعطوه مائة الف درهم قال بأبى أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيّات منها النصف لقوله

انما مُصعبٌ شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلماء

فضحك مصعب وقال لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنيعة وأمر له بالمائة الالف ولابن قيس بخمسين الف درهم •• وذكر عن أبى العباس السفّاح انه غضب على رجل فذكره فى ليلة من الليالى فقال له بعض جلسائه ياأمير المؤمنين ان فلانا لو رآه أعدَى خلق الله له لرحمه وأُنغِضَ قلبه له قال ولم ذلك قال بغضب أمير المؤمنين عليه قال ماله من الذنب ماتبلغ به العقوبة هذا المبلغ قال مُنّ عليه ياأمير المؤمنين برضاك قال ماهذا وقت ذاك قال ياأمير المؤمنين انك لما صغّرت ذنبه طمعت له فى رضاك فقال انه من لم يكن بين غضبه ورضاه فُرْجةٌ لم يحسن ان يغضب ولا يرضى وعلى هذا اخلاق الملوك •• قيل وحضر صالح المرّيّ مجلس المنصور وعنده نفر من أهل بيته وقد ولي سعيد بن دَعْلَج احداث البصرة فدعا بنفر من أهل الجنايات ليعاقبهم فلما أُتي بهم تحرّك صالح ليقوم فقال له رجل ممن حضر أين تقوم والله ما أحتاج الى جلوسك عنده الا الساعة فقال صدقت وقال ياأمير المؤمنين ان الله جلّ وعزّ يقول فى كتابه والكاظمين

الغيظَ والعافينَ عن الناس والله يحب المحسنين فبكى المنصور حتى اخضَلّ لحيته بالدموع وأمر بتخليتهم ٠٠قيل وأُتى المنصور بجانٍ فأمر فيه بعقوبة غليظة فقال له العباس بن محمد يا أمير المؤمنين انك غضبت لله جل ذكره فلا تغضب له بأكثر مما غضب لنفسه وقد تبين لك مايجب على مثله من الحد فأمر باطلاقه ٠٠ قال وحدثنا المدائنى قال كان سهل بن سعد القشيري خرج مع محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن على المنصور فقال المنصور هذا كان عندنا من الفقهاء والعلماء فكيف خرج علينا ثم قال له المنصور والله لأقتلنك قتلة ماقتلتها أحداً فقال يا أمير المؤمنين ان تحنث فى يمينك هذه خير لك عند الله من أن تبربها واعلم يا أمير المؤمنين انك ان قتلتنى قتلت أربعة آلاف حديث سمعتها من الضحاك بن مزاحم عن جدك عبد الله بن العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرويها أحد غيرى قال فوضع يده على خده وقال هات قال حدثنى الضحاك ابن مزاحم عن جدك عبد الله بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الجنة حزَنٌ بربوة وعمل النار سهل بسهوة والسعيد من وُقى شر الفتن ومن ابتلى فصبر فيالها ثم يالها وما امتلأ عبد غيظاً فكظمه الا ملأه الله ايماناً قال هات قال حدثنى الضحاك بن مزاحم عن جدك عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف المؤمن قيامه بالليل وعزلته عن الناس فأمره بالجلوس ثم قال هل من أحد يضمنك على ان تلزمنا فتسمر عندنا وأقام معه ٠٠ وقيل انه سخط المهدى على بعض القحاطبة فقال لأراه الا والسيف مسلول والنطع منشور فأتى به وقد سل السيف ونشر النطع فبكي فقال ألك مثل حركتك وتبكي فقال مابكيتُ جزعاً من الموت ولكن بكيت ان ألقى الله وأنت ساخط على فقال المهدى ياغلام ادرج النطع واغمد السيف

* ان الكريمَ اذا خادَعتهُ انخدَعا *

٠٠قيل وعاتب المهدى شبيب بن شيبة فى شئ بلغه عنه فاعتذر اليه وقال والله لو كان لى ذنب لأقررت ولكن عفو أمير المؤمنين أسرع الي من براءتى ٠٠وقال موسى بن عبد الله أُتي موسي برجل فجعل يقرره بذنوبه ويتهدده فقال الرجل يا أمير المؤمنين اعتذارى مما

تقر عنى به ردٌّ عليك واقرارى يوجب لى ذنباً ولكنى أقول

فانْ كنتَ ترجو فى العقوبة رحمةً فلا تزهدنْ عند المعافاة فى الأجر

فأمر باطلاقه •• وقال العباس بن قيس أتي الهادى برجل أراد ان يضرب عنقه فقال ياعدوّ الله ائتمناك نخنتَ واستنجدناك فلم تنجدنا وأعطيناك فلم تشكرنا فقال الرجل ياأمير المؤمنين ان كلامي وحجتى ردٌّ عليك وفيّ أكثر مما قال أمير المؤمنين وعفوه واحسانه يأتيان على ذلك فكأنما كان ناراً صبّ عليها الماء نخلى سبيله •• وحكي عن الرشيد فى عبد الله بن مالك الخزاعي حين غضب عليه فأمر أهله وحشمه وجميع قراباته ان يتجنبوا كلامه ومعاملته ومعاطاته حتى أثر ذلك فى بدنه وتحاماه أقرب الناس اليه من ولد واهل فلم يدنُ منه أحدٌ ولم يطف به فجاءه محمد بن ابراهيم الهاشمى وكان أحد أودّائه فى جوف الليل فقال له ان لك عندى يداً مأساها ومعروفاً ما أكفره وقد علمت ماتقدم به أمير المؤمنين فى أمرك وها أنا بين يديك ونصبَ عينيك فمرنى بأمرك فوالله لأجعلن نفسى وقايةً لك فقال له عبد الله خيراً وأثني عليه وأخبره بعذره فيما وجد عليه الرشيد فلما دخل عليه قال له أين كنتَ في هذه الليلة قال عندعبدك ياأمير المؤمنين عبد الله بن مالك كنتُ عنده وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق مماليكه وصدقة ماله مع عشرين بدنةً يهديها الى بيت الله الحرام حافياً راجلا ان كان مابلغ أميرالمؤمنين سمعه الله جلّ وعزّ من عبد الله ولا اطلع عليه ولا همّ به أو أظهره قال فأطرق الرشيد ملياً مفكرا ومحمد يلحظه ووجهه يشرق مرة ويُسفر أخرى وكان قد حال لونه حين دخل عليه ثم رفع رأسه فقال أحسبه صادقا يامحمد فمره بالرواح الي الباب قال وأكون معه قال نعم فانصرف محمد الى عبد الله فبشره وأمره بالركوب رواحاً فدخلا جيعاً فلما أبصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة وخرّ ساجداً ثم رفع رأسه فاستدناه الرشيد فدنا وعيناه تهملان فأكبّ عليه وقبّل بساطه ورجليه وموطأ قدميه ثم طلب ان يأذن له فى الاعتذار فقال مابك حاجةٌ الي ان تعتذر اذقد عرفت عذرك قال فكان عبد الله يري بعد ذلك اذا دخل على الرشيد بعض الانقباض فشكا ذلك الي محمد فقال محمد ياأمير المؤمنين ان عبدك عبد الله يشكو أثراً باقياً من تلك النبوة التى كانت

من أمير المؤمنين ويسأل الزيادة فى بسطه فقال الرشيد انا معشر الملوك اذا غضبنا على أحد من بطانتنا ثم رضينا عنه بقى لتلك الغضبة أثر لايخرجه ليل ولا نهار . . قيل ومدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشئ فانشأ يقول

لتنصفنّي ياأبا حاتمٍ أو لأصيرنّ الى حاكمِ
أوّلَ ماأتلفتَ منْ ماله خمسينَ ألفاً في شرَى هاشمِ
خمسين ألفاً وَضحاً كلها منْ مالِ هذا الملكِ النائمِ

فاحتفظها صاحب الخبر ورفعها الي الرشيد فقال صدق لولا انى نائم ماكانت أمورى تجرى على هذا السبيل وأمر باخراج الجرائد من الدار اليه فأول ماوجد على منصور ابن زياد عشرة آلاف الف درهم فحدّث صالح صاحب المصلّي قال دعاني الرشيد وهو على كرسي فقال اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف الف درهمفان لم يوردها بينك وبين المغرب فاضرب عنقه وجئني برأسه وأنا نفيٌ من المهدى لئن أنت دافعت عنه لأضربنّ عنقك قلت ياسيدي فان أعطاني بعضها ووقّتَ لى فى بعضها وقتاً قال لا فخرجت فأعلمته الخبر فأسقط فى يده وقال ماأراد الا قتلى لأنه يعلم ان مقدار مالى لايبلغ مابه طالبنى ولكن تأذن لى أن أدخل بيتى فأودّع أهلى فأذنت له فدخل ودخلت معه وبقيت واقفاً فبعث الى أمهات أولاده وبناته ونسائه ان اخرجن اليّ كما كنتنّ تخرجن عند موتي فان هذا آخر أيامي ولا سترَ لكُنّ بعدي فخرجن اليه مشقّقات الجيوب مخمّشات الوجوه بصراخٍ شديد فبكى اليهن وبكين اليه وبكيتُ معهنّ ثم ودّعهنّ وخرج وهنّ في أثره واضعات التراب على رؤسهن ثم قال ياأبا مقاتل لو أذنت لى فى المصير الى أبى على يحيى بن خالد البرمكى فكنت أوصيه بولدى وأهلى فقلت امض وصرنا اليه وقد نزل فى ساعته وهو على كرسى يغسل يده فلما توسطنا الدار جعل منصور يبكى ويمشى اليه حتى دنا منه وهو يسأله عن الحال فيمنعه البكاء من إخباره فأقصصت عليه قصته فقال ارجع الي أمير المؤمنين وسله ان يهبهُ لى قلت مالى الي ذلك سبيل ولا يرانى الا والمال معي أو رأس منصور كما أمرنى فقال لخادم له ائت فلانةَ فسلها كم لنا عندَها من المال فانصرف وذكر ان عندها خمسة آلاف الف

درهم فقال لي احملها وابلغ أمير المؤمنين رسالتي في باقيها فأعلمته أن لاسبيل الي حمل بعضها دون بعض فأطرق ثم رفع رأسه ثم قال ياغلام ائت دنانير فقــل لها تبعث الي بالجوهر الذي وهبه لها أمير المؤمنين فبعثت اليه بحُق فقال هــذا جوهر ابتعناه لأمير المؤمنين بمائتي الف دينار وهو عارف به وقد جعلته له بمائة الف دينار وهو الفا الف درهم واحمل اليه هذه السبعة الآلاف الالف والرسالة فأبيت فوجه الي الفضــل ابنه انك كنت أعلمتني انك على ابتياع ضيعة نفيسة وقد أصبتها ولا يوجد مثلها في كل وقت وابتياعها فرصة فاحمل اليّ مالها فعاد الرسول ومعه الفا الف درهم ووجه الى جعفر ابنه أن يوجه اليه بالف الف درهم فأنفذ اليه صكًا أو صكاكاً الى الجهبذ بها فقبضت المال ووافيت الرشيد قبل المغرب وهو منتصب على حالته ينتظر رجوعي اليه فأخبرته الخبر فلما انتهيت الي خبر الحُقّة قال صدق وقد ظننت انه لاينجيه غيرهم احمل هــذا المال أجمعَ الى أبي علي واردده عليه وأعلمه اني قــد قبلت ذلك عن منصور ورددته عليه ففعلت ذلك ولقيني بعد ذلك يحي منصرفاً من الدار ومنصور معه يسايره ويضاحكه والناس خلفه فقلت والله لأنصحن هذا الشيخ الكريم فدخلت معــه ودخل منصور ودعا بغدائه فلما نهض منصور قلت يأبا علي اني والله مارجعت معك الا لنصحك وقد رأيت مكان هذا الرجل منك وكنا حين حملت المال أنهضته معي فوالله ماقطع نصف الصحن من الدار حتى تمثل بهذا البيت

فما بُقيا عليّ تركتماني ولكنْ خفتما صَردَ النبال

فعارض أكرم فعلك بالأم خصلة فيه فدعاني الامتعاض من ذلك الى اخبارك فاني من تعلم في مودتك وطاعتك فأكبّ على الارض ساعة ثم رفع رأسه فقال أعــذره فقد كان عقله عزب عنه في ذلك الوقت قال فكان عذره له أحسن من إحيائه اياه ٠٠ قيل وأمر الرشيد يحي بن خالد بحبس رجل جَنى جناية فحبسه يحي وسأله عنه الرشــيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به اعرض عليه ان يكلمني ويسألني اطلاقه فقال له ذلك الموكل به فقال قل لأمير المومنين ان كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحكم الله فخرّ الرشيد ساجداً مغشياً عليــه

وأمر باطلاقه ٠٠ قيل وأُتي الرشيد برجل قد وجب عليه الحد فأمر ان يُضرب فضرب فقال يأمير المؤمنين قتلتنى قال الحق قتلك قال ارحمني قال لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد ثم أمر باطلاقه ٠٠ قال وقال الرشيد للجهجاه أزنديق أنت فقال كيف أنا زنديق وقد قرأت القرآن وفرضت الفرائض وفرقت بين الحجة والشبهة قال والله لأضربنك حتى تقر قال هذا خلاف ماأمر الله جلّ وعزّ به أمر أن يضرب الناس حتى يقروا بالايمان وأنت تضربني حتى أقر بالكفر فالتفت الجهجاه الى أبي يوسف القاضي فقال له افته لايهلك في دينه ٠٠ قال وبلغ الرشيد ان عبد الملك بن صالح دعا الي نفسه فأمر بحبسه ثم دعاه ذات يوم فقال أكفراً للنعمة واظهاراً للغدر قال كلا يأمير المؤمنين ولكنه مقالة كاشح واحتيال حاسد قال هذا قُمامةُ كاتبك يذكر صحة ذلك قال اسمعنيه يأمير المؤمنين قال اخرج يإقامة وكان من وراء الستر نخرج فقال له لقد انطويت عليه وواطئت من خالفه قال يأمير المؤمنين كيف لايكذب عليّ من خانى من بهتنى فى وجهى مع نعمق عليه واحسانى اليه قال فهذا عبد الرحمن ابنك فقال هو بين مأمور وعاقٍّ فان كان مأموراً فلا ذنب له وان كان عاقا فأقل عقوبته الشهادة بالزور على قال فما الحكم قال أولي الناس بصفحك عنه من لاشفيع له اليك الا حلمك فقال الرشيد

أُريد حَياته ويريدُ قَتلي عَذيرَك من خليلكَ من مُراد

والله لكأنى أنظرُ الى شُؤونها وقد همع والي عارضها قد لمع وكأنى بالوعيد قد أورى ناراً فأقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا مهلا بني هاشم فبي سهل الله الوعر وصفى الكَدَر وألقت الأمور أزمتها واندفع نَذارِ مِن حلول داهية تخبوط باليد لبوط بالرجل فقال عبد الملك أفذاً أتكلم أم توأماً قال بل توأماً فقال يا أمير المؤمنين اتق اللهَ فيما ولّاك وراقبه فيما استرعاك ولاتجعل الشكر بموضع الكفر ولا الثواب بمحل العقاب والله الله فى رحمك أن تقطعها بعد ان وصلتها بظن يؤثم ثم بقول باغٍ ينهس اللحم وولغ فى الدم فقد جمعتِ القلوب على محبتك وذللتِ الرجال لطاعتك وكنت كما قال أخو كلاب لبيد بن ربيعة

وَمَقامٍ ضَيقٍ فرّجتُهُ بلساني وبَياني وجدَلْ
لوْ يقومُ الفِيلُ أوفيالهُ زَلَّ عن مثلِ مَقامي وزَحَلْ .

فوثب الرشيد من مجلسه واعتنقه وجعل يقبل مابين عينيه ويسترجع ويعتذر ثم خلع عليه حُلَلَ الرضى وتنفسَ الصعداء وقال والله لقد دعوته واني لأرى موضع السيف من قفاه وها أنا ذا نادم على ما كان مني والله جل وعز يتجاوز بقدرته عن ذلك .. قال وظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله أنت الذي تفسد في الأرض بغير حق يا غلام خذه اليك واسقه كأس الموت فقال يا أمير المؤمنين فدعني أصلي ركعتين أختم بهما عملي قال ليس الي ذلك سبيل قال فدعني أنشد أبياتاً قال هات فقال

زعموا بأنّ الصقرَ صادفَ مرّةً عصفورَ برٍّ ساقه المقدورُ
فتكلمَ العصفورُ تحتَ جناحهِ والصقرُ منقضٌّ عليه يطيرُ
ما كنتُ خامِزاً لمثلكَ لقمةً ولئن شُويتُ فإنني لحقيرُ
فتهاونَ الصقرُ المدل بصَيدهِ كرَماً وأفلتَ ذلكَ العصفورُ

فقال المأمون أحسنت ما جرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله .. قال وقال عبد الله صاحب المأمون دخلت على المأمون فاذا نطعٌ مبسوط ورجل فوقه على رأسه رجل مسلول سيفه فلما نظر اليَّ المأمون قال يا عبد الله شأنك والرجل فحسرتُ عن ذراعي وقمت فوق رأسه واخترطت سيفي فسلط على المأمون النعاس فجعل يخفق برأسه ويقول أستخير الله فلما كان من المساء قال لي شأنك والرجل احفظه فطرحت حمائل سيفي في عنقه وأردفته خلفي وذهبت به الي منزلي ثم عدتُ اليوم الثاني الي المأمون ففعل كفعله أمس فلما كان اليوم الثالث قال لي المأمون خل عن الرجل واعطه عشرة آلاف درهم فأردفته خلفي ولم أجعل حمائل السيف في عنقه فقال لي مالك لم تلق حمائل السيف في عنقي قلت انه قد عُفي عنك قال فخل عني اذاً قلتُ أمرني أن أعطيك عشرة آلاف درهم قال لا حاجة لي فيها خل عني قال اذا أمرنا بامر انتهينا اليه ثم قلت له كنت تهمهمُ في قفاي اذا أنا أردفتك بشيء فما كنت تقول قال كنت أقول اللهم أنت كل يوم في شأن لا يشغلك شأن عن شأن فاجعلني من

شأنك حتى تنقل ما في قلب هـذا الرجل من الغضب الى الرضى ومن الفلظة الى اللين والرقة يا أرحم الراحمين ⁕ وعن ابراهيم بن المهدىّ انه بينا هو فى مجلس المأمون اذ تكلم بكلام أسقط فيه وكان كلامه يحتمل أمرين فقام وعلم انه قد أخطأ فقال ان رأى سيدى أن يأذن لى فى الكلام قال قُلْ قال نساؤه طوالق وماله صدقة وعبيده أحرار وكل نذر وضعه الله جل وعز بين عباده فى عنقــه دون الخلق حتى يفى به ان كان ما تكلم به الا لجهة كذا وكذا وتأويل كذا وكذا قال فتبسم المأمون وقال اجلس انى والله ماذهبتُ حيث ظننت وما كنت لأعفو عن الكل وآخذ بالجزء ولولا انى في مجلس يرقّ عن الاغضاء على أكثر الحالات ثم بلغ منى رجل ما يبلغ من عبده ماوجدعندي الّا الصفح والعفو وما أحسبنى أوجر عليه اذكان لا يؤثر فىّ وانما الأجر بقسط الألم وميزان المضض ⁕ وعن بعضهم ان والياً أتى برجل قد جنى جناية فأمر بضربة فلما مدّ قال بحق رأس أمك الا عفوت عنى فأبى فقال بحق عينيهـا قال اضرب قال بحق خديها ونحرها قال اضرب قال بحق سرّتها قال دعوه لا يتحدر الى أسفل

مساوى تعدى السلطان

قال قال جبيل بن بُصبُهرى اياك أن تصحب السلطان بالجراءة عليه والتقصــير فى المعرفة بقدره والتهاون بأمره ولتكن صحبتك له بالحذر وشدة التوقى كما تصحب الاسد الضاري والفيل المغتلم والافعى القاتلة ولا تصحب الصديق الا بالتواضــع ولين الجانب واصحب العدوّ بالحجة فيما بينك وبينه والاعذار عليه واصحب العامة بالبرّ والبشر الحسن ⁕ وقد قيل سبعٌ غشوم خيرمن والٍ ظلوم ⁕ وحدثنا اسماعيل بن أبى خالد قال أُتي الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج وعنده عمر بن عبد العزيز وخالد بن الريّان فقال له الوليد ماتقول فى أبى بكر قال صاحب نبي الله فى الغار وثانى اثنين رحمــه الله وغفر له قال فما تقول فى عمر قال هو الفاروق رحمه الله وغفر له قال فما تقول في عثمان قال كان سُنيّاتٍ من خلافته ملازما للعدل قال فما تقول في مروان بن الحكم قال لعن

الله ذاك قال فما تقول في عبد الملك قال ذلك ابن ذاك لعن الله ذاك قال فما تقول فيّ قال بئ ذيتك وأنت شر الثلاثة فقال ياعمر ماتقول فيما تسمع قال ياأمير المؤمنين ماأحد أعلم بهذا منك وأنت أعلى به عيناً فألح عليه والله لتقولن فقال أما إذ أبيت ياأمير المؤمنين الا أن أقول فسُبّ اباه كما سبّ إياك وان تعفو أقرب للتقوى قال ليس الا هذا قال لا ياأمير المؤمنين الا ان تدخلك جبريّة فأما الحق فليس الا هـذا فالتفت الى خالد بن الريّان وهو قائم على رأسه ثم قام وهو غضبان فقال خالد والله ياعمر لقد نظر اليّ أمير المؤمنين نظرة ظننت انه سيأمرني بضرب عنقك قال ولو أمرك كنت تفعل قال أي والله قال أما انه كان يكون شرّا لكما وخيراً لي ثم سكت عنه وبقي ذلك في قلبه فلما قام الوليد من مجلسه دخل على امرأته أم البنين بنت عبد العزيز وهي أخت عمر فقال أخوك الحروريّ والله لأقتلنه فمكث أياما وعمر فى منزله لايحضر الباب ولا يلتمس المعذرة فأتاه رسول الوليد وقت القائلة فدعاه فلما دخل من باب القصر عُدِل به الى بيت فأدخل فيه وطُيّن عليه الباب فرجع صاحب دابته الى أهله فأخبرهم فأخبروا أخته بذلك فبحثَتْ عن خبره فلم تجد أحداً يخبرها بخبره وذلك يوم الثالث فقيل لها ان فلاناً الخصيّ يعلم علمه فأرسلت اليه فأعلمها بموضعه فدخلت على الوليد فناشدته الله والرحم وقبلت يده فقال قدوهبته لك ان أدركته حياً قال ففتحوا عنه الباب فوجدوه قد انثنى عنقه فحملوه الى منزله وعالجوه فلما توفى الوليد وكان سليمان بعده فهلك وتولى عمر الخلافة جاء خالد بن الريّان فى اليوم الذى استخلف فيه عمر رحمه الله متقلداً سيفه فقال له عمر ياخالد انطلق بسيفك هذا فضعه فى بيتك واقعد فيه فانه لاحاجة لنا فيك أنت رجل اذا أمرت بشئ فعلته لاتنتظر لدينك فلما ولى خالد نظر عمر فى قفاه فقال اللهم يارب انى قد وضعته لك فلا ترفعه أبداً فما لبث الا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله •• قال ولما قالت التغلبية للجحّاف بن حكيم فى وقعة البشر فضّ الله عمادك وأطال سهادك وسلبك حياتك فوالله لئن قتلت الا نساء كالدمى أسافلهن دميٌ وأعاليهن ثديٌ فقال لمن حوله لولا ان يلد منها حكيم لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال انما الجحّاف جذوة من نار جهنم •• قيل ولما بنى عبيدالله بن زياد البيضاء

بالبصرة أمر أصحابه ان يسمعوا من أفواه الناس فأُتي برجل قيل انه تلا (أتبنون بكلّ ريعٍ آية تعبثون وتتخذون مصانعَ لعلكم تخلدُون) فقال ما دعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عزّ وجل حضرت قال والله لأُعملنّ فيك بالآية الثانية (واذا بطشتم بطشتم جبارين) فأمر فبني عليه ركن من أركان القصر •• قيل ان الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى حسن بن حسن فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فقال لا أفعلُ قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط والعصا فقال والله لأضربنك بهذه العصا حتى أكسرها ثم قال لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لأضربنك بهذا السيف حتى تبرُدَ أو تأتيني بهما فقال الناس يا أبا محمد لا تتعرّضنّ لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج فأرسل الحجاج الى رجل من آل أبي رافع فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلطه بين أسيافه ثم قال أخرجه فاخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها فقال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطُعن بحربة فخرقت الدرع فرفعناها فوجدنا الدرع على ما قال فقال الحجاج للحسن أما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك •• وذكروا ان الحجاج قال يوما لحاجبه أعسُس الليلة بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة نفر فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل نادى منادٍ ألاّ يخرج أحد ليلا فقال أصلح الله الامير كنت [illegible] فخرجت ولا أعقل ففكر الحجاج ساعة ثم قال سكران [illegible] وقال للآخر فأنت ما كان سببك قال أصلح الله الامير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجتُ ففكر الحجاج في نفسه ثمَ قال رجل أحب المسالمة خلوا عنه ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك قال لي والدة عجوز وأنا رجل حمّال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ماذقت اليوم طعاما فخرجت ألتمس لها ذلك فأخذني عسسُ الأمير ففكر ساعة ثم قال يا غلام إضرب عنقه فاذا رأسه بين رجليه

——✱✱✱✱✱✱——

محاسن الحلم

حُكيَ عن انوشروان ان وفوداً وردوا عليه من قبل الملوك فأتوه واستأذنوا فأمر رجلا من بطانته ان يأتيه بتاجه فأقبل الرجل بالتاج فارتعشت يده وسقط التاج من يده فانكسر وذلك بعين كسرى فغضّ طرفه لئلا يرعبه فتناول الرجل التاج وقال له كسرى لابأس عليك انطلق الى الحاجب ومُرْه ان يصرف الوفود في هذا اليوم •• وحكي عنه أيضاً انه دعا كاتبه وعرض عليه كتاباً ورد عليه من قبل اصبهبذ خراسان فيه أخبار من أخبار الترك فجعل يؤامره فيها وان رهطاً من خاصته قاموا خلف سريره فتسمّعوا عليه فعطس واحد منهم فالتفت كسرى ونظر اليهم وقال لاينبغي ان تسمعوا سر الملك وقد صفحتُ عنكم فلا تعودوا لمثل ذلك •• قال وقال رجل من قريش ماأظن معاوية أغضبه شئٌ قط فقال بعضهم ان ذكرت أمه غضب فقال مالك بن أسماء المني القرشي أنا أُغضبه ان جعلتم لي جُعلا ففعلوا فأتاه في الموسم فقال له ياأمير المؤمنين ان عينيك لتشبهان عيني أمك قال نعم كانتا عينين طال ماأعجبتا أبا سفيان ثم دعا مولاه فقال له اعدد لأسماء المنى دية ابنها فاني قد قتلته وهو لايدرى فرجع وأخذ له ان أتيت عمرو بن الزبير فقلت له مثل ماقلت لمعاوية أعطيناك كذاوكذا ... به حتى مات فبلغ معاوية فقال أنا والله قتلته وبعث الى أمه ب...

ألاَ قُلْ لأسماء المنى أم مالكٍ فاني لَعمرُ الله أهلكتُ مالكا

•• قيل وجاء رجل الى الأحنف بن قيس فلطم وجهه فقال بسم الله يابن أخي مادعاك الي هذا قال آليتُ ان ألطم سيد العرب من بني تميم قال فبرّ يمينك فما أنا بسيدها سيدها حارثة بن قُدامة فذهب الرجل فلطم حارثة فقام اليه حارثة بالسيف فقطع يمينه فبلغ ذلك الأحنف فقال أنا والله قطعتها •• وعن اسحاق بن اسماعيل قال حدثني أبي انه كان يتغدّى مع يحيي بن خالد البرمكي يوماً إذ طلب ارزّةً اشتهاها فأمر الطباخ باتخاذها بدُهن النارجيل فغلط الطباخ وجعل مكان الدهن نفطاً وأتاه بها فلما وضع

يده فيها قال ارفع ولم يقل شيئاً سوى ذلك ٠٠ وحكي جعفر ابن أخت أبي العباس قال دخلت على المأمون ويداه معلقتان من شيء رطب أكله قد مسته النار وهو يصيح ياغلام وكلهم يسمع صوته فما منهم أحد يجيبه فخرجت اليهم وأنا أفور غضباً فاذا بعضهم يلعب بالشطرنج وبعضهم بالكعاب وبعضهم يهارش الديوك فقلت يابني الفواعل أماتسمعون أمير المؤمنين يدعوكم فقال واحد حتى أقيس هذا الكعب وقال الآخر قد بقيت على ضربة وقال آخر امض فاني أتبعك فما علمت ماأخاطبهم به من الحنق عليهم فاذا المأمون قد صوّت بي وأنا أقذف أمهاتهم فأتيته وهو يضحك فقال ارفق بهم فانهم بشر مثلك فقلت تقول هذا وأنت معلق اليد فقال وهذه معاشرتك خدمك فقلت والله لو فعل بي هذا ولدى من دون خدمى لقتلته قال هذه أخلاق السوقة وأخلاقنا أخلاق الملوك فقلت لا والله ماهذه أخلاق الملوك ولا أخلاق الانبياء عليهم السلام ٠٠ وقال ثمامة بن أشرس والله اني لفي مجلس المأمون وعنده عمرو بن مسعدة وأبو عباد والعباسي ومحمد ابن أبي محمد اليزيدى اذا دخل عليّ بن صالح فقال محمد بن الفضل بن سليمان الطوسي بالباب قال يدخل فدخل وسلم وفي يده كتاب فأشار به الى المأمون فقال المأمون اذكر مافيه فقال ياأمير المؤمنين جعلني الله فداك سرٌّ من أسرار الخليفة لايحتمل اذاعته قال وان كان ذلك فاذكره قال ياأمير المؤمنين لستُ فاعلا قال ياهذا مابحضرتنا من نكتمه أسرارنا فأبد ماعندك فأعاد محمد بن الفضل مثل قوله الاول والثاني فقال المأمون اني لأعلم مافي كتابك قال هذه كهانةٌ قال فنزل المأمون عن فرشه ورفع ستراً كان في ظهر مجلسه ودخل وأشار الينا وقال لاتبرحوا فجاء عليّ بن صالح فأخذ بيد الطوسي وقال قمْ فأنت أشأم من البسوس فأقعده خلف حائط بقرب المجلس لكي ان خرج لايراه وان دعاه أحضره قال فجعل كل واحد منا يرجم بجنس من المكروه وكلنا خائفون عليه فواحد يقول يأخذ الساعة أمواله وينفيه وآخر يقول يضرب عنقه قال فأبطأ علينا المأمون ثم خرج ووجهه مسفر ضاحكة سنه فقال سمعتم ماكلمني به هذا الخائن انه والله لما بلغ مني كلامه لم أجد بدّاً ولا دواء الاملاعبة الجوارى والنساء ليزول عني ماقد تداخلني وقد أسمعني ماأكره بضع عشرة مرة واحتملته

مساوى من سخط عليه وحبس

فى الحديث المرفوع قال شكا يوسف عليه السلام الى ربه جلّ وعزّ طول الحبس فأوحي الله تبارك وتعالى اليه أنت حبست نفسك حيث قلت (ربّ السجنُ أحب اليَّ مما يدعوننى اليه) ولو قلت العافية أحب اليَّ عوفيت ٠٠ قال وكتب يوسف على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ودعا لاهل الحبس بدعوتين هما معروفتان فيهم الى اليوم اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولاتعم عليهم الاخبار فكل الناس يرحمونهم والاخبار من كل جهة عندهم ٠٠ قال ولما خرج جعفر الاحمرى من الحبس وأدخل على المهدى فى الحديد قال له يافاسق أزلك الشيطان وأغواك وفى غمرة الجهل أرداك وعن الهدى بعد البصيرة أعماك حتي تركت الطريقة ودخلت فيا لاأصل له ولا حقيقة كيف رأيت الله كشف أمرك وأعلن فسقك وأظهر ما كنت تخفى من سقم سريرتك وخبث نيتك فأوردك حوض منيتك وذلك بما قدمت يداك وما الله بظلاّم للعبيد قال جعفر لا والذى لم يزل بعباده خبيراً وبعث محمداً عليه وعلى آله السلام بالحق بشيراً وطهر أهله من دنس الريب تطهيراً ووقفنى بين يديك أسيراً وجعلك علينا سلطاناً أميراً ماخنت الاسلام نقيراً ولا أضللت الهدى منذ كنت بصيراً فلا تقدم عليّ بالشبهة تقديراً يسعي ساعٍ سوف يُجزى بسعيه سعيراً فقال المهدى مايغنى عنك وسواسك فاتهذى من أمّ رأسك قد تناهت اليّ أخبارك وأدّاها من كان يقفو آثارك ويعرف أسرارك ومن بايعك من أعوانك الذين وازروك على ضلالك فأقلل لاأم لك تسجيعك فقد حل قضاؤك وحان حصادك فقال جعفر ان تقتلنى تقتل منى علماً فلا تجعل لى على ظهرك وزراً فأصير لك يوم القيامة خصماً وأنت تعلم انك لاتجيء بقتلى عدلا ولا تنال به فضلا فاتق الذي خلقك وأمرَ عباده ملكك وبالعدل فيهم أمرك ولا تحكم عليّ بحكم عن الهدي مائل فانك للدنيا مفارق وعنها راحل وكل ماأنت فيه فمضمحل زائل قال له المهدى تطالبنى وأنت المطلوب وبباطلك تغلب حقى وأنت المغلوب الآن ظهر فسادُك وبلغ غرسك ودبت عقاربك اللهم الا أن تقر بذنبك

وتعترف بجرمك وتتوب الى ربك وتحقن بالانابة دمك فان فعلت ذلك أمهلنا أمرك وأطلنا حبساك والا فاحتسب نفسك ولا تلم الا جهلك قال جعفر مالى ذنب فأستغفر ولا جرم فأعترف ولا لى بك قوة فأنتصر وأنت على ظلمى مقتدر فان كنت تعلم ان مابعد الموت مصدر ولا للعباد بعد البلى محشر ولا للظالم موعد يخاف منه ويحذر فاعمل من هذا ماشئت واستكثر قال المهدى لا والذى بمكة بيته الحرام وحوله الشعث العاكفون قيام ماأخشى فى اقامة الاحكام عليك وعلى أشباهك اثماً ولا وزراً فاستسلم للقتل ودع الكلام فانه اذا عقر الأساس تداعى النظام واذا انكسرت القوس تعطلت السهام وأنت فطالما أعنت على اطفاء النور بروع الظلام قال جعفر اعف فانك كريم جواد سامح ولا تقبل فيّ قول العدوّ الكاشح فانى من الاسلام على الطريق الواضح رفيق على أهله ولهم ناصح أبر العالمين بفهم راجح فلا تقدم عليّ بقول كاب نابح فقتلك اياى عمل غير صالح قال المهدى مذهبك واعتقادك تزعم ان الآخرة بعد فراق الساهرة وان الناس كانوا أعلاما زاهرة وأشجاراً ناضرة وزروعا خاضرة نابت يسيراً ثم تعود هشيما وان من مات لايعود كما ان ضوء المصباح اذا طفئ لايرجع قال جعفر لا والذى يخلق ويبيدُ وهو أقرب الينا من حبل الوريد ماقلت ذلك وهو له شهيد وانى أخلص له التوحيد والتفريد والمشيّة والتحديد وأشهد انه الغفور الودود يعلم منقلب العبيد قال المهدى ان كنت تحب خلاص نفسك ورقبتك فأحضرنى كتاب زندقتك الذى بالجهل ألّفته وبالباطل زينته وبالضلال زخرفته سميته اسّ الحكمة وبستان الفلسفة زعمته مستخرجا من ديوان الالهام منظماً بحسن الكلام عنّفت فيه الاسلام وضللت فيه الانام فقال جعفر لا والذى خلق الظلمات والنور ودبر الأمور وهو قادر على أن يبعث من فى القبور ماهذا الا أفك مجترح وزور وان دينى لظاهر منير تقديمى ذرية من هو مع الله جلّ وعزّ فى كل فرض لازم امام النبيين فى البيت المعمور فاتق الذى خلقك وأمر عباده قبلك يعلم خفيات الامور قال المهدى وأصفح لك عن هذا فاحجتك فى كتابك الذى أضلّ أهل الشقاق والنفاق ومن منهم فى الاندية والاسواق يقرؤنه ويتدارسونه فى الآفاق أما بعد أعلمكم ان الله جلّ وعزّ عدل لايوالى الظالمين ولا

يرضى أفعال الجاهلين وانه ليس لله بولى من رضى بأحكام الجائرين فسيحوا فى الارض حيث لاتنالكم أيدي المعتدين فان بني العباس طُغاةٌ كفرة أولياؤهم فسقة وأعوانهم ظلمة دولتهم شرّ الدول عجّل الله بوارهم وهدم منارهم والعاقبة للمتقين قال جعفر هذا والله بهتان عظيم جداً قذفنى به قاذف عمداً وأنت تعلم انى ماخالفت لكم أمراً ولا عبت منكم أحداً فاقبل المعذرة وأقل العثرة وتغمد الهفوة واغتفر الذلة فانك راع مسؤل قال المهدى أو لم أبلغ انك في الغوغاء تحثهم على شق العصا ومخالفة الأمر وتحيدهم عن طاعة الخلفاء فأي داهية أدهي منك قال جعفر ما بُلّغتَ حقاً ولقد طوى النصيحة من أودع قلبك بهتانا وأفكا فلا تقبل فيّ قول من ظلم واعتدى وبفساد اليك سعي فان الله جلّ وعزّ سائله يوم يودّ الظالم أن لم يكن أميراً ولا كان المضل له وزيراً قال المهدى انك لجاهل ان تقيم اعوجاجك بكثرة احتجاجك هيهات لا يكدر صفوتي مزاجك وقد قيل من ظفر بحية لايأمن لسعها ثم لم يشدخ رأسها كانت سبب حتفه ولعمرى ان من يكون له عدو مثلك يرقب غِرّته وينتظر فورته ولا يطلق يده بقتله لعاجز قال جعفر وما بلغ الله بقدر النملة ونكاية النحلة وانما يكتفى مثلى من مثلك بلحظة فالكرماء رحماء بررة والقسوة فى اللئام الشررة قال المهدى من تنته أيامه لاحت فى الظلام أعلامه وأسرع به ان يذوق حمامه ياغلام سيفاً قاطعاً وضاربا حاذقا قال جعفر ان كنت تؤمن بالمعاد وتتقى من الحشر يوم التناد يوم يجمع الله فيه العباد تعلم ان طالب ثأرى لك بالمرصاد ومن لم يكن له فى الموت خير فلا خير له فى الحياة ان قدمتنى أمامك فأنا قاعد لك على الجادة التى ليس عنها مرحل الحاكم يومئذ غيرك قال فسكت المهدى طويلا ثم التفت الي أصحابه فقال كيف أقدم على قتل رجل لايخاف مكيدتى ولا يرعبه سلطاني ولا يتقى سطوتى وأعواني يناصبنى كلامي ويفسخ احتجاجي كيف ولو كنا بين يدى من لايُخاف جوره ولا يُتقى ميله وحيفه كان لسانه أمضى وقلبه أجرى وخصمه أذل واقاً خلوّا سبيله فمضي .. وحكي عن عدى بن زيد انه كان ترجمانا بين كسرى وبين العرب وانه أشار على كسرى بتولية النعمان بن المنذر الملك وكان له عبد يعرف بعدى بن قيس فوشى الى النعمان بعدى بن زيد وذكر انه

كان السبب في تمليكه فسجنه النعمان وسخط عليه وتغير له وحبسه فكتب عدى بن زيد الى النعمان يستعطفه

أبا مُنذرٍ جازيتني الوُدَّ سُخطةً ... فما ذا جزاء المجرمِ المتبغّضِ

وان جزاء الحرّ منكَ كرامةٌ ... وليسَ بنصحٍ فيكَ بالمتعرّضِ

فلم يحفل النعمان بقوله فقال يذكر حبسه

إنّ للدّهرِ صولةً فاحذرَنها ... لاتبيتنّ قد أمنتَ الدهورَا

قد يبيتُ الفتى صحيحاً فيرْدَى ... ولقد باتَ آمناً مسرورَا

إنما الدهرُ لينٌ ونَطوحٌ ... يترُكُ العظمَ واهناً مكسورَا

فَسَلِ الناسَ أينَ آلُ قُبيسٍ ... طحطحَ الدهرُ قبلهم سابورَا

خطفتْهُ منيّةٌ فتردّى ... وهوَ في ذاكَ يأملُ التعميرَا

ولقد عاشَ ذا جنودٍ وتاجٍ ... ترْهَبُ الأُسدُ صولَهُ والزئيرَا

وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـ ... ـرومِ لم يُبقِ منهمُ مذكورَا

ثم ان عديّا كتب الى صاحب له مقيم بباب كسرى يقال له أُبيٌّ

فأبلغْ أُبيّاً على نأيِهِ ... وهل ينفعُ المرءَ ماقد علِمْ

بأنّ أخاكَ شقيقَ الفؤا ... دِ كادُ لنأيكَ أنْ يُخترَمْ

لدَى مَلكٍ موثَقٌ بالحدي ... دِ إما بحقٍّ وإما ظُلمْ

فلا تُلفَينّ كثيرَ الرقا ... دِ بل اصرمِ الرأيَ ثمّ اعتزِمْ

فلما قرأ هذه الابيات دخل على كسرى فأخبره بما كان من النعمان الى عدى فغضب كسرى وبعث برجل من مرازبته الى النعمان ان يطلق عدياً ويبعث به اليه فأقبل الرسول حتى دخل الى النعمان وأدّى اليه رسالة كسرى فقال نعم أنا أُطلقه ودسّ الى عدى من قتله ثم قال للرسول ادخل السجن حتى تخرجه فلما دخل اليه وجده ميتاً فرجع الى النعمان وقال له عجلت عليه وقتلته وأنا مخبر كسرى بذلك فوصله بألف دينار وسأله تحسين أمره عند كسرى فانصرف الرسول فأخبر كسرى بموته وكان لعدي ابنٌ يقال له زيد فخاف النعمانَ على نفسه فهرب من الحيرة حتى أتى المدائن

فدخل على كسرى وتعرّف له فقرّبه وبرّه فقال لكسرى ذات يوم أيها الملك ان لعبدك النعمان ابنة يقال لها حُرَقة وأخت تسمى سُعْدَي وابنة عمّ تسمى لباب وليس في جميع الاقاليم أحسن منهن فكتب كسرى الى النعمان ان احمل اليّ ابنتك حُرَقة وأختك سُعدى وابنة عمك لباب على يدى خادم له فقال زيد أيها الملك ابعث بي مع الخصيّ فقال اخرج على اسم الله وعجّل عليّ بالسوة فخرجا حتى قدما الحيرة فدخلا على النعمان ودفعا الكتاب اليه فلما قرأه قال أما في عِين السواد وفارس مايغنى الملك عن العربيّات السود الأبدان الحمش السيقان فقال الخادم لزيد مايقول النعمان قال يقول مافى بقر فرس والسواد مايغنى الملك عن العربيات فخرج الخادم حتى أتى كسرى فأخبره بما سمعه من النعمان وقال أيها الملك ان الكلب الذى بعثت بى اليه قد سمن وتعدّى سوره فوقع ذلك في قلب كسرى وغضب على النعمان ودعا إياس بن قبيصة الكناني فولاّه مكان النعمان وأمره أن يكبل النعمان بالحديد ويبعث به اليه فبلغ ذلك النعمان فاستودع أهله وولده وخزائنه وسلاحه وابنته حرقة وخيله عند هانئ بن المزدلف ثم خرج حتى أتى المدائن فلقى زيد بن عدى فقال له يابن اللخناء لئن بقيت لك لألحقنك بأبيك فقال له زيد أما والله بنيتُ لك عند الملك بنية لاتصلح بعدها أبداً ثم دخل على كسرى ودخل زيد بعده فقال زيد أيها الملك ان هذا العبد اذا جلس على سريره ووضع التاج على رأسه ودعا بشرابه لم يظن ان لك عليه سلطاناً فأمر كسرى بالنعمان أن يُلقى بين أرجل الفيلة ففعل به ذلك فداسته الفيلة وقتلته وهيج ذلك حرب ذى قار ٠٠ وحدّث الهيثم بن الخليل الشيبى وكان موكلا بحبس البرامكة من قبل هرثمة ابن أعين قال أتى مسرور الخادم الحبس يوما ومعه خدم فى يد بعضهم منديل ملفوف على شئ فأمرنى باخراج الفضل بن يحيى فأخرجته فقال ان أمير المؤمنين يقول لك اصدقنى والا فقد أمرت مسروراً ان يضربك مائتى سوط فنكس رأسه ساعة فقال له مسرور ياأباالعباس الرأى لك أن لاتؤثر مالك على مهجتك فانى لا آمن ان نفّذت ماأمرني به أن آتى عليك ومع هذا فان صرت الى رضى أمير المؤمنين فان المال يأتيك كما أتاك وان يك غير ذلك فما حاجتك الى المال فرفع رأسه وقال والله ياأبا هاشم ماكذبت أمير

المؤمنين ولا كذبتك لو كانت الدنيا لي ثم خيّرت بين الخروج منها وبين ان أقرع بقرعة بسببها لاخترتُ الخروج منها وأمير المؤمنين يعلم وأنت تعلم اني كنت أصون عرضي بمالي فكيف لا أصون الآن نفسي بمالي فان كنت أمرت بشيء فامض له فأمرنا بالمنديل فنفض وسقط منه سياط بثمارها فضربه مائتي سوط وتولى ضربه الخدم فضربوه أشد ضرب ولم يحسنوا ان يضربوه فضربته الحرّة وخيف عليه فقيل له ههنا فتى كان في الحبس هو بصيرٌ بهذا فأتيته فسألته فقال لعلك تعالج الفضل بن يحيي فقد بلغنا خبره قلت نعم قال فامض بي اليه قلت وتجسر على ذلك قال نعم والله لو قُطّعتُ لجئت به فلما رآه قال ليس بشيء ضرب خمسين سوطاً قلنا بل ضرب مائتين قال هذا أثر خمسين وأحتاج أن أنيمه على باريّة وأدوس صدره فجزع الفضل من ذلك وأبي ان يفعل فخوّفناه تلف نفسه وناشدناه حتى فعل فأخذ بيده بعض من حضر وأخذت بيده الأخرى ثم جررناه على البارّية فاذا عليها صورته من لحم ظهره فقال لابدّ لي من أن أعيده فأعاده ثم اختلف اليه فبينا هو ينظر اليه يوما اذ خرّ ساجداً فقلت مالك قال بريء أبو العباس باذن الله فدنوت منه فأراني في ظهره لحماً نابتاً كهيئة الدعاميص الحمر ثم قال أتحفظ قولي انه أثر خمسين سوطاً لو ضرب الف سوط ماكان أثرها بأشد من ذلك ولكني قلت ماقلت لتقوى نفسه فيعينني على علاجه وخرج وسألني الفضل ان ألقى بعض اخوانه وأعلمه انه يحتاج الى عشرة آلاف درهم فأتيت بعض اخوانه وأعلمته انه يحتاج الي عشرة آلاف درهم فسألني ان أحملها اليه وأمرني بدفعها الى الرجل الذي عالجه فلما مضيت بها اليه وجدته غائباً عن منزله ورأيت بابه مُغلقاً فملتُ الى مسجد هناك منتظراً له حتى عاد فقمت اليه ودخلتُ منزله فاذا بيت فيه حصيران ومسورتان وطنبور وثلاث دساتيج وقناني وأقداح فقال ماحاجتك فأقبلت أعتذر اليه واذكر حاله ثم أعلمته ماوجهني له فنخر نخرة حتى أفزعني ثم قال عشرة آلاف فجهدت الجهد كله به ان يقبلها فأبى فعدت الى الفضل فأعلمته فقال انه استقلها والله قلت لاأظن قال بلى والا فما معنى قوله عشرة آلاف درهم ولكن تعود الى صاحبنا وتسأله عشرة آلاف أخرى وتحملها اليه فحملتها الى الرجل فنخر نخرة أشد من نخرته الاولى ثم قال أنا

أعالج فتيً من الابناء بكراء أنا طبيب والله والله لو كانت عشرة آلاف دينـار ماقبلتها
فخرجت من عنده وسألت عن معيشته فقيل له برجٌ يصعد اليه في كل يوم فيبيع فراخه
وصيده ويعتكف على ماتراه فرجعت الى الفضل وأخبرته فتعجب ثم قال أخـبرني
بأعجب مارأيته منا وأحسنه فاندفعت أحدثه فلما رأى إطنابي قال بالله أينا أحسن أفعالا
نحن أم هذا الفتى فاذا هو يستقبح أفعالهم مع فعله ويستصغرها .. قال ودخـل ابن
الزيات على الأفشين وهو محبوس مكبّل بالحديد فقال

اصبرْ لهاصبرَ أقوامٍ نفوسهمُ   لاتستريحُ الى عقل ولا قَوَدِ

فقال الأفشين من صحب الزمان رأي الكرامة والهوان ثم قال

لم ينجُ منْ خيرِهاأو شرّهاأحدٌ   فاذكرْشآبيبهاانْ كنتَ من أحدِ
خاضتْ بكِ المنيةُ الحمقاء غمـرتَها   فتلكَ أمواجها ترْميـكَ بالزبدِ

الشعر الاول والثاني لأبي سعد المخزومى .. قال حمدون بن اسماعيل بعث الأفشين الي
المعتصم من الحبس أن ياأمير المؤمنين مثلى ومثلك مثل رجل ربي عجلا له حتى أسمنه
وكبر وحسنت له وكان له أصحاب اشتهوا ان يأكلوا من لحمه فعرضوا له بذبح العجل فلم
يجبهم الى ذلك فاتفقوا جميعاً على ان قالوا له ذات يوم ويحك ألم ترَ هذا الأسد وقد كبر
والسبع اذا كبر رجع الى جنسه فقال لهم هذا عجل فقالوا هـذا سبع سلْ من شئت
عنه وقد تقدّموا الي جميع من يعرفه انه ان سألهم عنـه قالوا هو سبع فأمر بالعجل
فذبح ولكنى أنا ذلك العجل كيف أقدر أن أكون أسداً الله الله فى أمرى فقد وجب
حقى وأنت سيدى ومولاى فلم يلتفت المعتصم الى رسالته وغلظ عليه الأمر حتى قيل
انه قد مات فقال المعتصم أرُوهُ ابنهُ فأخرجوه مكبّلا بالحديد فطرحوه بين يديه فلما
رآه نتف لحيتـه ودعا بالويل والثبور ثم ردوه الى مـنزل ايتاخ وكان يطعم فى كل يوم
رغيفاً حـتى مات فأخرجوه وصلبوه على باب العامـة ثم أحرق ورُمي به فى دجـلة
.. قيل وكان العُجيف بن عنبسة ممن خرج مع العباس بن المأمون على المعتصم وسعي
فى الخلاف عليه قال فحدثنا أبو طالب قال كنت مع محمد بن الفضل الجرجرائي فالتفت
الي رجل عنده فقال حدّث أبا طالب بما حدثتني به فأقبل عليّ الرجل يحدثنى فسألت

عنه فقيــل هو عمر بن عمرو القرقارة الكاتب قال كنت أتقلد ضياع عجيف بناحيــة كسكر فرفع عليّ اني خربت ضياعه فكتب فى حملى فأدخلت عليه وهو فى داره التي بسرّ من رأى وهو يطوف على الضياع وعلى رأســه برطُلّة خوص فلما نظر اليّ قال أخربت ضيـاعى وأخذت أموالي والله لاقتلنك ودعا بالسياط فبلت فرقاً منـه فكانى أنظر الي البول يأخذ في سراويلى يميناً وشمالا وأومأت الى الكاتب فالتفت الكاتب الى عجيف فقال أيها الأمير أنت مشغول القلب بما تحتاج ان تأمر به وتشرف عليه وهــذا فى أيدينا فان كان مارُفع عليه حقاً فالأمير من وراء ذلك وان كان باطلا لم تأثم فيه فقال الحبس فلبثت فى الحبس أياماً فوجّه اليّ كاتب عُجيف فأتيته فقال لي طاب لك المكان مامعك فبررته بشئ فاطلقنى فقلت لغلامي قد نالنا من الحبس والغرم مانالنا وصديقى فلان بن فلان صاحب الديوان احتاج ان آتاه لعــلّ الله عزّ وجلّ ان يســهل عملا فشخص فيه فأتيت صديقى ذلك فقال لى أنت فى الحياة ههنا عملٌ فى ديار ربيعة أقلدكه فتقلدته وخرجت أنا وغلامي فما زلت أسير حتى أتيت باعيناثا فغمزنى البول فى السحر وهي مقمرة فنزلت عن دابتي وجلست وأنا أبول فقلت لغلامي ويحــك لكأنى أبول فى ثيابى فاطلب لى ماء فقال الناس نيام فلم أزل واقفاً حــتى خرج بعض أوائل الانباط فطلب الغلام منه ماء فجاء به فجعل هو والغلام يصبّان عليّ الماء وأنا أغسل ثيابى فقال لى النبطى وأين بلت قلت ههنا قال هذا نطع عجيف قلت عجيف قال لم قلت مايعمــل عجيف ههنا قال أو مابلغك ان أمير المومنين بعث اليه بشربة فأقامته ثلاثمائة مجلس فمات فلُفّ فى نطع وها هو ذا فصبرت حتى أصبحت فنظرت الى النطع فقلت لااله الا الله بينا أنا بالأمس بين يديه أبول من فرَقه حــتى جئت فبُلت عليه •• قيــل وسخط المعتصم على الفضــل بن مروان فأمر بحبســه وتقييــده واستئدائه الف الف دينار وستمائة الف دينار ورفعت فيه القصص فأقبل أحمــد بن عمّار يقرؤها فوقعت فى يده قصة فى نصف طومار فاذا فيها شعر فتوقف عن قراءتها فقال ماتوقّفك قال انه شعر قال هاته فاذا فيها

لاتعجبنّ فما بالدهر من عجبٍ ولا من الله من حصنٍ ولا هرَبِ

يافضلُ لاتجزَعنْ مما ابتليتَ به ... من خاصم الدهرَ أجثاه على الركبِ
كم من كريمٍ لَشافي بيتِ مكرُمةٍ ... أتاكَ مختنقاً بالهمّ والكُرَبِ
أوليتهُ منكَ إذلالاً ومنقصةً ... فخابَ منكَ ومِنْ ذي العرش لم يخب
وكم وثبتَ على قومٍ ذوى شرف ... فتاممتَ عن زورٍ وعن كذبِ
خُنتَ الامامَ وهذا الخلق قاطبةً ... وجُزتَ حتى أتي المقدورُ في الكتُبِ
جُمعتَ شتى وقد أدّيتها جُملاً ... لأنتَ أخسرُ من حمّالة الحطبِ

فقال المعتصم ليُدْعَ صاحب القصة فدُعي فلم يجبْ فقال والله لو جاءني لدفعت اليه الفضل لينفذ فيه أمرهُ •• وقال بعضهم رأيت على حائط دار الفضل بن مروان مكتوبا

تفرْعنتَ يافضلَ بن مرْوانَ فاعتبر ... فقبلك كان الفضل والفضل والفضلُ
ثلاثةُ أملاكٍ مضـوْا لسبيلهمْ ... أبادَهمُ التنكيلُ والحبسُ والقتلُ
وانكَ قدْ أصبحتَ في الناسِ لعنةً ... ستُودي كما أوْدى الثلاثةُ من قبلُ

•• قيل وكان الواثق غضب على جعفر المتوكل أخيـه لبعض أموره فأراد أن يقوّمه فوكل به عمر بن فرج فأتي جعفر الى محمد بن عبد الملك الزيات مستغيثاً به ليكلم أخاه فدخل عليه فمكث ملياً واقفاً بين يديه لايكلمه ثم أشار اليه ان يقعد فقعد فلما فرغ من نظره في الكتب التفت اليه شبيهاً بالمتهدّد له فقال ماجاء بك قال جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضي عني فقال لمن حوله انظروا الى هذا يغضب أخاه ثم يسألني أن أسترضيه اذهب فانك اذا صلحت رَضيَ عنك فقام جعفر كئيباً حزيناً لما لقيه به من قبح اللقاء فخرج من عنده وكتب محمد بن عبد الملك الى الواثق حين خرج جعفر من عنـده ياأمير المؤمنين أتاني جعفر بن المعتصم يسأل ان أسأل أمير المؤمنين الرضى عنه في زيّ المخنثين له شعر فكتب اليه الواثق ابعث اليه فاحضرهُ ومُرْ من يجزُّ شعرَهُ ويضرب به وجهه فحدّث عن المتوكل قال لما أتاني رسوله لبستُ سواداً لي جديداً وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضى عني فلما دخلت عليه قال ياغلام عليّ بحجّام فدعي فقال خذ شعر هذا فأخذه على السواد الجديد ولم يأتني بمنديل فأخذ عليه شعري وضرب به وجهي فما دخلني شيءٌ من الجزَع مثـل مادخلني في ذلك اليوم قال فلما ولي جعـفر

الخلافة بعث الى محمد بن عبد الملك فدعاه فركب حتى أتى دار ايتاخ فأخذ سيفه وقلنسوته ودراعته فدفع الى غلمانه وانصرفوا وهم لايشكون انه مقيم عند إيتاخ ثم سوهر ومنع النوم وسئل عن شيء يعذب به فدل على تنور من خشب فيه مسامير قيام فحدثت عن أحمد بن أبي دؤاد انه قال هو أول من أمر بعمل التنور فابتلى به لصحة المثل كما تدين تدان وان شئت من برٍ يوما بر به وان شئت من حفر حفرة هوى فيها فعذب في التنور فحدث الموكل بعذابه فقال كنت أخرج وأقفل عليه الباب فيمد يديه الى السماء جميعاً حتى يدق موضع كتفيه ثم يدخل التنور ويجلس وفي التنور مسامير حديد وفي وسطه خشبة معترضة يجلس المعذب عليها اذا أراد أن يستريح ٠٠ قال المعذب له تخاتلته يوما وأريته اني قد أقفلت عليه ثم مكثت قايلا ودفعت الباب فاذا هو قاعد فقلت أراك تفعل هذا فكنت اذا خرجت شددت خناقه فما مكث بعد ذلك الا أياما حتى مات فوجد على حائط البيت الذي كان فيه من قبل التنور

لعب البلى بمعالمي ورسومي ودفنت حياً تحت ردم غموم
وشكوت غمي حين ضقت ومن شكا كرباً يضيق به فغير ملوم
لزم البلى جسمي وأوهن قوتي ان البلى لموكل بلزومي
أبنيتي قلي بكاءك واصبري فاذا سمعت بهالك مغموم
فانعي أباك الى نسائك واقعدي في مأتم يبكي العيون وقومي
قولي له ياغائباً لايرتجى حتى القيامة مخبراً بقدوم
ياعين كنت وما أكلفك البكا حتى ابتليت فان صبرت فدومي

وقال في التنور الذي عذب فيه

هيض عظمي الغداة اذ صرت فيه ان عظمي قد كان غير مهيض
ولقد كنت أنطق الشعر دهراً ثم حال الجريض دون القريض

وله أيضاً وهو يعذب في التنور وقيل انه آخر ماقاله

تمكنت من نفسي فأزمعت قتلها وأنت رخي البال والنفس تذهب

كمصفورة فى كف طفل يسومها ورود حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل يدرى مايسوم بكفه وفى كفه عصفورة تتضرب

قال وكان اسماعيل بن القاسم فى حبس الرشيد فكتب اليه بسوء حاله فكتب في رقعته ليس عليك بأس فكتب اليه

أرقت وطار عن عيني النعاس ونام السامرون ولم يؤاسوا
أمين الله أمنك خير أمن عليك من التقي فيه لباس
تساس من السماء بكل بر وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه راس
أمين الله ان الحبس بأس وقد أرسلت ليس عليك باس

فأمر باطلاقه وصلته •• قيل انه لما غضب المتوكل على سليمان والحسن ابني وهب قال الحسن

أقول والليل ممدود سرادقه وقد مضى الثلث منه أو قد انتصفا
يارب ألهم أمير المؤمنين رضى عن خادمين له قد شارفا التلفا
لئن يكونا أساءا في الذي سلفا فلن يسيئا باذن الله مؤتنفا

فرضى عنهما وأمر باطلاقهما •• قال الكسروي وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحتبسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طول له فى الحبل كان فيه عطبه ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه •• ووقع بعضهم لمحبوس سأل الاطلاق أنت الى الاستيثاق أحوج منك الى الاطلاق وأنشد فى هذا المعنى

ألا أحد يدعو لأهل محلة مقيمين فى الدنيا وقد فقدوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

•• وقال أعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفي الباب مكتوب على صفحاته بأنك تنزو ساعة وتلين

•• ولابن المعتز

تعلمتُ في السجن نسجَ التكك وكنتُ امرا قبلَ حبسي مَلكْ
وقُيِّدتُ بعدَ ركوب الجيادِ وما ذاكَ الاَّ بدورِ الفلكْ
ألم تبصر الطيرَ في جوِّه يكادُ يُلامسُ ذاتَ الحُبُكْ
اذا أبصَرَتْهُ خطوبُ الزما ن أوقعنَهُ في حبالِ الشرَكْ
فهاذاكَ منْ حالقٍ قدْ يصادُ ومنْ قعرِ بحرٍ يُصادُ السمكْ

•• ووجدنا فى أرض البيت الذى قتل فيه بخطه

يانفسُ صبراً لعلَّ الخيرَ عقباكِ خانَتْكِ من بعدِ طول لأمن دنياكِ
مرَّتْ بنا سحراً طيرٌ فقلتُ لها طُوباكِ ياليتني إيّاكِ طوباكِ

•• قال وكتب يحيى بن خالد البرمكي الى الرشيد من الحبس لأمير المؤمنين وخلف المهديين وخليفة رب العالمين من عبدٍ أسلمته عيوبه وأوبقته ذنوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وزال به الزمان ونزل به الحدثان وحلَّ به الضيق بعد السعة والشقا بعد السعادة وعالج البؤس بعد الدعة ولبس البلاء بعد الرخاء وافترش السخط بعد الرضى واكتحل السهود وفقد الهجود ساعته شهر وليلته دهر قد عاين الموت وشارف الفوت جزعا ياأمير المؤمنين قدَّمني الله قبلك من موجِدتك وأسفاً على ماحُرمته من قربك لاعلى شيءٌ من المواهب لأن الأهل والمال انما كانا لك وعارية في يدي منك والعارية لابدّ مردودة فأما مااقتصصته من ولدى فبذنبه وعاقبته بجرمه وجريرته على نفسه فانما كان عبداً من عبيدك لاأخاف عليك الخطأ فى أمره ولا ان تكون تجاوزت به فوق ماكان أهله ولا كان مع ذلك بقاؤه أحبَّ اليَّ من موافقتك فتذكر ياأمير المؤمنين جعلني الله فداك وحجب عنى فقدَكَ كِبَرَ سني وضعف قوّتي وارحم شيبتي وهبْ لي رضاك عني ولْتَملْ اليَّ بغفران ذنبي فمنْ مثلي ياأمير المؤمنين الزلل ومن مثلك الاقالة ولست أعتذر اليك الا بما تحبّ الاقرار به حتى ترضى فاذا رضيت رجوتُ ان يظهر لك من أمرى وبراءة ساحتي مالا يتعاظمك معه مامننت به من رأفتك بي وعفوك عني ورحمتك لي زاد الله في عمرك ياأمير المؤمنين وقدّمني للموت قبلك وكتب فى أسفله

قُلْ للخليفةِ ذِي الصَّنا ئعِ والعطايا الفاشيَهْ
وابنِ الخلائفِ مِنْ قُرَيْـ ـشٍ والملوكِ الهاديَهْ
مَلِكِ الملوكِ وخيرِ مَنْ ساسَ الأمورَ الماضيَهْ
إنَّ البرامكةَ الذيـ ـنَ رُمُوا لديكَ بداهيَهْ
عمّتهمُ لكَ سُخطَةٌ لَمْ تُبقِ منهمْ باقيَهْ
فكأنّهمْ مما بِهمْ أعجازُ نخلٍ خاويَهْ
صُفْرُ الوجوهِ عليهمُ خِلَعُ المذلّةِ باديَهْ
مُتفرّقينَ مُشتّتيـ ـنَ بكلِّ أرضٍ قاصيَهْ
بَعْدَ الإمارةِ والوزا رةِ والأمورِ الساميَهْ
ومنازلٍ كانوا بها فوقَ المنازلِ عاليَهْ
وتَحَرُّمٍ بِرضاعٍ أوْ في مُرْضِعٍ لكَ فاديَهْ
فاليومَ قد رُمُوا لديـ ـكَ بما يُشيبُ النّاصيَهْ
أضحَوْا وجُلُّ مُناهمُ منكَ الرِّضى والعافيَهْ
فإذا رَضيتَ فإنَّ أنـ ـفُسَهُمْ بحكمِكَ راضيَهْ
فاليومَ قد سَلَبَ الزّما نُ كرامتي وبهائيَهْ
واليومَ قد ألقى الزّما نُ جِرانَهُ بِفِنائيَهْ
ورَمى سَوادَ مُقلَتي فأصابَ حينَ رَمانيَهْ
يا مَنْ يَوَدُّ لِيَ الرَّدا يكفيكَ ويحكَ ما بيَهْ
يكفيكَ ما أبصرتَ مِنْ ذُلّي وذُلِّ مكانيَهْ
يكفيكَ أنّي مُستبا حٌ مَعشري ونِسائيَهْ
ورُزِئتُ مالي كلّهُ وفدى الخليفةَ ماليَهْ
إن كانَ لا يُرضيكَ إ لاّ أنْ أذوقَ حِماميَهْ
فلقد رأيتُ الموتَ مِنْ قبلِ المماتِ علانيَهْ
وفُجِعتُ أعظمَ فَجعةٍ وفَنيتُ قبلَ فنائيَهْ

وَلَبِسْتُ أثوابَ الذليـــلِ ولم تكُنْ بِلِباسِيَهْ
وَعطِبْتُ فى سُخْطِ الاما مِ على رفيعِ بِنائِيَهْ
فانظُرْ بعينِكَ هل تَرى الاَّ قُصوراً خالِيَهْ
وذخائراً مَقْسُومَةً قُسِّمْنَ قبلَ مماتِيَهْ
وحرائراً مِنْ بَينِ صا رِخَةٍ علىَّ وباكِيَهْ
ونوادِباً يَنْدُبْنَنِي تحتَ الدُّجى بكُنائِيَهْ
يَابا علِيٍّ البرمكيّ فما أُجيبُ الدّاعِيَهْ
وبكاؤهنّ وقد سمعتُ مُقَلْقِل أحشائِيَهْ
أخليفةَ اللهِ الرّضى لا تُشْمِتَنْ أعدائِيَهْ
أُذْكُرْ عُهُودَكَ لي وما أعطيتنى بوفائِيَهْ
أُذكُرْ مُقاساتى الأمو رَ وخِدْمتى وغنائِيَهْ
ارْحَمْ جُعِلْتُ لك الفِدا كِبَرى وشِدَّةَ حالِيَهْ
ارْحَمْ أخاكَ الفضل والسابِقينَ مِنْ أولادِيَهْ
فلقد دعوْكَ وقد دعوْ تُكَ إن سمعتَ دُعائِيَهْ
أخليفةَ الرّحمنِ انك لو رأيتَ بناتِيَهْ
وبكاء فاطمةَ الكئيبةَ والمدامعُ جارِيَهْ
ومقالَها بِتَرَجُّعٍ وَاشقوتا وشقائِيَهْ
مَنْ لي ولا مَنْ لى وقد قَصَمَ الزّمانُ قنائِيَهْ
وعَدِمْتُ صفْوَ معيشتى وتغيَّرَتْ حالاتِيَهْ
مَنْ لِى وقدغضِبَ الزّما نُ على جميعِ رجالِيَهْ
أوْدَى الزّمانُ بجَوْرِهِ بِساسَتى وحُماتِيَهْ
يا عطفةَ الملِكِ الرّضى عُودى علينا ثانِيَهْ

فوقع الرشيد في رقعته ﴿ ضَرَبَ اللهُ مثلاً قرْيةً كانت آمنةً مُطمئنَّةً يأتيها رزقُها رغَدًا مِنْ كلّ مكانٍ فكَفرَت بأنعُمِ اللهِ فأذاقَها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون﴾

وقد قات

يا آلَ بَرْمَكَ انما كُنتُمْ مُلوكاً عادِيَهْ
فطغيتُمُ وبَغَيتُمُ وكفرتُمُ نَعمائِيَهْ
هذا عقوبةُ مَنْ عصى مَنْ فَوْقَهُ وعصانِيَهْ
كنتمْ كشيءٍ قد مضى أحلامَ نَوْمٍ سارِيَهْ

وتمثّل بقول مُهَلْهِل

باتَ لَيْلِي بالأنعَمَينِ طويلاَ أرْقُبُ النَّجمَ ساهراً أن يزولا
أزْجرُ العَيْنَ أن تُبكّي الطلُولا انّ في الصَّدْرِ مِنْ كُليبٍ غَليلا
انّ في الصَّدْرِ غلّةً لَنْ تَقَضّى مادَعا في الغُصُونِ داعٍ هديلا
لم يُطيقُوا أنْ ينزلوا فنزلنا وأخو الحربِ من أطاق النزولا

قال أبو أحمد بن القاسم بن واضح رحمه الله كان محمد بن الواثق وهو المهتدى بالله قبل الخلافة يكثر عند المعتز بالله الجلوس والخلافة يومئذ بسُرَّ من رأى فيرجع المعتز الى قول محمد في أموره وما يمضيه ويبرمه وكان كثير المعارضة لأم المعتز فيما تأمر به وتنهى فلم تزل بالمعتز الى ان أمر باحداره الى مدينة السلام على كرهٍ منه فلما أمر بذلك كان وزيره أحمد بن اسرائيل منحرفاً عن محمد بن الواثق وأحب أن يخرجه مع حُرَمه نهاراً ليسوءه ويضَعَ منهُ فسأل محمد بن الواثق القاسم بن واضح لحالٍ كانت بينهما وزُلفةٍ كانت له عنده متقدمة أن يدخل مع صاحبه المعروف بالطوسي ويسأله أن يخرجه وحُرَمه ليلاً ففعل وكلم أحمد بن اسرائيل ورققه ولاطفهُ فغضب أحمد واحتدّ وكان غير حافظ للسانه قليل الفكر في العواقب متهوّراً فأطلق لسانه بكلام بَشِعٍ قبيح وقال من هو ومن بناته وحُرَمه الكذا الكذا حتى لا يخرجون نهاراً فقال القاسم ليت ان رجلي انكسرت ولم أحضر هذا المجلس وقام معه الطوسي رسول محمد بن الواثق وما زال يسأله أن لا يرد خبر المجلس ولا يحكي الكلام الذى بدر من أحمد بن اسرائيل فوعده وخالفه لما فارقه ولم يصبر حتى مضى فحكاه لمحمد بن الواثق وأحدر محمد مع حُرَمه نهاراً الي مدينة السلام فوقر ذلك في نفس محمد وحقده على أحمد بن اسرائيل

فلم يمض إلاّ القليل حتى قعد محمد بن الواثق فى الخلافة بعــد قتل المعتز وكان رجلاً تقياً مُتألّهاً يؤثر العدل والانصاف ويتحرّج ويحب اظهار السنن الحسنة واقامة الدين على شرائعه المستوية واعلامه القديمة من الخلفاء الذين عدلوا الاّ أن أيامه قصرت وكان الأتراك قد غلبوا على الخلافة لكثرة معارضتهم للخلفاء واضعافهم أيديهــم وايهائهم أمرهم فأمر لما ولى الخلافة بالقبض على أحمد بن اسرائيل وأبى نوح الكاتب والحسن ابن مخلد وكانت عليهم تدور دولة المعتز من قبله ورسم أن يضرب أحمــد بن اسرائيل بباب العامة ألف سوط فان مات والاّ زيد ضرباً حتى يتلف وذلك لما كان منــه من القول الذى كان سبب تلفه فراسل أحمد القاسم بن واضح في أن يشفع له الي المهتدى ففعل وكتب اليه رقعة وصلت مع خادم له اسمه مستطرف فوقع المهتدى هذا رجل لنا فى جنبه حــدود أنت شاهد ببعضها ولا سبيل الى الصفح عنــه وكان ذلك تذكيراً له بأمر المجلس وقول أحمد ما قاله فيــه وفى حُرَمه وضرب أحمــد الى ان تلف ثم كلم المهتدى في أمر أبي نوح الكاتب والحسن بن مخلد فقال لأبى نوح حرمةٌ وهي ان أمه كانت تهــدى الينا كامخاً كالناطف المعقود وزيتوناً كأمثال البيض فأطلقوا عنــه وأما الحسن بن مخلد فقد بلونا منه نصحاً وميلا فردوه الى منزلته وتخاصا جميعاً وعادا فى الأمر وكان المهتدى فصيحاً شــجاعاً فطناً عارفاً بالتدبير لو أُمهل ولم تعجل الأتراك الى قتله وكان خرج يوماً في هَيج لهم وبيده العقرب سيف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحمل على الأتراك ووسط منهم جماعة قدّهم وقطعهم وكان اذا جلس للمظالم أمر بان توضع كوانين الفحم فى الأروقة والمنازل عند تحرك البرد فاذا دخل المتظلم أمر بان يدفأ ويجلس ليسكن ويثوب اليه عقله ويتذكر حجته ثم يدنيه ويسمع منه ويقول متى يلحن المتظلم بحجته اذا لم يفعل به هــذا وقد تداخلته رهبةُ الخــلافة وألم البرد وكان الغالب على أمر الخلافة في أيامه وصيفٌ الكبير وداره معروفة بمدينة السلام فى مربعة الحرسي الى اليوم

محاسن الحبس

لعلي بن الجهم

قالت حبست فقلت ليس بضائري	حبسي وأي مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله	كبرا وأوباش السباع تردد
والنار في أحجارها مخبوءة	لا تصطلى ان لم تثرها الأزند
والبدر يدركه السرار فتنجلي	أيامه وكأنه متجدد
والزاعبية لا يقيم كعوبها	الا الثقاف وجذوة تتوقد
غير الليالي بادئات عود	والمال عارية يفاد وينفد
ولكل حال معقب ولربما	أجلى لك المكروه عما تحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة	خطب أتاك به الزمان الأنكد
كم من عليل قد تخطاه الردى	فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يتبعه غد	ويد الخليفة لا تطاولها يد
والحبس مالم تغشه لدنية	تزري فنعم المنزل المتورد
لو لم يكن في الحبس الا أنه	لا يستذلك بالحجاب الأعبد
بيت يجدد للكريم كرامة	ويزار فيه ولا يزور ويحمد
يا أحمد بن أبي دؤاد انما	تدعى لكل عظيمة يا أحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه	خوض العدى ومخاوف لا تنفد
أنتم بنو عم النبي محمد	أولى بما شرع النبي محمد
ما كان من حسن فأنتم أهله	طابت مغارسكم وطاب المحتد
أمن السوية يا ابن عم محمد	خصم تقربه وآخر تبعد
ان الذين سعوا اليك بباطل	أعداء نعمتك التي لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا	فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلس	يوما لبان لك الطريق الأقصد

والشمسُ لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ

** قال فعارضه عاصم بن محمد الكاتب لما حبسه أحمد بن عبد العزيز بتغير حولة له فقال

قالت حبستَ فقلتُ خطبٌ أنكدُ ... أنحى عليَّ به الزمانُ المرصدُ
لو كنتُ حراً كان سربي مطلقاً ... ما كنتُ أوخذُ عنوةً وأقيَّدُ
أو كنتُ كالسيف المهنَّدِ لم أكن ... وقتَ الشديدة والكريهة أغمدُ
أو كنتُ كالليث الهصور لما رعتْ ... فيَّ الذئابُ وجذوتي تتوقَّدُ
من قال إنَّ الحبسَ بيتُ كرامةٍ ... فمكابرٌ في قوله متجلدُ
ما الحبسُ إلاَّ بيتُ كلِّ مهانةٍ ... ومذلَّةٍ ومكارهٍ ما تنفدُ
إنْ زارني فيه العدوُّ فشامتٌ ... يُبدي التوجُّعَ تارةً ويُفنِّدُ
أو زارني فيه الصديقُ فموجعٌ ... يُذري الدموعَ بزفرةٍ تتردَّدُ
يكفيكَ أنَّ الحبسَ بيتٌ لا ترى ... أحداً عليه من الخلائق يُحسدُ
عشنا بخير برهةً فكبا بنا ... ريبُ الزمان وصرفهُ المتردِّدُ
قصُرتْ خطايَ وما كبرتُ وإنما ... قصُرتْ لأني في الحديد مُصفَّدُ
في مُطبقٍ فيه النهارُ مُشاكلٌ ... لليل والظلماتُ فيه سرمدُ
تمضي الليالي لا أذوقُ لرقدةٍ ... طعماً فكيف حياةُ من لا يرقدُ
فتقولُ لي عيني الى كم أسهدُ ... ويقولُ لي قلبي الى كم أكمدُ
وغدايَ بعدَ الصوم ماءٌ مفرد ... كم عيشُ من يغذوهُ ماءٌ مُفردُ
واذا نهضتُ الى الصلاة تهجُّداً ... جذبتْ قيودي ركبتيَّ فأسجدُ
فالى متى هذا الشقاءُ مؤكَّدٌ ... والى متى هذا البلاءُ مجدَّدُ
يا ربِّ فارحمْ غربتي وتلافني ... اني غريبٌ مفردٌ مُتلدِّدُ
مالي مجيرٌ غيرُ سيدي الذي ... مازالَ يكفُلُني فنعمَ السيدُ
غذيتُ حشاشةُ مهجتي بنوافلٍ ... من سيبه وصنائعٍ لا تُجحدُ
عشرين حولاً عشتُ تحتَ جناحه ... عيشَ الملوك وحالتي تتزيَّدُ

ان حدتُ عن قصد المحجة قال لي مهلاً فذاك هو الطريق الأقصدُ
فيردني بترفقٍ نحو التي فيها السلامةُ والسبيلُ الأرشدُ
فبعدتُ عنهُ مجبراً متكرّهاً الله يعلمُ ما أقولُ ويشهدُ
وخلا العدوّ بموضعي من قلبه فغشاهُ جمراً نارُهُ ما تخمدُ
هبني أسأتُ فلم حقدتَ اساءتي ما ان عهدتُك مذ صحبتك تحقدُ
بل كنتَ تغتفرُ الذنوب تكرماً وتظلُّ تعفو دائماً وتعمّدُ
فاغفر لعبدك ذنبهُ متطوّلا فالحقدُ منك سجيّةٌ لا تُعهدُ
واذكر خصائص حرمتي ومقاومي أيامَ كنتَ جميع أمري تحمدُ
يا أحمد بن محمد يا ذا الندى دُم لي على ما كنتَ لي يا أحمدُ
لا تُشمتنَّ بيَ العدوَّ وحلّني ببياض وجهك ان وجهي أسودُ

•• ولغيره

الى الله فيما نابنا نرفعُ الشكوى ففي يده كشفُ الضرورة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
اذا دخل السجّانُ يوماً لحاجةٍ عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرحُ بالرؤيا فجلُّ حديثنا اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنتْ كانت بطيئاً مجيئها وان قبحتْ لم ننتظر وأتت عجلاً

محاسن بر الآباء

حكي عن ميمون بن مهران انه قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فوجدته يكتب الى ابنه عبد الملك أما بعد فان أحق من وعى عني وفهم قولي أنت وان الله وله الحمد قد أحسن الينا في لطيف أمرنا وجليله وعلى الله جلّ وعزّ تمام النعمة فاذكر يا بني فضل الله عليك وعلى أبيك فانك ان استطعت ان تصدّق ذلك كله بعمل تعمله وصلاة أو صوم أو صدقة قبل ذلك منك واياك والعزة والعظمة والكبرياء فانه من عمل

الشيطان وهو عدوٌّ مضلٌّ مبين (وانَّ النفسَ لأمّارةٌ بالسوء الّا مارحم ربي ان ربي لغفورٌ رحيمٌ) واعلم ان الشباب الا ما وقي الله ودفع عونٌ على أمور كثيرة من السوء وفيه لعمري معونة كثيرة على الخير لمن رزقه الله فاحذر شبابك واياك وان تصلم فى قلبك زُهوًّا أو كبراً فانه مالم يكن من ذلك كان خيراً واحفظ لسانك ونفسك حفظاً ترجو فيه رحمة الله جلّ وعزّ ومغفرته واذكر صغر أمرك وحقارة شأنك ولا تبغ فيما أعجبك من نفسك وفيما عسيت ان تفرُط فيه مما ليس معه غير الفكرة فى أمرك وأمره وليس كتابي هذا لان يكون بلغني عنك الا خيراً غير انه قد بلغني عنك شئٌ من بعض إعجابك بنفسك ولو بلغني ان ذلك خرج عنك الى أمر كرهته لبلغك عني أمر يشتدّ عليك كراهته وعرّفت مع ذلك ان الشباب والحرص والنعمة يحمل ذلك كله على أمر شديد الا ماوقي الله ودفع فكن يانى على حذر فان الشيطان قلّ مايصيب فرصته بمن احترس منه بدعاء الله جلّ اسمه والتواضع له وأكثر تحريك لسانك فى ليلك ونهارك بذكر الله فان أحسن ماوصلت به حديثاً حسناً ذكر الله جلّ اسمه وأحسن ماقطعت به حديثاً سيئاً ذكر الله تبارك وتعالى وأعن على نفسك بخير نسأل الله لنا ولك حسن التوفيق والسلام .. قال ميمون ثم قال لى عمر ان ابني عبد الملك قد زين فى عيني وأنا متهم لنفسي فيه وأخاف أن يكون هواى فيه قد غلب على علمي به وأدركني مايدرك الوالد من الاشفاق على ولده فأته واسبره ثم ائتني بعلمه ثم انظر هل ترى منه مايشا كل النخوة فانه غلام حَدَثٌ ولا آمن عليه الشيطان قال ميمون فخرجت الي عبد الملك حتى قدمت عليه فاستأذنت ودخلت فاذا غلام ابن ست عشرة سنة جالس على حشيّة بيضاء أحسن الناس تواضعاً وادا مرافق بيضٌ وبساط شعر فرحّب بي ثم قال قد سمعت أبي يذكر منك ماأنت أهله واني أرجو أن ينفع الله بك وقد حسبت أن يكون قد غرّني من نفسي حسن رأى والدى فيّ وما بلغت من الفضل كل مايذكر وقد حذرت أن يكون الهوى قد غابه على علمه فأكون أحد آفاته قال ميمون فعجبت من اتفاقهما فقلت له اعلمني من أين معيشتك قال من عطاى ومن غلّة زراعة اشتريت عن ظهر يدٍ ممن ورثها عن أبيه فوهبها لي فأغناني بها عن فيّ المسلمين قال فقلت فما

طعامك فقال ليلة لحم وليلة عدسٌ وزيت وليلة خل وزيت وفى هذا بلاغ قال فقلت له أفما تعجبك نفسك فقال قد كان فيَّ بعض ماكان فلما وعظنى أبي فى كتابه بصّرنى نفسى وما صغر من شأنى وحقّر من قدرى فنفعني الله جلّ وعزّ بذلك فجزاه الله من والد خيراً فقعدت ساعة أحدّثه وأتسمّع من منطقه فلم أر فتىً كان أجمل وجهاً ولا أكمل عقلا ولا أحسن أدباً على صغر سنه وقلة تجربته منــه قال ميمون فلما كان آخر ذلك أتاه غلام فقال أصلحك الله قد فرغنا قال فسكت فقلت ماهذا الذي فرغ منه قال الحمام أخلاءُ لي قال فقلت لقد كنت وقعت منى كل موقع حتى سمعت هــذا قال فاسترجع وذعر وقال وما ذاك يا عمّ يرحمك الله قلت الحمام لك قال لا قلت فما دعاك الى ان تطرد عنه غاشيته كأنك تريد بذلك الكبر فتكسر على صاحب الحمام غلّتــه ويرجع من أتاه خائباً قال أما صاحب الحمام فانى أراضيه وأعطيه غــلة يومه قال قلت هذه نفقة سرف خالطها الكبر وما يمنعك أن تدخل الحمام مع الناس وانما أنت كأحدهم قال يمنعنى من ذاك ان أرى عورة مسلم ورعاعٌ من الناس يدخلون بغير أزُر فأكره روئية عوراتهم وأكره ان اجبرهم على أزر فيضعون ذلك منى على حدّ هذا السلطان الذى خلّصنا الله منه كفافاً فعظنى رحمكَ الله عظة أنتفع بها واجعل لى مخرجاً من هــذا الأمر فقلت له ادخله ليلا فاذا رجع الناس الى رحالهم خلا لك الحمام قال لاجرم لاأدخله نهاراً أبداً ولولا شدّة برد بلادنا هذه مادخلته أبداً فأقسمت عليك لتطوينّ هــذا الخبر عن أبي فانى أكره أن يظلّ عليّ ساخطاً ولعلّ الأجل يحول دون الرضى منه .. قال فأردت أن أسبر عقله فقلت ان سألى هل رأيت منه شيئاً تأمرنى ان أكذبه قال لا معاذ الله ولكن قل رأيت شيئاً فقطعته عنه وسارع الى ماأردت من الرجوع فانه لايسألك عن التفسير لأنّ الله جلّ وعزّ قد أعاذه من بحث ماستر .. قال ميمون فلم أر والداً قط ولا ولداً قط رحمــة الله وبركاته عليهما مثلهما .. وذكروا ان ضرار بن عمرو الضــبيّ ولد له ثلاثة عشر ابناً كلهم بلغ ورأس فاحتمل ذات يوم فلما رأى بنيه رجالا معهم أهاليهم وأولادهم سرّه مارأى من هيأتهم ثم ذكر نفســه وعلم انهم لم يبلغوا ذلك حتى أسنّ هو ورقّ وضعف فقال من سرّه بنوه ساءته نفسه

فذهبت مثلا .. قيل ودخل الأمين على أبيه الرشيد وقد عُرضت له وصيفة جميلة فلم يزل محمد ينظر اليها وفطن له أبوه فقال يا محمد ما ترى في هذه الوصيفة قال ما أرى بأساً قال فهل لك فيها .. قال أمير المؤمنين أحق بها مني قال فقد آثرك على نفسه فخذها فأخذها فقال الرشيد

ولي ولدٌ لم أعصه مُذ ولدتهُ ولا شكّ في برّي به مُذ ترعرعا
تخيرتهُ للملك قبلَ فطامهِ وأقطعتهُ الدنيا فطيماً ومُرْضَعا
فلا الملكُ يخلو باعهُ من محمدٍ ولا هوَ منهُ بل هما هكذا معا

فنهض محمد ومعه الجارية فاتبعه طرفه فلما غاب قال

وانما أولادُنا بيننا أكبادُنا تمشي على الارض

وحكي عن بعض الاعراب انه كان يرقص ولده ويقول

كأنما ريحُ الولدْ ريحُ الخزامي بالبلدْ
أهكذا كل ولدْ أمْ لم يلد قبلي أحدْ

محاسن تأديب الولد

قيل نظر ابن عباس رحمه الله الى بعض ولده نائماً بالغداة فركلهُ برجله ثم قال قُمْ لا أنام الله عينك أتنام في وقت يقسم الله جل وعز فيه الأرزاق أو ما علمت أنها النومة التي قالت العرب فيها مكسلة ومانعة للحوائج وقد قيل النوم على ثلاثة أوجه خُرْق وحُمق وخُلق فأما الخُرْق فنوم الضحى شغل عن أمر الدنيا والآخرة والحُمق النوم بين العصر والمغرب فانه لا ينامها إلاّ أحمق أو عليل أو سكران وأما الخلق فنوم الهاجرة الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال قيلوا فان الشيطان لا يقيل وقيل ان نوم الغداة يمحق الرزق ويورث الصُفار والكسل والبخَر .. وذكروا عن عبد الملك ابن مروان انه مات بعضُ ولده فجاءه الوليد ابنه وهو صغير فعزّاه فقال يا بُنيّ لمُصيبتي فيك أعظم وأفدحُ من مصيبتي بأخيك ومتى رأيت ابناً عزّي أباه فقال يا أمير المؤمنين

أمي أمرتني بذلك قال يا بُنيّ أهون عليّ وهو لعمري من مشورة النساء

مساوى جفاء الآباء

قال قال رجل لابنه يا بن الزانية فقال (الزانية لاينكحها إلاّ زانٍ أو مشرك) •• وقال آخر لابنه يا بن الزانيـة قال لاتفعل لقد كنت أحفظ لأهلك من أبيك لأهله •• قال وقال اعرابي لابنه

وأمّك قد روّيتُها فشفيتُها على حاجةٍ مني وعينُك تنظرُ

•• فأجابه

وجدّي قد روّى عجوزاً قبلها فما كنت تَرعاهُ وما كنت تشكرُ

•• وقال بعض الاعراب في بنيه

إنّ بنيّ خيرُهُمْ كالكلب ألأمُهمْ أولعُهمْ بسبّي
لم يغْن عنهمْ أدبي وضربي فليتني كنتُ عقيم الزبّ
* أو ليتني مِتّ بغير عَقب *

وقيل لاعرابي وقد تزوّج بعد ما كبر وأسن لِمَ تأخرت عن التزوّج قال أبادر ابني باليُتم قبل ان يسبقني بالعقوق •• قال وقال رجل لأبيه يا أبتاه ان عظيم حقك لا يُبطل صغير حقي ولا أقول انّي وإياك بلسواء ولكن الله جل وعز لا يحب الاعتداء

محاسن بر الأبناء بالآباء والأمهات

عن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربعة بنين فمرض فقال أحدهم إمّا أن تمرّضوهُ وليس لكم من ميراثه شئٌ وإمّا أن أمرضه وليس لي من ميراثه شئٌ قالوا بل تمرّضه وليس لك من ميراثه شئٌ فمرّضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئاً قال فأُتي في النوم فقيل له آئت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار فقال أفيها بركة قالوا لا فلما

أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت خذها فان من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها فلما أمسي أتى في النوم فقيل له آئت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها بركة قالوا لا قال فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل ذلك فأبى أن يأخذها فأتي في الليلة الثالثة فقيل له آئت مكان كذا وكذا وخذ منه ديناراً فقال أفيه بركة قالوا نعم قال فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار فأخذهما منه وانطلق بهما الي بيته فلما شقهما وجد في بطن كل واحد منهما درّة لم ير الناس مثلها فبعث الملك يطلب درّة يشتريها فلم توجد إلاّ عنده فباعها بثلاثين وقراً ذهباً فلما رآه الملك قال ما تصلح هذه إلاّ بأخت فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن فجاؤوه وقالوا أعندك أختها ونعطيك ضعف ما اعطيناك قال نعم فاعطاهم الثانية بضعف ما باع به الأولى •• قال وذكر المأمون بر الأبناء بالآباء فقال لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى فانه بلغ من برّه بأبيه انهما حيث حبسا كان الفضل يسخن ليحيى الماء لوضوءه لأنه كان يتوضأ بالماء السخن فنعهم السجّان ذات ليلة من إدخال الحطب والليل بارد فقام الفضل حين أخذ يحيي مضجعه الى قمقم كان يسخن فيه الماء فلأه من الجبّ ثم جاء به الى القنديل فأدناه منه فلم يزل قائماً والقمقم في يده حتى أصبح وقد سخن الماء فأدناه من أبيه •• قال ولما وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجيش الى اليرموك قام اليه أمية بن الأسكر الكناني فقال ياأمير المؤمنين هذا اليوم من أيامى لولا كبر سنى فقام اليه ابنه كلاب وكان عابداً زاهداً فقال لكنى ياأمير المؤمنين أبيع الله نفسى وأبيع دنياى بآخرتي فتعلّق به أبوه وكان فى ظل نخل له وقال لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين وربّياك صغيراً حتى اذا احتاجا اليك تركتهما فقال لم أتركهما لما هو خير لى فخرج غازياً بعد ان أرضى أباه فأبطأ وكان أبوه فى ظل نخل له واذا حمامة تدعو فرخها فرآها الشيخ فبكي فرأته العجوز تبكي فبكت وأنشأ يقول

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن ذكر الكتابا
أناديه ويعرض لى حنيناً فلا وأبى كلاب ما أصابا
تركت أباك مرعشة يداه وأمك ما تسيغ لها شرابا

فان أباكَ حين تركتَ شيخٌ يُطاردُ أينقاً شُزُباً جذابا
اذا رُتِعن إرقالاً سراعاً أثرن بكلّ رابيةٍ ترابا
طويلا شوقُهُ يَبكيك فرْداً على حُزْنٍ ولا يرجو الايابا
اذا غنّتْ حمامةُ بطن وَجّ على بيضاتها ذَكرا كلابا

فبلغت هذه الأبيات عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأرسل الى كلاب فوافاه فقال انه بلغني ان أباك وجد لفراقك وجداً شديداً فما ذا كنت تبرّه قال كنت أبرّه بكل شئ حتى أنى كنت أحلب له ناقة فاذا حلبتها عرف حلبي فأرسل عمر رحمه الله الى الناقة فجيء بها من حيث لايعلم الشيخ فقال له احلبها فقام اليها وغسل ضرعها ثم حلبها في إناء فأرسل عمر رحمه الله بالاناء الى أبيه فلما أُتى به بكي ثم قال إنى أجد فى هذا اللبن ريح كلاب فقلن له نسوةٌ كنّ عنده قد كبرت وخرفت وذهب عقلك كلاب بظهر الكوفة وأنت تزعم إنك تجد ريحه فأنشأ يقول

أعاذل قد عذلتِ بغير علمٍ وهل تدرى العواذل ما أُلاقى
سأستعدى على الفاروق ربا له حج الحجيج على اتّساق
انِ الفاروقُ لم يرْدُدْ كلاباً الى شيخين ما لهما تواقى

فقال له عمر اذهب الى أبيك فقد وضعنا عنك الغزو وأجرينا لك العطاء قال وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه فأنشأ يقول

لعَمرُك ما تركْتُ أبا كلابٍ كبيرَ السِنّ مكتئباً مُصابا
وأُمّاً لايزالُ لها حنينٌ تنادي بعدَ رقدتها كلابا
لكِسبِ المالِ أوطلبِ المعالي ولكنى رجوْتُ بهِ الثوابا

وكان كلاب من خيار المسلمين وقُتل مع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بصفّين وعاش أبوه أميّة دهراً طويلاً حتى خرف فمر به غلام له كان يرعى غنمه وأميّة جالس يحثو على رأسه التراب فوقف ينظر اليه فلما افاق بصر بالغلام فقال:

أصبحتُ لهواً لراعي الضأنِ أعجبهُ ما ذا يُريبكَ منى راعيَ الضأنِ
انعِقْ بضأنك فى أرضٍ بمخضَرةٍ من الأباطحِ واحبسْها بجلدانِ

إنعقْ بضأنكَ إنى قد فقدتُهمُ بيضَ الوجوه بني عمي وإخوانى

قال وحدثني من سمع أعرابياً حاملاً أمه فى الطواف وهو يقول

إنى لها مطيةٌ لا أذعرُ إذا الرّكابُ نفرَت لا أنفِرُ

ما حملَت وأرضعَتنى أكثرُ ألله ربى ذو الجلالِ أكبرُ

ثم التفت الى ابن عباس رحمه الله فقال له أتراني قضيتُ حقها فقال لا والله ولا طلقةً من طلقاتها .. قال ونحر اعرابى جزوراً فقال لامرأته أطعمي أمي منه فقالت أيها أطعمها فقال قطعي لها الورِكَ قالت ظوهِرَت بشحمةٍ وبُطّنَت بلحمةٍ لا لعمر الله قال فاقطعي لها الكتف قالت الحاملة للشحم من كل مكان لا لعمر الله قال فما تقطعين لها قالت اللحي ظوهرت بجلدة وبُطّنت بعظم قال فزوّديها الى أهلك وخلّي سبيلها .. وروى أن الحسن بن علىّ رضوان الله عليه كان يمتنع من مؤاكلة أمه صلوات الله عليها فسئل عن ذلك وهو ابن ست سنين فقال أخاف أن تسبق يدى الى لقمةٍ تقع عينُها عليها فأكون قد عققتها

مساوى عقوق البنين

الأصمعي قال حدثني رجل من الاعراب قال خرجت من الحي أطلب أعقّ الناس وأبرّ الناس فكنت أطوف بالاحياء حتى انتهيت الى شيخ فى عنقه حبل يستقي بدلوٍ لا تطيقه الابل في الهاجرة والحر الشديد وخلفه شاب في يده رشاء من قدّ ملوى يضربه به قد شق ظهره بذلك الحبل فقلت أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف أما يكفيه ما هو فيه من مدّ هذا الحبل حتى تضربه قال انه مع هذا أبى قلت فلا جزاك الله خيراً قال اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه وكذا كان يصنع أبوه بجده فقلت هذا أعقّ الناس ثم جُلتُ أيضاً حتى انتهيت الى شابٍ في عنقه زبيل فيه شيخ كأنه فرخ فيضعه بين يديه فى كلّ ساعةٍ فيزقّه كما يزق الفرخ فقلت له ما هذا فقال أبي وقد خرف فأنا أكفله قلت فهذا أبر العرب فرجعت وقد رأيت أعقهم وأبرهم .. قيل وكانت

الخيزُران فى خلافة موسى الهادى كثيراً ماتكلمه فى الحوائج فكان يجيبها الى كل ماتسئل حتى مضت لذلك أربعة أشهر من خلافته فاجتمع الناس اليها وطمعوا فيما قبلها فكانت المواكب تغدو الى بابها وتروح قال فكلمته يوماً فى أمرٍ فاعتل بعلة فقالت لا بُدّ من إجابتى قال لا أفعل قالت فانّي قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالكٍ قال فغضب وقال ويلي عليه ابن الفاعلة قد علمتُ انه صاحبها والله لا قضيتها لك قالت إذاً والله لاأسألك حاجةً أبداً فقال إذاً والله لا أبالى وحمى وغضب ثم قال مكانك حتى تستوعبي كلامي والله وإلاّ فانا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك أحد من قوّادى وخاصتي وخدمي لأضربن عنقه ولأقبضنّ ماله فمن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك فى كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكّرك أو بيت يصونك إيّاك ثم إيّاك أن تفتحي بابك لملّيٍّ ولا ذِمّيٍّ فانصرفَتْ ماتعقل ماتطأ فلم تنطق عنده بحُلْوَة ولا بمُرّة بعد ذلك •• قال يحيى بن الحسن وحدثني أبي قال سمعت خالصة تقول للعباس بن الفضل بن الربيع بعث موسى الهادى الى أمه الخيزران بأرزّة فقال اشتهيتُها فأكلتها فكلي منها قالت خالصة فقلت امسكي حتى ننظر فانّي أخاف أن يكون فيها شئ فأرسل اليها بعد ذلك كيف رأيت الأرزة قالت وجدتها طيبة فقال لِمَ لَمْ تأكلي منها والله لو أكلتِ لقد كنت استرحت منك فما أفلح خليفةٌ له أم •• قيل وضرب ابراهيم بن بهنك المكيّ ابنه فذهب الابن فوشي بأبيه الى الرشيد وذكر انه يريد اغتياله فدفعه الرشيد الى ابنه فقيده وحبسه فى بيت ودعا بأمهات أولاده فجعل يشرب معهن ليغيظ أباه فاستبطأه الرشيد فدعا به وقال له ان كذبت على أبيك استرضيناه لك وان كنت صدقت فلست أرى فعالك تشاكل أفعال الصادقين فلما انصرف من عنده دخل على أبيه بالسيف فضربه حتى قتله ولذلك قيل شرّ المرزئة سوء الخلف •• قال ولما خلع شيرويه بن كسرى أباه وهمّ بقتله قال لعظيم من عظماء مرازبته ادخل على أبي فاقتله فانطلق المرزبان حتى دخل على كسرى فأخبره بما أمر به ابنه فقال له كسرى انصرف فلست بصاحبي فانصرف المرزبان الى شيرويه فأخبره بمقالة كسرى فوجّه رجلا آخر فلما دخل قال له مثل مقالته للأول فانصرف ولم يصنع

شيئاً واعتلّ على شيرويه بأنه لم يطب نفساً بقتله فالتفت شيرويه الى فتى يسمى هُرْمُز بن مردانشاه وكان أبوه يقال له فاذوسبان بابل وخُطرنية وقد كان كسرى سأل المنجمين قبل ذلك بعامين عن ميتته فأخبروه انها على يدى رجل يكون عظيم بابل فلما سمع ذلك وقعت تهمته على مردانشاه فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه فلما قدم تجنى عليه ثم أمر بقطع يمينه فقطعت فتناولها بيده الأخرى ووضعها فى حجره وجعل يبكى وينتحب فسمع كسرى ذلك فرحمه ورقّ له فأرسل اليه انه قد ندم على ما كان منه وأمره ان يسأله حاجة تكون عوضاً من ذَهاب يده فأرسل اليه مردانشاه ان وثق لى بالأيمان المحرّجة ففعل كسرى ذلك وعاهده ان يجيبه الى جميع ما سأل فأرسل اليه ان حاجتى ان تأمر بقتلى فلا خير فى الحياة بعد يمينى فأمر كسرى به فضربت عنقه فلما دخل ابنه هرمز على كسرى قال له من أنت قال أنا ابن مردانشاه فاذوسبانِ بابل فقال أنت لعمرى صاحبى كنت قتلت أباك ظلماً فدونك وما أمرت به وكان معه طبرزين فضرب به كسرى على عضده فلم يحك فيه لان كسرى كان فى عضده خرزة لايعمل الحديد فيه من أجلها فضرب الشابّ بيده الى عضده وقطع تلك الخرزة ثم ضربه بالطبرزين حتى مات وانصرف الى شيرويه فأخبره فأمر بقتله ثم هلك شيرويه بعد قتل أبيه بثمانية أشهر وقد قالت الحكماء ومن جرّب من الأوائل ان الرجل اذا قتل أباه وأخاه لم يمتع بعدهما الا أربعة أشهر أو ماهو فوق ذلك بيسير وربما سُلّط عليه السم فلا يزال كذلك الى أن يتلف ٠٠ قال وقيل للمأمون ان بنى على بن صالح مُجّان سفهاء فقال المأمون ياعلى أحضر ولدك الأكابر والأصاغر فانى أريد أرتهم وأرشّحهم للأمر الذى يصلحون له فانصرف علىّ فأخبر ولده بذلك وأمرهم بالركوب فاستعدّوا وتزينوا بأحسن هيئة واستأذن لهم فدخلوا وسلّموا فقال لهم المأمون تركتم الأدب واطّرحتموه وآثرتم المجون والسفهَ هذا وأبوكم أحد الفقهاء والعلماء يُستضاء برأيه ويحمد مذهبه فأقبل على علىٍّ فقال أما على ذلك فما الذنب الا لك اذ تركتهم يتتابعون فى المجون وتركوا ما كان أولى بك وبهم أن تأخذهم به فقال علىٌّ ولا سيما ياسيدى هذا الكبير فانه باقعةٌ لا والله مالى بهم قوة ولا يد وهذا الكبير أفسدهم وهتكهم وزيّن لهم سوء أعمالهم فصدّهم

عن السبيل فهم لايهتـدون فأطرق الأكبر مايترمرم بحرف فقال المأمون تكلم قال
ياسيدى بلساني كله أو كما يتكلم الذليل بين يدى مولاه حتى يترك حجته ويسكت عن
ايضاح جوابه مهابة لسيده قال تكلم بما عندك فقال ياأمير المؤمنين هل حمدت رأي أبينا
وحمدت مذهبه وعلمه قال نعم قال فأعتق مايملك وطلق مايطأ طلاق الحرَج والسنة
وصدّق بما حوى وعليه ثلاثون حجة مع ثلاثين نذراً يبلغ به الكعبة ان لم يكن أبوه
على طلب سكّر طبرزَد فلم يوجد فى خزانته ولم يكن وقتاً يوجد فيه سُكّرٌ ولا يقدر
على ابتياع شئٌ منه فقال فيمَ يصلح للخزانة التى ليس فيها سكّر ثم قال الحمد لله رب
العالمين ولا أقول انا لله وانا اليه راجعون وان كانت المصيبة لأن ذلك انما يقال عند
المصائب فى الأنفس ولكنى أحمده على السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء كما حمده
الشاكرون وأنا أرجو أن أكون منهم ثم أقبل على الخازن فقال ادعُ الوكيل فدعاه
فقال مامنعك اذ فني السكر ان تشترى لنا سكرا قال لم يعلمني الخازن فقال للخازن لِمَ لم
تعلمه قال كنت على ان أعلمه قال ماهنا شيٌ هو أبلغ فى عقوبتكما من ان أقوم على
إحدى رجليّ وأن لاأضع الأخرى ولاأراوح بينهما حتى تحضرونى ألف منّ سكر
طبرزد ليس بعضرّس ولا وسخ ولا ليّن المكسر ولا بمحدث الصنعة ولا معوجّ القالب
ثم وثب فقال (يُوفونَ بالنذرِ ويخافونَ يوماً كانَ شَرُّهُ مُستطيراً) والله والله لاأزال
قائماً حتى أوفى بنذرى قال فتبادر غلمانه ومواليه وبعض أولاده وعجائزه نحو السوق
فواحد ينبّه حارساً وآخر يرمي كلباً وآخر يفتح دَرْباً وآخر يُوقظ نائماً وآخر يدعو
بائعاً والغلمان والجوارى والجيران والسوقة والحرّاس فى مثل صيحة يوم القيامة ثم
قال ياقوم أما لي من أهلي مساعد أين البنات العواتق والابكار أين اللواتى كنت
أغذوهن بطيب الطعام ولين اللباس يسرحن فيما ادّعين من خفض العيش وغضارة
الزهر أين أمهات الأولاد اللواتى اعتقدن العقد النفيسة وملكن الرغائب بعد الحال
الخسيسة أين الاولاد الذكور الذين لهم نسعي ونحفد ونقوم ونقعد ولهم نروح ونغدو
فبادرن اليه بناته وأمهاتهنّ فقامت واحدة منهن على ساق فقال أحسنتنّ أحسن الله
جزاءكنّ لمثل هذا أردتكنّ ولاحظ الكبرى من بناته وآخر من بنيه وهما يراوحان

بين أقدامهما فقال يافلانة تراوحين ولا أراوح صـدق الله جلّ وعزّ وبلّغ رسوله عليه وعلى آله السلام حيث يقول (انّ من أزواجكمْ وأوْلادكمْ عدُوّاً لكمْ فاحذروهم) حـذرني ربي جلّ وتعالى منكم ثم قال علي بن صالح ليس في خزانتـه سكر طبرزد وجائزته من أمير المؤمنين الف الف درهم وضيعته بالنهروان تُغل ثلاثمائة الف درهم وضيعته بالكوفة المعروفة بالمغيرة من أنبل ضيعة ماملك مثلها أحـد بطسوج الدسكرة ولولا ان سعيداً السعدىّ أراح الله منه قطع شربها وغوّر مجارى مياهها حتي اندفنت أنهارُها وقلت عمارتها اضراراً بنا وتعدّياً علينا ماكان لأحد مثلها وعلى ان أكرتها ومزارعيها من أخابث خلق الله والله والله لو أمكنهم ان يقطعوا الحاصـل وحاصـل الحاصل ماأعطونا من ذلك شيئاً ومن أخبرك ان الضيعة لربّ الضـيعة فقل له كذبت لاأم لك الضيعة ثلاثة أثلاث فثلثٌ للسلطان وثلث للوكيل وثلث للاكّار وانما يأتي رب الضيعة صُـبابة كصبابة الاناء ومخّة كمخة عُرقوب يجبي الأكّار وقت الدياس فيمر بهم الأبرد هذا يذبح له وهذا يخبز له وهذا يسقيه النبيذ وما نبيذهم الا العكر الاسود ووَضر الدبس وماء الأكشوث قبح الله ذلك شربا ماأثقله للجوف وأضره بالاعلاق النفيسة ثم يأتي وقت الكيل فمن بين رقام رقم الله جلبابهُ وأعدّ له الهوان ومن بين كيال جعل الله له الويل لقوله جلّ وعزّ (ويل للمطففينَ) مايبالى أحد منهم على مايقدم لقد سمعت أمير المؤمنين يسأل قُضاته وكلهم بالحضرة هل عدلتم كيالا قط فكلهم يقول لا فان أطعموا الجـداء الرضع ونقى الخبز من دَستميسان ووهبت لهـم الدراهم ظفر الأكّار بحاجته فويل يومئذ لقبة السلطان ماذا يُحمل اليها من القِشْب والقِصل والمدر والزوان ويحشي فيها التبن ثم قال ياقوم لم أطنبت فى ذكر هؤلاء وما الذي أهاج هذا فى هذه الساعة حتي خُضت فيـه أما كفانى انى قائم على رجلى على أحد جناحيّ قالوا هذاً للسكر الذى ليس فى خزانتك منه شئ قال أجلْ والله اذا كان وكيلى مشتغلاً بزوجته وبناته ومصالح حالهنّ متي يفرغ للنظر فى مصالح خزانتى والله والله لقد حدّثت انه حلي بناته بألوف دنانير وقال لزوجته اخرجي الى الاعياد وادخلي الاعراس وسَلي عن الرجال المذكورين واطلبي المراضع المعروفة والأنساب المرضية

لبناتك واخرجتهن فى الجمعات يتصفحن محاسن الغرّات ويختزنَ أولى الالباب أو لم يُرْوَ عن الثقات انهم كرهوا خروج الأبكار فى الجمعات التى فرض الله جلّ وعز فيهنّ السعي الى ذكره فنبغ قوم من هؤلاء المبتدعة خارجة خرجت ومارقة مرقت ورافضة رفضت الدين وأهل الدين فتركوا مافرض الله جل وعز عليهم (قاتلهم الله أنى يُؤفكونَ اتخذُوا أحبارَهمْ ورُهبانهمْ أربابا من دُون الله) وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه ولا اثنين انه خطب الناس فقال فى خطبته ان الله جل وعز قد افترض عليكم الجمعة فى مقامي هذا فى يوميَ هذا من عامي هــذا الى يوم القيامة فمن تركها استخفافا بها وجحوداً بها فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أهله ولا حج له ولا جهاد حتى يتوب الى الله جــل وعز فمن تاب تاب الله عليــه ثم قال ياقوم ماالذى حركنا على هذه الفضيلة فى جوف هــذه الليلة قبل السكر الطبرزد قال أجلْ والله فما أحضرتمونى الف مَنّ سكر الى هذه الغاية أيانصح أيافتح أياصبح أيانجح بادروا مولاكم فانه قد نصب وتعب من طول القيام والله لأحسب اثريّا مقابلة سَمْتَ رأسى ذهب والله الليل وجاء الويل ويلكم أدركوني فانى أريغ نومــة ولا بد لى من البكور نحو الدار فبادرن حرمُه الخاصة فحثوا الباعة وانبهوا السوقة وأخــذوا ماعندهم على غير سوم وجاؤا به فقال ماهــذا قالوا ماأمرت به قال فهل أخذتموه على الصــفة التى وصفت لكم قالوا نعم قال فهل وزنتموه واستوجبتموه قالوا لا قال ياأعداء الله أردتم أن تفسدوا ديني لا والله لايطمع مني فى هضيمة لا والله لايزال هذه حالى حتي تأخــذوه بيعاً صحيحاً لاشرط فيه ولا خيار ولا مثنويّة ولا على حدّ تلجئة هيهات يأبى الله جل وعزّ ذاك علىّ قال فرجعوا وساوموا الباعة وقطعوا ثمنه وأخبروه فقال يوزن بحضرتى فأتوه بالقبّان فقال من يزن منكم قال من أمرته قال زن يانصح فقد دنا الصبح وأرجح فان النبى صلى الله عليه وسلم اشترى فقال للوزان زن وارجح والله لولم يكن في الرجحان الا نحلة القسم لكان فى ذلك مايدعو العلماء والفقهاء فى دين الله جل وعز الى العــمل به فجعل الغلام يزن ويرجح وهو يقول .. ويلك مجيل فداك أهلك قــد دنا الصبح أوْ لم خرجتِ نفسى أو كادت فلما استوى الوزن خرّ مغشياً عليه مايدرى ارضاً توسّد

أو وسادا وكذلك كانت حال من كان فى مثل حاله فهذه يا أمير المؤمنين حال من أحدثت علمه وفهمه ورأيه فقال المأمون قاتلك الله ما أعجب أمرك على كل حال والله لئن كنت ولدت هذا عن أبيك في مقامك مالك فى الأرض نظير ولا فى السماء شبيه وان كنت حكيتَ عنه عياناً ووعيت فلقد أجدت الحكاية وأحسنت العبارة وما لأبيك في الدنيا شبيه وانك لتغمر مساويك بمحاسنك فلا تذكرنّ شيئاً من هذا بعد هذا المجلس فان عيبه فينا أعدى منه فى أبيك قال فذهب عليّ ليتكلم فقال المأمون لاينبسنّ لسانك بحرف واحد ثم أمر بنيه بالانصراف

محاسن البنات

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم الولد البنات مطلقات مجهزات مؤنسات مباركات مفلّيات فاليات مندّبات نادبات •• قال ودخل عبد الله بن الزبير علي معاوية بن أبى سفيان وبنية له تمرّغ على صدره فقال أمطها عنك يا أمير المؤمنين فانهن يقربن الأعداء ويورثن البعداء فقال معاوية مهلاً يا ابن الزبير فما مرّض المرضى ولا ندب الموتي ولا برّ الأحياء كهنّ فقال ابن الزبير قد تركتهن آثر عندى من الأبناء •• وحكى انه قال والله لقد دخلتُ وما أحدٌ أبغض الىّ منهنّ وإنى أخرج وما أحد أحب الىّ منهنّ •• وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحدٍ من أمتى وُلدت له جارية فلم يتسخط ما خلق الله جل وعز إلاّ هبط ملَك من السماء بجناحين أخضرين موشحين بالدُر والياقوت في سُلّم من دُر ويزف من درجة الى درجة حتى يأتيه بالبركة فيضع يده على رأسها وجناحه على جسدها ثم يقول بسم الله وبالله محمد رسول الله ربي وربّك انه نعم الخالق الله ضعيفة خرجت من ضعيف المنفقُ عليها مُعانٌ الي يوم القيامة •• وقال ابن المقفع لرجل ولدت له جارية بارك الله لك فى الابنة المستفادة وجعلها لكم زينا وأجرى لكم عليها خيراً فلا تكرهوهن فانهن الأمهات والأخوات والعمات والخالات ومنهن الباقيات الصالحات ورُب غلام ساء أهله بعصد

مسرتهم ورُب جارية فرحت أهلها بعد مساءتهم وأنشد فى ذلك

سخِطتَ بُنيّةً عما قليلٍ تُسَرُّ بها عيونُ الناظراتِ
فبارَك فى فُطيمة ربُّ موسى وأنبتَها نباتَ الصالحاتِ
وزادك عاجلا أُخرى سواها لسُخطك إذ سخِطتَ على البنات

•• قال وكان لرجلٍ امرأتان فى دار واحدةٍ فولدت احداهن غلاماً والأُخرى جارية فكانت أم الغلام تقول

مافاني اليوم من الجواري من كلّ سوداء كشنّ بالي
* لا تدفعُ الضيمَ عن العيال *

وقالت أم الجارية

وما عليّ أن تكون جاريَه تحفظ بيتى وتردُّ العاريَه
تمشطُ رأسي وتكونُ الفاليه وتحملُ الفاضل من خماريَه
حتى اذا ما بلَغتْ ثمانيه وزُيِّنَتْ بنُقبةٍ يمانيه
زوّجتها مروان أو معاويه أزواج صدق بمهور غاليه

محاسن بر البنات

عوانة قال بلغنا ان شيخاً من أصحاب معاوية كان يكاتب عليّ بن أبى طالب رضوان الله عليه وقد كان طعن فى السن فبلغ معاوية خبرُه فدعاه فقال أيها الشيخ انك لتكاتب علياً رضى الله عنه ولولا سنك لقتلتك فلا تفعل ولا تعُدْ فوقع كتاب له بعد ذلك الى عليّ رحمه الله فى يدى معاوية فدعاه وقال أتعرف هـذا الكتاب قال نعم كتبت فأجبته فأمر معاوية بقتله فانتهى الخبر الى ابنةٍ له صغيرة فجاءت حتى قامت بين يدى معاوية وأنشأت تقول

مُعاوى لا تقتل أباً كان مشفقاً علينا فنبقى إنْ فقدناهُ شُرَّدا
وتوتمُ أولادٌ صغارٌ بقتله وان تعفُ عنه كنتَ بالعفو أسعدا

مُعاويَ نَعيهُ اليومَ للهِ وحدهُ ... وللباكيات الصارخات تلددا
مُعاوي منك العلم والحلم والتقى ... وكنت قديماً يابن حرب مسددا

فعجب معاوية وأصحابه منها ودمعت عيناه ووهبه لها .. قيل وكان المأمون وجد على قائد من قوّاده فاستصفى ضياعه وداره وأنهب دوابه وماله وكان شيخاً فانياً ولم يكن له من الولد إلاّ بنيَّة صغيرة فأجمع أن يضرب في الأرض ويطلب من فضل الله جل وعز ويخلف بنيته فبكت الابنة وقبضت على أبيها وقالت اقنع بما آتاك الله واصبر على محن الزمان ونوائب الدهر والزم الوطن وارحم وحدتي وضعفي وقلة حيلتي أو اذبحني فلا أبتلى بفراقك فبكي الشيخ وقال

تقولُ ابنتي لما أردتُ وداعَها ... وقد حضرتْني نية ورحيلُ
لعل المنايا في رحالك تنبري ... لنفسك ختلاً أو تغولُك غولُ
فتتركني أدعي اليتيمة بعدما ... تبينُ وعزّي بعد ذاك ذليلُ
أفي طلب الدنيا وربُّك بالذي ... تسيرُ لهُ راع عليك كفيلُ
أليس ضعيفُ القومِ يأتيه رزقهُ ... يُساقُ اليه والبلادُ مُحُولُ
ويحرمُ جمع المال من قد يرومهُ ... يكدُّ عليه رحلهُ ويجولُ
فلو كنت في طودٍ على رأس هضبةٍ ... لها نجفٌ فيه الوُعولُ تقيلُ
مُصمَّمةٍ لا يُستطاع ارتقاؤها ... ولا لنزُولهِ يُستطاعُ سبيلُ
إذاً لأتاك الرزقُ يحدُوهُ سائقٌ ... حثيثٌ ويهديه اليك دليلُ

قال فنمى الخبر الى المأمون فدعا بالشيخ فاستنشده شعره فأنشده فرقّ له وأمر برد جميع ما أخذ منه وأعاده الى مرتبته وزاده من عنايته .. قال وعاش يزيد بن زبية الشيباني دهراً طويلا حتى لحق زمن الحجاج وسعى مع ابن الأشعث فظفر به الحجاج وورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بقتله فلما دعا به قال له أيّها الأمير اتق الله بسبع عشرة نسوة أو تسع عشرة نسوة ليس لهن قيمٌ غيري قال احضرهن فلما حضرن سألهن الحجاج عن شأنهن فامنهن امرأة إلاّ وهي تقول اقتلني ودعهُ فقامت بنيّة له صغيرة فبكت بكاءً حاراً موجعاً حرقاً وأنشأت تقول

أحجاج إمّا أن تجود بنعمة ... علينا وإمّا أن تقتلنا معا

أحجاج كم تفجع به ان قتلته ... ثلاثاً وعشراً واثنتين وأربعا

فمن رجل دان يقوم مقامه ... علينا فمهلاً لا تزدنا تضعضعا

فرحمه الحجاج وكتب الى عبد الملك يسأله العفو عنه فأجابه الى ذلك وأطلقه

مساوي من كره البنات

قيل وبُشر الأحنف بجارية فبكى فقيل له ما يُبكيك قال لِمَ لا أبكي وهي عورة وبكاؤها عبرة وهديتها سرقة ونصرتها البكاء ومَهنأها لغيري .. وقال رجل وُلدت له جارية

قد كنتُ أرجو أن تكون ذكرا ... فشقها الرحمنُ شقاً منكرا

شقاً أبى اللهُ لهُ أن يُجبرا ... مثل الذى أمها وأكبرا

ومما قيل فيها من الشعر

لولا البُنيةُ لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظُلَمِ

وزادني رغبةً في العيش معرفتي ... ذُلَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحم

تهوى بقاي وأهوى موتها شفقاً ... والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُرَم

مخافةَ الفقر يوماً أن يُلم بها ... فيكشف الدهرُ عن لحمٍ على وَضم

اذا تذكرتُ بنتى حين تندبُني ... فاضت لرحمة بنتي عَبرتى بدم

.. آخر

أحب بُنيتي ووددتُ أنى ... دفنتُ بُنيتى فى جوف لحدِ

وما لى بُغضها غرضاً ولكن ... مخافة ميتتى فتضيعَ بعدي

مخافة أن تصير الى لئيمٍ ... فيفضح والدى ويشين جدّى

فليت الله أكرمها بقبرٍ ... وان كانت أعز الناس عندى

فتستر عورتى وتكون أجراً ... اذا قدمتُها وكتمتُ وَجدي

وتُتبِعَ بعد ذاك بأمّ صدقٍ فتؤلس بنتها وأعيش وحدي

٠٠ ولآخر

فكل أبي بنتٍ يُرجّي ببعلها ثلاثة أصهارٍ اذا عُدّد الصِّهرُ

فزوجٌ يراعيها وخِدرٌ يصونها وقبرٌ يواريها وخيرهم القبرُ

مساوى البنات

قيل وكان همام بن مُرّة غيوراً وله أربع بنات يجعلهن في قصر فلما بلغن مبلغ النساء اشتهين الرجال واستردن الأب وبعثن اليه في ذلك بأبيات شعر فكتبت واحدةٌ منهن

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى صلعاء مُشرفة القذال

فقال يابُنية أهب لك بيضة ولم يعرف المعنى وكتبت اليه الثانية

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى شيءٍ يكونُ مع الرجال

فقال نعم ولم يعرف المعنى أهب لك سيفاً وكتبت اليه الثالثة

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى ما بَين أفخاذِ الرجال

فقال نعم يا بُنية أهب لك فرساً فقالت الرابعة

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى شيء أسدُّ به مبالي

فلما صرحت هذه عرف المعنى فزوّجهن جميعاً ٠٠ وذكروا ان الضيزن الغسّاني ملك الحيرة سار اليه سابور ذو الأكتاف فتحصن الضيزن وحاصره شهراً وان مُليكة بنت الضيزن نظرت من ناحية السور الى سابور فهويَتهُ وأرسلَتْ اليه إني قد هويتك وسأدُلك على فتح هذه المدينة فقال افعلي وأنا لك وبين يديك فأسكرَت حُفّاظ السور وفتحت الأبواب فدخل سابور فقتل من قدر عليه وأخذ أباها أسيراً فلما أصبح سابور أمر فأدخل اليه الضيزن وهو قاعد على سرير من ذهب والجارية الى جانبه فلما رآها ضرب بيده ورجله وغُشي عليه وقال لها حين أفاق مالك سوّد الله وجهك كما

سوّدت وجهي وسلطه عليك فأمر به سابور فضربت عنقه وغنم هو وأصحابه غنائم كثيرة وانصرف الى دار مُلكه وأمر بالجارية بمقصورة فبُنيت لها فأسكنها فيها وأعجب بها اعجاباً شديداً فمكثت عنده حولا ثم انه دعاها ذات ليلة فباتت معه على فراش حشوُهُ ريش فقلقت قلقاً شديداً فقال لها مالك ياحبيبتي قالت ان في الفراش شيئاً خشناً قد أقلقني ففتش الفراش فوجد تحت الريش ورقة آس واذا هي قد أثرت في جنبها بمقدار الورقة لرطوبة جسدها ولين بشرتها فقال لها ما الذى كان أبوك يغذوك به قالت بالمخ ولُباب الدرمك وهو الحوّارَى بالسكّر الطبرزد فقال والله لأكافئنك فأمر بها فشدّت ضفائرها الى أذناب فرسين فركضا فتقطعت

محاسن الاخوان

قال بعض الحكماء ليس للعقلاء تنعُّم إلاّ بمودّات الاخوان •• وقال آخر الازدياد من الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال •• وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذى لا يُحتاج اليه •• وقيل أبعد الناس سفراً من كان سفرُه فى ابتغاء أخ صالح •• وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان وأنشد

لعمرُك ما مالُ الفتى بذخيرة ... ولكن اخوان الثقات الذخائرُ

•• وقيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتناً واذا مرت على الطيب حملت طيباً •• وقال شيخ من الاعراب عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم •• وقيل فى ذلك

قد يمكثُ الناس حيناً ليس بينهمُ ... وُدٌّ فيزرَعهُ التسليمُ واللطفُ

يُسلي الشقيقين طولُ التأى بينهُما ... وتلتقى شعَبٌ شتّى فتأتلفُ

•• وقال آخر

كَمْ إخوةٍ لكَ لم يلدكَ أبوهمُ ... وكأنما آباؤهمْ ولدُوكا

وأقاربٍ لو أبصرُوكَ معلّقاً بنياط قلبك مارُوْا رحموكا

•• وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن صلوات الله عليه ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة وأعطه كل المواساة ولا تفض اليه بكل الأسرار •• وقال العباس بن جرير المودة تعاطفُ القلوب وائتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الأشخاص عند تنائي اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال •• وكتب بعض الكتاب ان فلاناً أولانى جميلا من البشر مقروناً بلطيف من الخطاب فى بسط وجهٍ ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى بالذهب المملوء بالمذرة أعجبك حسنه مادام مطبقاً ولما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره •• وقال بعضهم من لم يؤاخ من الاخوان إلاّ من لاعيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه إلاّ بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن جانب على غير ذنب اخوانه كثر عدوّه

مساوى الاخوان

أنشد لبعضهم

والله لو كرِهَتْ كفّي مُنادمتي لقلْتُ للكفّ بِيِنى إذ كرهتِيني

•• ولآخر

فاني لو تخالفـنى شمالي خلافك ماوَصلت بها يميني

إذاً لقطعتُها ولقلتُ بِينِى كذلك أجتوى من يجتويني

•• ولآخر

من لم يُردْكَ فلا تردْهُ هَبْهُ كمن لم تستفدهُ

باعِدْ أخاكَ اذا نأى واذا دنا شبراً فزدْهُ

قال وسمعها الكسروي فقال

فى سعة الأرض وفى عرضها مُستبدَلٌ بالأهـل والجار

فمن دنا مِنّا فأهلاً به ومن تولى فإلى النار

•• آخر

وقائل كيف تهاجرتما فقلتُ قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي فتاركتُهُ والناسُ أشكالٌ وألّافُ

•• ولآخر

تودُّ عدُوِّي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي عنك لعازبُ
وليس أخي من ودّني رأي عينه ولكن أخي من ودّني وهو غائبُ

••وقد قالت الحكماء الأوائل نعوذ بالله من بوائق الثقات ومن الاغترار بظاهر المودات وأنشد الآخر

ان اختياريك على خِبْرَةٍ أعجبُ شيء من فى العالَمِ

•• وأنشد لآخر

انّ اختياريكَ لاعن خِبرَةٍ سلفتْ الاّ الرجاء ومما يخطى النظرُ
كالمستغيثِ ببطنِ السيل يحسبهُ جرزاً يُبادرُهُ إذْ بَلّهُ المطرُ

•• وأنشد لآخر

اذا كنتَ فى قومٍ فقارنْ سراتهمُ فانك منسوب الى من تُقارنُ

وبيت عدى بن زيد فى هذا المعنى مختار قديم

عن المرء لاتسأل وأبصرْ قرينه فان القرينَ بالمقارنِ يقتدى

•• ولآخر في هذا المعنى

مشيُ البريّ معَ المقارف تهمةٌ ويُرى البريُّ معَ السقيمِ فيلطخُ

•• ولآخر فى هذا المعنى

اذا اعتذَرَ الصديقُ اليك يوماً منَ التقصير عذرَ أخٍ مُقرّ
فصنهُ عنْ جوابك واغضِ عنهُ فانّ العفوَ شيمةُ كل حرّ

•• ولبعض الكتّاب

وصاحبٍ كانَ لي وكنتُ لهُ أشفقَ منْ والدٍ على ولدِ

وكانَ لي مُؤنساً وكنتُ لهُ ليستْ بنا حاجـة الى أحدِ
كنا كساقٍ تمشي بها قـدَم أو كذراعٍ نيطَتْ الى عَضُدِ
حتى اذا أمكنَ الحوادثُ منْ خطي وحلّ الزمانُ من عقدي
ازْوَرَّ عني وكانَ ينظرُ منْ عيني ويرْمي عنْ ساعدي ويدي
حتى اذا استرْفدَتْ يدي يدَهُ كنتُ كمسترْفدٍ يدَ الأسـدِ

محاسن الخصيان

من مناقب الخصيان ان الخصي لايصلَع ومتى خُصيَ قبـلَ الانبات لم ينبت واذا خصيَ بعد استحكام نبات الشعر في مواضع الشعر تساقط كله الا شعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين وانما يعرض لما يتولد من فضول البـدن ولم يُرَ خصي قط مخنّثاً ولا سمعنا به ولا ندري كيف ذلك ولا نعرف المانع منه ماهووقد كانَ ينبغي أن يكون ذلك فيهم خلقة ويشمل جماعتهم لشبههم بالنساء وقربهم من الصبيان وقد رأينا غير واحدمن الاعراب مخنثاً ورأينا عدة مجانين مخنثين وأخـبرني من رأى كردياً مخنثاً .. ومن فضائل الخصي ان المرأة تميل اليه لان أمره أسترُ وعاقبته أسلم وتحرص عليه لانه ممنوع عنها وترغب في السلامة من الولد والخصي اذا تنسّكَ غزا ولزم الثغور وبادر بماله الى طرسوس وقيل فيهم

ونساءٌ لمطمئنٍّ مُقيمٍ ورجال ان كانت الأسفارُ

وقد يُرى الخصيّ وكأن السـيوف تلمع في لونه وكأنه مرآة صينية وجارة أو قضيب فضة قد مسه ذهب وكأن في وجناته الورد ويعرض له صبر على طول الركوب والقوة على كثرة الركض حتى يجاوز في ذلك رجال الأتراك وفرسان الخوارج وهـم أطول الناس أعماراً وما ذلك فيما أرى الا لعدم النكاح وقلة استنزاح النطف ولذلك يقال ان البغل أطول عمراً من سائر الدواب والعصفور أقلها أعماراً وما ذلك الا لكثرة سِفاد العصفور وقلة نزو البغل ولو أن أخوين أحدهما توأم أخيه نُخصي أحـدهما لخرج

الخصى منهما أجود خدمة وأفطن لأبواب المعاطاة وأذكي عقلا عند المخاطبة من أخيه الذي وُلد معه فى وقت واحد

مساوي الخصيان

قيل كل ذى ريح منتنة وكل ذى ذفر وصنان كريه المشم كالتيس وما أشبهه فانهمتى خصى نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان فان الخصى يعود أنتن ماكان وصنانه أحدّ ويعترى الخصيان خبث العرق حتى توجد لأجسادهم رائحة لاتكون لغيرهم وكل شي من الحيوان يخصي فان عظمه يدق ويسترخي لحمه ويتبرأ من عظمه ويعود رَخصاً وطبلَه بعد ان كان عَضِلاً صُلباً والانسان اذا خصى طال عظمه وعرض ويعرض له طول القدم واعوجاج الأصابع ويعرض له سرعة التغير والتبدّل والانقلاب من حدالرطوبة والبضاضة وملاسة الجلدوصفاء اللون ورقته والتقبض الى الهزال وسوء الحال ويعرض للخصيان سرعة الرضى والغضب وحب النميمة وضيق الصدر لما أودع من سر وما أكثر مايعرض للخصيان البول في الفراش ولا سيما اذا بات أحدهم ممتلئاً من النبيذ ويعرض لهم حب الشراب والافراط فى شهوته ويعرض لهم سرعة الدمعة والعبثُ واللعب بالطير والفخ وما أشبه ذلك وجاء من أخلاق الصبيان ويعرض لهم الشرَهُ عند الطعام والبخل عليه والخصي تسخن معدته وتلين جلدته وتنحدر شعرته ويتسع دُبره والخاصى ربما عمد الي الصبي ليخصيه فتتقلّص احدي خصيتيه وتصير البيضة فى موضع لايمكنه ردها الى مكانها فيقطع ماظهر له ويبقى ذو بيضة واحدة فهو حينئذ لاامرأة ولا رجل ولا خصى وتخرج لحيته فلا يدعه الناس في دورهم فلا يكون مع الخصيان مقربا ولا مع الفحول مستخدماً وقد فاته غشيان النساء ولذّة النسل والتمتع بشم الأولاد .. وعلى ان فى الخصيان شرها شديداً وميلا عجيباً الى النساء من ذلك ماحكي عن أبى المبارك الخصي ومساحته فى حفظ النساء فقال والله اني ربما اسمع نغمة المرأة فأظن ان كبدى قدذابت وان عقلي قد اختلس وربما ترى فؤادي عند ضحك

حداهن حتى أظن انه قد خرج من فى فكيف ألوم عليه غيري •• وكان فى قطيعة الربيع خصى وكان أثيراً عند مولاه يثق به فى ملك يمينه وحرمه من ابنة وزوجة وأخت فأشرف يوما على مِرْبد له فيه غنمٌ وقد شد يدى شاة وقد ركبها من مؤخرها يكومها فلما أبصره كذلك وجم وتحير ورفع الخصى رأسه فلما أثبت مولاه مر مسرعا نحو باب الدار ليركب رأسه ويهيم على وجهه وكان المولى أقرب الى الباب منه فسبقه اليه فَبَقي الخصى ساعة ينتفض من حمى ركبته ثم فاضت نفسه فلم يمس الا وهو في القبر •• قال وكان الجمّاز يتعشق جارية لآل جعفر يقال لها طغيان وكان لهم خصي يسمي سنانا يحفظها وكان يتعشق الجارية أيضاً وحال بينها وبين الجمّاز ومنعها من الدنو منه •• فقال الجمّاز

مالِلمَقيتِ سنانٌ وللظباء الملاَحِ

أليس زانٍ خصيٌّ فازَ بغير سلاحِ

••قيل ودخل معاوية بن أبي سفيان على امرأته ميسون بنت بجدل وهي أم ابنه يزيد ومعه خصى فاستترت منه فقال لم تستترين منه وانما هو بمنزلة المرأة فقالت كأنك ترى ان مُثلتك به تحلل له ماحرم الله عليه منى •• قيل وكان اسحاق بن مسلم العقيلى جالساً عند المنصور فمرّ خادم وضيء الوجه فقال ياأمير المؤمنين أى ولدك هذا قال ماهو لي بولد قال فأي إخوة أمير المؤمنين هذا قال ماهو لي بأخ قال فمن هو قال فلان الخادم •• قال يا أمير المؤمنين فشمّة هذا وضمته أحب اليها من شمتك وضمتك •• قال فداخل المنصور من ذلك أمرٌ عظيم حتى تغير وجهه وأمر بمنع الخدم من دخول دار النساء

محاسن العبيد

قال مر عبيد الله بن معمر بحبشى يأكل تمراً وبين يديه كلب فلما وضع فى فه لقمة رمي الي الكلب بلقمة وتمرة فقال له عبيد الله هذا الكلب لك قال لا قال فكيف

صرت تطعمه وأنت تأكل قال اني لأستحيي ذا عينين ان ينظر الي وأنا آكل فلا أطعمه قال له عبيد الله أأنت حر أم عبد قال عبد لبني غاضرة فأتاهم فقال لمن الحبشي قال صاحبه لي فقل بعه مني قال هو لك قال لا والله الا ان تأخذ ثمنه أو غلاما يكون محله فاشتراه ثم قال أشهدكم انه حر لوجه الله جل وعز .. قيل ومر عبد الله بن عمر براعٍ مملوك يرعى غنما فقال له بعني شاة من هذه الغنم فقال انها ليست لي فقال أين الملل فقال فأين الله جل وعز فاشتراه ابن عمر وأعتقه فقال اللهم قد رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الأكبر أو قل فلا تحرمني العتق الأكبر .. قال وكان لكثير عزة عبد راعٍ يتولى بيع غنمه فباع عزة وهو لايعرفها شيئاً من غنمه فقال يوما وهو يتقاضاها

قضى كلُّ ذي دين فوَفّى غريمهُ وعزّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمها

فقالت له امرأة أتعرف عزة قال لا قالت فهذه والله عزة فقال لا والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ورجع الى كثير فأخبره فأعتقه لما فعل

مساوي العبيد

محمد بن عبد الله بن عمر قال حدثني بعض الثقات ان رجلا من أهل السند من آل المهلّب بن أبي صُفرة اشترى غلاماً أسود فربّاه وتبنّاه فلما اشتد وترعرع هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته الى ذلك فدخل مولاه يوما على غفلة فاذا هو على بطن مولاته فعمد اليه فجبّ ذكره وتركه يتشحّط في دمه ثم انه أدركته عليه رِقّة وتخوّف من فعله فعالجه حتى أبلّ من علّته وخرج من مرضه فأقام بعد هذا مدة يطلب غِرة مولاه ليثأر به ويدبر عليه أمراً يكون فيه شفاء قلبه وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع فغاب الرجل عن منزله لبعض أموره فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما الى ذروة سطح عال ولعبهما وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى ان دخل مولاه فرفع رأسه فاذا هو بابنيه في شاهق فقال ويلك يافلان

عرضت ابني للموت فقال أجل وقد ترى موضعهما فوالله الذى لايحلف بأعظم منه لئن لم تجب نفسك كما جببتنى لأرمين بهما فقال ويلك الله الله فى تربيتى لك قال دع عنك هذا فوالله ماهي الا نفس واني لأسمح بها فى شربة من ماء قال فجعل يكرر عليه ويأبى وذهب ليروم الصعود اليهم فأهوى بهما ليرديهما من ذروة ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج المدية فأفعل ما أردت فأخذ مدية واستقبله ليرى مايصنع بنفسه فرمى بذكره وهو يراه فلما علم انه قد فعل رمى بالصبيين وقال ذاك بذا وهذا زيادة فتقطع الصبيان وأخذ ذلك الأسود وكتب بخبره الى المعتصم بالله فأمر بقتله وان يخرج من مملكته كل عبد أسود •• وعن حميد الطويل كان رجل له غلام فباعه وقال للمشترى انى أبرأ اليك من كل عيب به الا عيباً واحداً قال وما هو قال النميمة قال أنت بريء منه فانى لاأقبل قوله قال فما لبث الا قليلا حتى أتى السيد وقال ان امرأتك بغي وهي تريد ان تقتلك وتتزوج غيرك قال وما يدريك قال قد عرفت ذلك فتناوم عليها فانه سيظهر لك ماأقول وأتى المرأة فقال ان زوجك يريد أن يخلعك ويتزوج غيرك فهل لك أن أرقيك فيرجع اليك حبه قالت نعم ولك كذا وكذا قال آتيني بثلاث شعرات من تحت حنكه فلما دنت منه لتتناول الشعر قام اليها بالسيف ولم يشك فيما قاله الغلام فقتلها وجاء إخوة المرأة فقتلوا الزوج فذهبا جميعا بسوء صنيع عبدهما وقبولهما نميمته

﴿ومما قيل فيه من الشعر﴾

واذا ماجهلتَ ود صديقٍ فاختبرْ ماجهلتَ بالغلمانِ
ان وجهَ الغلامِ يخبرُ عما في ضميرالمولى منَ الكتمانِ

•• قال وكتب الطائي الى بعض اخوانه يسأله نبيذاً فأمر له بذلك ومنعه الغلام فقال

أبا جعفر وأصولُ الفتى تدلُّ عليه بأغصانه
أليسَ قبيح بأن امرأً رجاكَ لصالح أزمانه
فتأمرُ أنتَ باعطائهِ ويأمرُ فتح بحرمانهِ
ولستُ أحب الشريف الظريف يكون غلاماً لغلمانه

مساوي سوء معاملات الموالي لعبيدهم

•• قال وقال أبو العباس الموصلي كان لي جار فسمعت من داره استغاثة مضروبين فلما سألت عن الخبر قيل انه فقد دجاجة فكتبت أبياتا في رقعة وشددتها في رجل دجاجة وألقيتها في داره وضمنتها

يا ذا الذي من أجل فرّوجة أظهرَ للعالم أخلاقهْ
ألقى على الغلمان من أجلها بالضرب والتعذيب أوراقهْ
رفقاً قليلا بعقوباتهمْ فانهم لم يعقروا الناقهْ

•• قيل وقدم اعرابي مصراً من الأمصار فدخل سوق النخاسين ليبتاع جارية فصادف جارية قد أقيمت لتباع يبرأ فيها من الاباق والسرقة والسكر والفجور وقد تحاماها الناس فاشتراها وأبرأهم من عيوبها فقال له رجل ياعبد الله لقد اشتريت بمالك مالم يكن غيرك يأخذه بلا ثمن فقال انا لسنا نكره من مثلها ماتكرهون أما الاباق فوالله ان أدني ماء من مياهنا لعلى مسيرة خمس ولربما سرى الرجل الهادى من حيث ينزل فيصبح بحيث يرى فأنى لها بالاباق وأما السرق فما عسي ان تسرق شاة أو بعيراً أو قتبا أو حلساً وأما السكر فوالله مانقدر على ريها من الماء فكيف تصيب شراباً وأما الفجور فان لنا زنوجا يخدموننا فما نكره ان يقع عليها بعضهم فننتفع بولدها ثم عمد الى ثوبين مصبوغين كانا عليها فانتزعهما منها وقال مولاتك أحق بهما وألبسها مدرعة فبكت الجارية وقالت قد كانت مولاتي تدعو علي وتقول باعك الله في الاعراب فقال لا انا نجيع كبده ونعري جلده ونطيل كده

محاسن مطالبة المعلمين بالتعليم

قيل كان الرشيد جعل محمداً الأمين في حجر الفضل بن يحيي وعبد الله في حجر جعفر بن يحيي فقال الفضل بن يحيي لهشيم بن بشير الواسطي ليكون أكثر ماتأخذ به

ولي العهد لعظيم الدماء فاني أحب ان يشرب الله قلبه الهيبة لها والعفاف عن سفكها ثم ان الرشيد أرسل الى الأحمر النحوى فلما دخل عليه قال يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفســه وثمرة قلبه وصــير يدك عليه مبسوطة ومقالتك فيه مصــدقة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن وعلمه الآثار والاخبار والسنن وروّه الأشعار وبصّرهُ مواقع الكلام ومُرْه بالرزانة فى مجالسه والاقتصاد فى نظره وسمعه فلا تمرّنّ بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيــده إياها وكلمة نافعة يعيها ويحفظها من غير ان تخرق به فتميت ذهنه وتمله ولا تمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه بالتقريب والملاينة فان أبى فالشدة قال الأحمر فكنت كثيراً ماأشدد عليه فى التأديب وامنعــه الساعات التي يتفرغ فيها للهو واللعب فشكا ذلك الى خالصة فأتتنى برسالة من أم جعفر تعزم عليّ بالكف عنه وان أجعل له وقتاً أجمهُ فيه لتوديع بدنه فقلت الأمير قد عظم قدره وبعد صوته ومموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لايحتملان التقصير ولا يُقبل منه الخطل ولا يُرضى منه بالزلل فى المنطق والجهــل بشرائع الدين والعمى عن الأمور التى فيها قوام السلطان وإحكام السياسة قالت صدقت غير انها والدة لاتملك نفسها ولا تقدر على كف اشفاقها وحذرها ومع حذرها أمر ان شئت حدثتك به فقلت وما ذاك قالت حدثتنى الســيدة انها رأت في الليلة التى حملت فيها به كأن ثلاث نسوة دخلن عليها فقعدن منهن ثنتان واحدة عن يمينها وواحدة عن يسارها فأمرّت إحدى الثلاث يدها على بطنها ثم قالت ملك ربحل عظيم البذل ثقيــل الحمل سريع الأمر وقالت الثانية ملك قصير العمر سليم الصــدر منهتك الستر وقالت الثالثة ملك قصّاف عظيم الاتلاف يسير الخلاف قليــل الانصاف فانتبهت وأنا فزعة فلم أحس لهن أثراً حتى كانت الليلة التى وضعته فيها أتيننى فى الخلق الذى رأيتهن فقعدن عند رأسه واطلعن جميعاً فى وجهه ثم قالت واحدة منهن شجرة نضرة وريحانة جنية وروضة زاهرة وعين غدقة قليل لبثها عجل ذهابها وقالت الثانيــة سفيه غارم وطالب للمغارم جسور على المخاصم وقالت الثالثة احفروا قبره وشقوا لحده وقــربوا أكفانه وأعــدوا جهازه فان موته خــير له من حياته قالت فبقيت متحيرة

وبعثت الى المنجمين والمعبرين ومن يزجرُ الطير فكل يبشرني بطول عمره ويعدني ببقائه وسعادته وقلبي يأبى الا الحذر عليه والتهمة لما رأيت في منامي وبكت خالصة وقالت يا أحمر وهل يدفع الاشفاق والحذر والاحتراق واقع القدر أو يقدر أحد على ان يدفع عن أحبائه الاجل قلت صدقت ان القضاء لايدفعه شيء ثم كان من أمره ماكان ثم اتخذ الرشيد قُطرُباً النحوى على الأمين وكان حماد عجرد يتعشق الأمين ويطمع فيه ان يتخذه عليه مؤدباً فلم يتهيأ له ذلك لتهتكه وقبيح ذكره في الناس وقد كان رام ذلك فلم يجب اليه فلما سمع ان قُطرباً قد استوى أمره وأجيب الى ذلك لستره وعفافه أخذ حماد المقيم والمقعد حسداً على ماناله قطرب من ذلك وبلغه من المنزلة الرفيعة والدرجة السنية وأخذ رقعة وكتب فيها أبياتا ودفعها الى بعض الخدم الذين يقومون على رأس الرشيد وجعل له على ذلك جُعلا وسأله أن يودع الرقعة دواة أمير المؤمنين ففعل فما كان بأسرع من ان دعا الرشيد بالدواة فاذا فيها رقعة فيها هذه الأبيات

قل للامام جزاكَ الله مغفرةً ... لاتجمع الدهرَ بين السخل والذيب
السخلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ غفلتهُ ... والذئبُ يعلم مابالسخل من طيبِ

.. فلما قرأ الرشيد الرقعة قال انظروا أن لايكون هذا المعلم لوطياً انفوه من الدار فأخرجوه عن تأديب الأمين واتخذ عليه حماداً .. وكان عليه رقباء سبعين أو ثمانين .. قال ولما وُسم قطرب بهذه السمة القبيحة خاف ان يلحقه بعض مايكره فهرب الى الكرج وتوسل الى أبي دُلف ومعقل ببراعة الأدب فلما عرفا غزارة فهمه ووقفا على معرفته اصطفياه لأنفسهما وأحلاه محلاً رفيعاً وقدماه على جميع أهل الأدب وأرغدا له في العطية فلما رأى قطرب برهما به وإلطافهما به رغب في المقام بالكرج وأثرى وكثر ماله فيقال ان أصل هذه الآداب التي وقعت بالكرج الى أبي دلف ومعقل من علم قطرب وتصنيفه الكتب وان المأمون سأل أبا دلف من خلفت بالجبل منسوبا الى الأدب قال ماخلفت غير قطرب فقال المأمون صدقت ان لقطرب لمحلا من هذا الشأن .. وعن أبي محمد اليزيدي قال كنت أؤدب المأمون وهو

فى حجر سعيد الجوهرى فأتيته يوماً وهو داخل فوجهت اليــه بعض غلمانه يعلمه بموضعي فأبطأ على ثم وجهت اليــه آخر فأبطأ فقلت لسعيد ان هــذا الفتى ربما تأخر وتشاغل بالبطالة قال أجل ومع هذا اذا تأخر تمرّم على خدمه ولقوا منه أذى فقوّمه بالأدب فلما خرج أمرت بحمله وضربته تسع درر قال فانه ليدلك عينه من أثر البكاء إذ أقبل جعفر بن يحيي فاستأذن وأخذ منديلاً فمسح عينيه وجمع ثيابه وقام الى فراشه وقعد عليه متربعاً ثم قال يدخل فدخل وقت من المجلس وخفت أن يشكوني اليه فألقى منه ما أكره قال فأقبل عليه بوجهه وحديثه حتى أضحكه وضحك فلما هم بالحركة دعا بدابته وأمر غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت فقال خذ مابقى من حزنى فقلت أيها الأمير لقــد خفت أن تشكوني الى جعفر ولو فعلت ذلك لتنكّر لي قال إنّا لله أتراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد في هذه فكيف جعفر أطلعه على أنّي أحتاج الى أدب يغفر الله لك خذ في أمرك فقد خطر ببالك مالا تراه أبداً ولو عدت في كل يوم مرة • • وكان لسعيد الجوهرى غلام قد لز بالمأمون فى الكتاب فكان اذا احتاج المأمون الى محو لوحه بادر اليــه فأخذ اللوح من يده فمحاه وغلب على غلمان المأمون ومسحه وجاء به فوضعه على المنديل فى حجره فلما سار المأمون الى خراسان وكان من أخيه ما كان خرج اليه غلام سعيد فوقف بالباب حتى جاء أبو محمد اليزيدى فلما رآه عرفه فدخل فأخبر المأمون فقال له مستبشراً بقدومه لك البشرى ثم أذن له فدخل عليه فضحك اليــه حين رآه ثم قال أتذكر وأنت تبادر الى محو لوحي قال نعم يا سيدى فوصله بخمسمائة ألف درهم ثم اتخذ الرشــيد الحسن اللؤلؤي بعد أبي محمــد اليزيدى على المأمون فبينا هو يطارحه شيئاً من الفقه إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤى نمت أيها الأمــير فقال المأمون سوقي ورب الكعبة خذوا بيده فبلغ الرشــيد ما صنع فقال متمثلا

وهل يُنبتُ الخطّيّ إلاّ وشيجه وتغرس إلاّ في منابتها النخلُ

محاسن المعلمين

قال شهد رجل عند سوّار القاضي فقال ما صناعتك قال مُعلم قال فأنا لا أجيز شهادتك قال ولم قال لانك تأخذ على التعليم أجراً قال وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً قال أكرهت عليه قال فهبك أكرهت على القضاء فمن أكرهك على أخذك الأجر والرزق على الله فقال هلم شهادتك وأجازها •• قال وكان لشريح القاضي ابن يكثر البطالة فنظر اليه شريح يوماً وهو يُهارش بكلاب له فكتب معه رقعة الي معلمه وفيها هذه الابيات

ترك الرواح لأكلاب يسعى بها ... طلبَ الهراشَ مع الغواةِ الرجسِ

فاذا أتاك فعضّه بملامةٍ ... وعظه موعظةَ الرفيقِ الأكيس

فاذا هممت بضربة فبدرّة ... واذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس

وليحملن مني اليك صحيفة ... نكراء مثل صحيفة المتلمس

واعلم بأنك ما أتيت فنفسه ... مع ما يُجرعني أعزّ الأنفس

فضربه المعلم عشرا وعشرا فقال له شريح لم ثنيت عليه الضرب فقال العشر الأولى للبطالة والثانية للبلادة حيث لا يدرى ما يحمل

مساوى المعلمين

قيل كان معلم يصلي بالناس فى شهر رمضان وكان يقف على مالا يوقف عليه فقرأ واتبعوا ما تتلو الش ثم قال الله أكبر فركع ثم قام فى الثانية فقلت ما تراه يصنع فلما قال ولا الضالين فقال ياطين على ملك سليمان •• قال وسمعت معلماً يقرأ بالناس فى شهر رمضان وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً •• وقال بعضهم الله جل وعز أعان على هرامة الصبيان برقاعة المعلمين •• وقال فيهم بعض الشعراء

وهل يستفيد العقل من كان دهره يروح على أنق ويغدو على طفل

•• وقال آخر

اذا كنت ورّاقاً فأنت محارف وحسبك نوكا أن تكون معلما

محاسن السؤال

قال الجاحظ سمعت شيخاً من المكدين وقد التقى مع شاب منهم قريب العهد بالصناعة فسأله الشيخ عن حاله فقال لعن الله الكدية ولعن أصحابها من صناعة ما أخسها وأقلها انها ما علمت تخلق الوجه وتضع من الرجال وهل رأيت مكديا أفلح قال فرأيت الشيخ قد غضب والتفت اليه فقال ياهذا أقلل من الكلام فقد أكثرت مثلك لا يفلح لانك محروم ولم تستحكم بعد وان للكدية رجالا فما لك ولهذا الكلام ثم التفت فقال اسمعوا بالله يجيئنا كل نبطي قرنان وكل حائك صفعان وكل ضراط كشحان يتكلم سبعاً في ثمان اذا لم يصب أحدهم يوماً شيئاً ثلب الصناعة ووقع فيها أو ما علمت أن الكدية صناعة شريفة وهي محببة لذيذة صاحبها في نعيم لا ينفد فهو على بريد الدنيا ومساحة الأرض وخليفة ذي القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب حيث ما حل لا يخاف البؤس يسير حيث شاء يأخذ أطايب كل بلدة فهو أيام النرسيان والهيرون بالكوفة ووقت الشبوط وقصب السكر بالبصرة ووقت البرني والأزاذ والرازقي والرمان المرمر ببغداد وأيام التين والجوز الرطب بحلوان ووقت الموز والرطب والسختيان والطبرزد بالجبل يأكل طيبات الأرض فهو رخي البال حسن الحال لا يغتم لأهل ولا مال ولا دار ولا عقار حيث ما حل فعلفه طبلي أما والله لقد رأيتني وقد دخلت بعض بلدان الجبل ووقفت في مسجدها الأعظم وعليّ فوطة قد اتزرت بها وتعممت بحبل من ليف وبيدي عكازة من خشب الدفلى وقد اجتمع اليّ عالم من الناس كأني الحجاج بن يوسف على منبره وأنا أقول ياقوم رجل من أهل الشام ثم من بلد يقال لها المصيصة من أبناء الغزاة والمرابطين في سبيل الله من أبناء الركاضة وحرسة الاسلام غزوت مع والدي أربع

عشرة غزوة سبعاً في البحر وسبعاً في البر وغزوت مع الأرمنى قولوا رحم الله أبا الحسن ومع عمر بن عبيد الله قولوا رحم الله أبا حفص وغزوت مع البطال بن الحسين والبرداق بن مدرك وحمدان بن أبي قطيفة وآخر من غزوت معه يازمان الخادم ودخلت قسطنطينية وصليت في مسجد مَسلمة بن عبد الملك من سمع باسمي فقد سمع ومن لم يسمع فأنا أعرّفه نفسي أنا ابن الغُزَيل بن الركان المصيصي المعروف المشهور في جميع الثغور والضارب بالسيف والطاعن بالرمح سدّ من أسداد الاسلام نازل الملك على باب طرسوس فقتل الذرارى وسبى النساء وأُخذ لنا ابنان وحُملوا الى بلاد الروم فخرجت هارباً على وجهى ومعي كَنَبٌ من التُجّار فقُطع علىّ وقد استجرت بالله ثم بكم فان رأيتم أن تَرُدوا ركناً من أركان الاسلام الى وطنه وبلده فوالله ما أتممتُ الكلام حتى انهالَتْ علىّ الدراهم من كل جانب وانصرفت ومعي أكثر من مائة درهم فوثب اليه الشاب وقبّل رأسه وقال أنت والله معلم الخير فجزاك الله عن اخوانك خيراً

أصناف المكدين وأفعالهم

منهم المكيّ وهو الذى يأتيك وعليه سراويل واسع دَبيقىّ أو نرسيّ وفيه تِكة أرمنيّة قد شدها الى عنقه فيأتى المسجد فيقول أنا من مدينة مصر ابن فلان التاجر وجهّنى أبى الى مرْوَ فى تجارةٍ ومعي متاع بعشرة آلاف درهم فقُطع علىّ الطريق وتركتُ على هذه الحال ولست أحسن صناعة ولا معى بضاعة وأنا ابن نعمة وقد بقيت .. ومنهم السحرى الذى يبكّر الى المساجد من قبل أن يؤذّن المؤذّن .. والشجوى الذى كان يؤثّر في يده اليمنى ورجليه حتى يُرى الناس انه كان مقيداً مغلولاً ويأخذ بيده تكة فينسجها يوهمك انه من الخلدية وقد حُبس في المطبق خمسين سنة .. ومنهم الدرارحي الذى يأخذ الذراريح فيشدها في موضع من جسده من أول الليل ويبيت عليه ليلته حتى يتدفط فيخرج بالغداة عريان وقد تنفّط ذلك الموضع وصار فيه القيح الأصفر ويصب على ظهره قليل رماد فيوهم الناس انه محترق .. ومنهم الحاجور وهو

الذي يأخذ الحلقوم مع الرئة فيدخل الحلقوم في دبره ويشرّح الرئة على فخذه تشريحاً رقيقاً ويذر عليه دم الأخوين •• ومنهم الخاقاني الذي يحتال في وجهه حتى يجعله مثل وجه خاقان ملك الترك ويسوّده بالصبر والمداد ويوهمك انه ورم وزكيم للمغلطة •• ومنهم السكوت الذي يوهمك انه لا يحسن أن يتكلم •• ومنهم الكان وهو الذي يواضع القاص من أول الليل على أن يعطيه النصف أو الثلث فيتركه حتى اذا فرغ من الأخذ لنفسه اندفع هو فتكلم •• ومنهـم المفلفل الرفيقان يترافقان فاذا دخلا مدينة قصـدا أنبل مسجد فيها فيقوم أحدهم في أول الصف فاذا سـلّم الامام صاح الذي في آخر الصف بالذي في أول الصف يا فلان قل لهم فيقول الآخر قل لهـم أنت أنا أيش فيقول قل ويحك ولا تستح فلا يزالون كذلك وقد عَلّقا قلوب الناس ينتظرون مايكون منهـما فاذا علما انهـما قد علّقا القلوب تكلما بحوائجهما وقالا نحن شريكان وكان معنا أحمال بَزٍّ كُنّا حملناها من فُسطاط مصر نريد العراق فقطع علينا وقد بَقينا على هذه الحال لا نحسن أن نسأل وليست هذه صناعتنا فيوهمان الناس انهما قد ماتا من الحياء •• ومنهم زُكيم الحبشة الذى يأتيك وعليـه دُرّاعة صوف مضرّبة مشقوقة من خَلف وقدّام وعليه خُفّ تغري بلا سراويل يتشبه بالغُزاة •• ومنهـم زُكيم المرحومة المكافيف يجتمعون خمسة وستة وأقل وأكثر وقائدهم يبصر أدنى شئ عينه مثل عين الخفّاش يقال له الاسـطيل فهو يدعو وهم يؤمنون •• ومنهم الكاغاني الذى يتجنن أو يتصارع ويزبد حتى لا يشك أحد في جنونه وانه لا دواء له لشدّة ما ينزل به •• ومنهم القرسي وهو الذى يعصب ساقيه أو ذراعيه عصباً شديداً ويبيت على ذلك ليلة فاذا تورّم واحتقن فيه الدم مسحه بشئ من صابون ودم الأخوين وقطر عليه من سمن البقر وأطبق عليه خرقة ثم كشف بعضه فلا يشك من رآه انه أكِلة نعوذ بالله منها •• ومنهـم المشعّب الذى يحتال للصبي حين يولد بأن يُزمنـه أو يُعميه ليسأل به الناس وربما جاءت أمه أو يجيء أبوه فيتولى ذلك فإما أن يكسبا به أو يكرياه فان كان عندهما ثقة وإلاّ أقام بالأولاد والأجرة كفيلا •• ومنهـم الفيلوّر وهو الذى يحتال لخصـيتيه حتى يُريَك انه آدر وربما أراك ان بها شرطاً أو جرحاً وربما أراك ذلك في دبره وتفعل المرأة ذلك بفرجها

.. ومنهم الكاغان الغلام المكدي اذا واجر وعليه مسحة من جمال وعمل المملين جميعاً والعوّاء الذى يسأل بين المغرب والعشاء ويطرب في صوته .. ومنهم الاسطيل وهو المتعامي الذى ان شاء اراك انه أعمي وان شاء أراك انه ممن نزل في عينه الماء وان شاء أراك انه لا يبصر .. ومنهم المزيدى وهو الذى يدور ومعه دريهمات يقول هذه دريهمات قد جُمعت لي فى ثمن قطيفة فزيدونى فيها رحمكم الله .. ومنهم المستعرض الذى يعارضك وهو ذو هيئة فى ثياب صالحة يريك انه يستحيي من المسئلة ويخاف أن يراه معرفة فيعرض لك اعتراضاً ويكلمك تخفتاً .. ومنهم المطيّن وهو الذى يطيّن نفسه من قرنه الي قدمه ويأخذ البلاذر يريك انه يأكل البلاذر

ومن نوادرهم

قيل انه أتى سائل داراً يسئل منها فأشرفت عليه امرأة من الغرفة فقال لها يا أمة الله أن تصدقى علىّ بشيء قالت أى شيء تريد قال درهماً قالت ليس قال فدانقاً قالت ليس قال ففلساً قالت ليس قال فكسوة قالت ليس قال فكفاً من دقيق قالت ليس قال فزيت حتى عد كل شيء يكون فى البيوت وهي تقول ليس فقال لها يا زانية فما يُجلسك مُرّى تصدقى مي .. قال الأصمعي وقفت على سائل بالمربد وهو يقول

* قَدْ رَهنْتُ القِصَاعَ مِنْ شهوَةِ الخُبزِ *

فقلت له أتعمه فقال أتمه أنت فقلت

* فمن لي بمَنْ يَفُكُّ القِصَاعَا *

فقال اضمم اليه بيتاً فقلت

مارهنتُ القِصاعَ ياقَوْمِ حتى خِفتُ واللهِ أن أموت ضياعا

فقال أنت والله أحوج الى المسئلة وأحق بها مني .. ولأبي فرعون الاعرابي السائل

وصبيةٍ مثلِ صِغار الذَّرِّ سُود الوجوه كسواد القِدرِ
كلُّهمُ مُلتزق بصدري حتى اذا لاح عمودُ الفجر

ولاحت الشمس خرجت أسري | أسبقهم الى أصول الجدر
ألا فتى يحمل عني إصري | هذا جميع قصتي وأمري
فاسمع مقالي وتوق شري | فأنت أنت بغيتي وذخري
كنيت نفسي كنية في شعري | أنا أبو الفقر وأم الفقر

قال قال الأصمعي رأيت سائلاً وقد تعلق بأستار الكعبة من بني تميم وهو يقول

أيارب رب الناس والمن والهدى | أما لي في هذا الأنام قسيم
أما تستحي مني وقد قمت عارياً | أناجيك يا ربي وأنت كريم
أترزق أبناء العلوج وقد عصوا | وتترك قرماً من قروم تميم

قال ورأيت رجلا آخر من الاعراب وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول

يارب إني سائل كما ترى | مشتمل شميلتي كما ترى
وشيختي جالسة فيما ترى | والبطن مني جائع كما ترى

* فما ترى يا ربنا فيما ترى *

.. قال وأتى سائل من الاعراب الى بني عبد العزيز بن مروان فقال أتت علينا سنون لم تبق زرعاً حصيداً ولا مالاً تليداً إلا اجتاحته بزوبره واصله وأنتم أئمة أملي وقصد ثقتي فلم يعطوه شيئاً فقال

بنو عبد العزيز اذا أرادوا | سماحاً لم يلق بهم السماح
لهم عن كل مكرمة حجاب | فقد تركوا المكارم واستراحوا

قال ومن سائل منهم برجل يكنى أبا الغمر ضخم عريض وكان بواباً لبعض الملوك فقال له أعن المسكين الضعيف الفقير المحتاج فقال ما ألحف جائعكم وأكثر سائلكم أراحنا الله منكم فقال السائل اسكت فوالله لو فرق قوت جسمك في عشرة أجسام منا لكفانا طعامك ليوم شهراً وإنك لنبيه الضرطة لو ذرى بها بيدر لكفته الريح عظيم السلحة لو ضربت لبنا لكفت سوراً .. قال وقال اعرابي وهو يسأل رحم الله من أعطي من فضل وآثر من قلة وواسى من كفاف .. قيل ودخل رجل منهم على هشام بن عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين أتتنا سنون ثلاث فأما الأولى فأذابت الشحم وأما

الثانية فأمحضت اللحم وأما الثالثة فهاضت العظم وعندك أموال فان كانت لله جل وعز فبثها في عباد الله وان كانت لهم ففيم تحبسها عنهم وان كانت لك فتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ٠٠ قال ودخل أزهر السمان على المنصور فشكا اليه الحاجة وسوء الحال فأمر له بألف درهم وقال يا أزهر لا تأتنا في حاجة أبداً قال افعل يا أمير المؤمنين فلما كان بعد قليل عاد فقال له يا أزهر ماجاء بك قال جئت لأدعو لأمير المؤمنين قال بل أتيتنا لمثل ما أتيت به فى المرة الاولى فأمر له بألف درهم وقال يا أزهر لا تأتنا ثالثة فلا حاجة لنا فى دعائك قال نعم ثم لم يلبث ان عاد فقال يا أزهر ما جاء بك قال دعاء كنت سمعته منك أحب أن آخذه عنك فقال لا ترده فانه غير مستجاب وقد دعوت به الله جل وعز أن يريحنى من خلقتك فلم يفعل ٠٠ وممن سأل الخلفاء أيضاً ربيعة بن ربيعة ذكروا انه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال يا أمير المؤمنين زوجني بعض بناتك فقال قد شغلناهن بأكفائهن قال فولني شرطة البصرة قال قد وليتها من كفانا قال فهب لي قطيفة قال أما هذا فنعم ٠٠ ومنهم أبو دلامة دخل على المنصور فقال يا أمير المؤمنين تأمر لي بكلب صيد قال اعطوه قال كلب بلا صقر قال اعطوه صقراً قال كلب وصقر بلا بازيان قال اعطوه غلاماً بازياراً قال فلا بد لهم من دار قال اعطوه داراً قال فمن أي شئ يعيشون قال قد أقطعتك أربعمائة جريب منها مائتا جريب عامر ومائتان غامر قال وما الغامر قال الخراب قال فأنا أقطعتك أربعة آلاف جريب بالدهناء غامرة قال فقد جعلتها كلها عامرة فهل بقى لك شئ قال نعم تدعنى أقبل يدك قال ليس الى ذلك سبيل فقال ما منعتنى شيئاً أهون على عيالي من هذا ٠٠ قال وبعث المنصور الى زياد بن عبد الله مالاً وأمره أن يفرقه فى القواعد والأيتام والعميان فدخل اليه أبو حمزة الرقى فقال أصلح الله أمير المؤمنين قد بلغنى الكبر فاكتبنى في القاعدين قال يغفر الله لك انما القواعد النساء اللواتي قعدن عن الأزواج قال فاكتبني فى العميان فان الله جل ذكره يقول (فانها لا تعمى الأبصارُ ولكن تَعمَى القلوب التى فى الصدور) وأنا أشهد ان قلبي أعمى وأكتب ولدى فى الأيتام فان من كنتُ أباه فهو يتيم قال اكتبوه فى العميان واكتبوا ولده فى الأيتام ٠٠ قال وقالت اعرابية لحاتم بن عبدالله

الط فى أتيتك من بلاد نائية شاسعة تخفضنى خافضة وترفعنى رافعة لملمات من الأمور نزلن بى فبرين عظمى وأذهبن لحمي فتركننى بالجريض قد ضاق بي البلد العريض لم يتركن لى سبدا ولم يبقين لي لبدا غاب الوالد وهلك الرافد وأنا امرأة من هوازن أقبلت فى أفناء من العرب أسأل عن المرجو نائله والمحمود سائله والمأمون جانبه فقيل لي أنت فاصنع بي إحدى ثلاث إما أن تحسن صفدي أو تقيم أودي أو تردني الى بلدي فقال أجمعهن لك ورحباً ففعل بها ذلك كله .. قال وجاءت اعرابية تسئل فقالت يا قوم طرائد زمان وفرائس نازلة ولحمان وضم نبذتنا الرجال وأسلمتنا الحال وأطمعنا السؤال فهل من مكتسب للأجر أو راغب فى الذخر .. وسأل اعرابي فقال سنة جردت وحال جهدت وأيد خمدت فرحم الله من رحم وأقرض من لا يظلم .. وسأل اعرابي فقال أين الوجوه الواضحات الصباح والعقول الراجحات الصحاح والصدور الرحاب السماح والمكارم الثقينة الرباح .. وسأل اعرابي فقال رحم الله امرأ لم تمج أذنه كلامي وقدم لمعاذه من سوء مقامي فان البلاد مجدبة والحال مسغبة والحياء زاجر ينهي عن كلامكم والفقر عاذر يدعو الى إخباركم فرحم الله امرأ واسى بمير أو دعا بخير فقال رجل ممن يا اعرابي فقال أخ فى كتاب الله وجار في بلاد الله وطالب خير من رزق الله .. وسأل آخر فقال نقص الكيل وعجفت الخيل وقل النيل فهل من رحيم أجره لله فانه لا غنى عن الله لقوله جل وعز (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً) لم يستقرض ربنا جل وعز من عدم ولكن ليبلو ويختبر .. وسأل آخر فقال إنى رجل من مدينة الرسول عليه وعلى آله السلام مشيت حتى انتعلت الدم فرحم الله من حمانى على نعلين فكأنما حملني على ناقتين فلا قليل من الأجر ولا غنى من الله جل وعز .. وقيل لسائل اعرابي أين منزلك قال مالي منزل انما اشتمل الليل اذا عسعس وأظهر بالنهار اذا تنفس

مساوى الثقلاء

قال بُختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فإنا نجدُ فى كتب الطب أن مجالسة الثقيل حُمّى الروح •• وقال بعضهم سخنة العين النظر بها الى الثقلاء •• قال ونقش رجل على خاتمه أبرَمْتَ فقُمْ فكان اذا جلس اليه الثقيل ناوله إيّاه •• قيل ودخل أبو حنيفة على الأعمش يوماً فأطال جلوسه فقال لعلي قد ثقلت عليك قال وإني لأستثقلك وأنت فى منزلك فكيف وأنت عندى •• قيل واجتمع أصحاب الحديث عند شَريك بن عبد الله فتبرّم بهم وأضجروه فصاح بهم وفرقهم فلم يبرحوا فقال بعضهم أنا أطردهم عنك قال ام واطرد معهم •• قيل وأتى رجل ابن المقفع فى حاجة فلم يصل اليه وكان مستثقلا له فكتب بيتاً فى رقعةٍ وأرسل به اليه

هل لِذِى حاجةٍ اليك سبيلُ وقليلٌ تلَبّى لا كثيرُ

فوقع اليه

أنت ياصاحبَ الكتاب ثقيلُ وقليلٌ من الثقيلِ كثيرُ

فأجابه الرجل

قد بدأتَ الجواب منك بفُحش أنت بالفُحش والبذاء جديرُ

فضحك وقضى حاجته •• قال وكتب اعرابى الي حماد الراوية المعروف بعجرد وكان حماد يستثقله

إنّ لى حاجة فرأيك فيها لك نفسي الفدا من الأوصابِ
وهي ليست مما يُبلِغُها غيري ولا أستطيعها فى كتابِ
غير أنى أقولها حين ألقا كَ رُوَيداً أسرها باكتئابِ

فكتب اليه اكتب بالحاجة ياثقيل فكتب

إنّي عاشقٌ لجُبّتكَ الدكناء عشقاً قدحال دون الشرابِ
فاكسُنيها فدَتكَ نفسي وأهلي أتعزّى بها على أصحابي
ولك الله والأمانةُ إني أجعلنها عُمري أميرَ ثيابي

•• وقد قيل اذا علم الثقيل انه ثقيل فليس بثقيل •• ومما قيل فيهم من الشعر

سألتكَ بالله إلاّ صدقتَ وعلمي بأنك لا تصدِقُ
أتبغض نفسك من بُغضِها وإلاّ فأنت اذاً أحمقُ

•• ولآخر

قُلْ للبغيض أخي البغيـ ـض ابن البغيض ابن البغيضه
أنت الذى حمَلَتكَ أُ مّك بين فاحشةٍ وحيضه
ضاقَتْ على الثقَلَين مِنْ بغضائك الأرضُ العريضه
ودعَتْ ملائكةُ السما ء عليكَ دعوى مستفيضه

•• ولآخر

يا مَنْ تبرّمَتِ الدنيا بطلعته كما تبرّمَتِ الأجفانُ بالسّهَدِ
يمشى على الأرض مجتازاً فأحسبه من بُغض طلعته يمشي على كبدى

•• آخر

شخصك فى مُقلة النديم أثقل من رِعيَةِ النجوم
يا رائحاً روحةً علينا أثقلَ من سبّةِ اللئيم
إني لأرجو بما أقاسي منك خلاصاً من الجحيم

•• ولآخر

يا مُفْرِغاً فى قالب البُغضِ بُغضُكَ يشكوك الى بُغضِ
كأنما تمشى على ناظرى اذا تخطأتَ على الأرضِ

•• ولآخر

يا من له حركاتٌ على النفوس ثقيله
وليس يعرفُ معنى قصيرةٍ من طويله
أورثتنى بجاوُسى اليك حُمّى مليله
فاصفح لنفسك عنّي فإنّ كفّي عليله

•• ولآخر

أيا مَنْ أعرَضَ الربُّ عن العالَم من بُغضه
ومن عاذ مليك الموْ تِ بالرحمن من قبضه
ويامن بُغضُهُ يشم ـــهُ بالبغض على بُغضه

مساوى الحمق

قيل فى المثل هو أحمق من عِجْل ٠٠ هو عجل بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل وذلك انه قيل له ما سميت فرسك ففقأ عينه وقال الأعور أو قال سميته أعور وقال الشاعر فيه وفى قومه

رَمتنى بنو عجلٍ بداء أبيهمُ وأى امرىءٍ فى الناس أحمق من عجلِ
أليس أبوهُمْ عارَ عَينَ جوادِهِ فصارت به الأمثال تُضرب فى الجهلِ

٠٠ ويقال هو أحمق من هبنّقة وبلغ من حمقه انه ضل له بعير فجعل ينادي من وجد البعير فهو له فقيل له فلِمَ تنشده قال وأين حلاوة الوجدان ٠٠ واختصمتْ اليه بنو الطفاوة وبنو راسبٍ في رجل ادّعاه هؤلاء وهؤلاء فقالت الطفاوة هذا من عرافتنا وقالت بنو راسب هــذا من عرافتنا ثم قالوا قد رضينا بأول طالع علينا فطلع عليهم هبنّقة فلما رأوه قالوا إنّا لله من طلع علينا فلما دنوا قصوا عليه قصتهم فقال هبنّقة الحكم فى هذا بين يُذهب به الى نهر البصرة فيلقى فيــه فان كان راسبياً رَسَبَ وان كان طفاوياً طفا فقال الرجــل لا أريد أن أكون من أحد هــذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان ٠٠ وكان هبنّقة يرعي غنم أهله فيرعي السمان فى العشب وينحي المهازيل عنــه فقيل له ويحك ماتصنع فقال أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله أو قال لا أفسد ما أصلح الله ولا أصلح ما أفسد الله ٠٠ وقال الشاعر

عِشْ بجدٍّ فلن يضرَّكَ نوكٌ انما عَيْشُ مَنْ ترى بالجدودِ
عِشْ بجدٍّ وكُنْ هبنّقةَ القيـــسى نوكا أو شيبةَ بنَ الوليدِ

رُبَّ ذي إربةٍ مُقِلٍّ من الما ... لِ وذي عُنجُهيّةٍ مجدُودِ

وكان شيبة من عقلاء العرب •• وقيل أيضاً هو أحمق من دُغَة وهي مارية بنت مغنج تزوّجت في بني العنبر وهي صغيرة فلما أصابها المخاضُ ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تبرّز فصاح الولد فجاءت منصرفة فقالت يا أمه هل يفتح الجعر فاه قالت نعم يدعو أباه فسبّت بنو العنبر بذلك فقالوا لهم بنو الجعراء •• وقيل أيضاً هو أحمق من الممهورة إحدى خدَمَتيها وهي امرأة أخذها رجل ليفجر بها فقالت لا أمكنك من نفسي حتى تمهرني فقال قد مهرتك إحدى خدمتيك وهما خلخالاها فرضيت ومكنتهُ من نفسها •• وقيل هو أحمق من جهيزة وهي عرس الذئب لانها تدع ولدها وترضع ولد الضبُع ••وقال الكُميت

كما خامرَت في حِضنها أم عامرٍ ... لذى الحبل حتى عال أوسٌ عيالها

ـ أوس ـ هو الذئب ••وقيل هو أحمق من نعامة لانها تدع الحضن على بيضها وتحضن بيض نعامة أخرى •• وقال ابن هرمة

فإني وتركى ندى الأكرمين ... وقدحي بكفّي زناداً شحاحا

كتاركةٍ بيضَها بالعَراء ... ومُلبسةٍ بيض أخرى جناحا

••وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزاً بأحد عشر درهماً فقالوا له بكَم اشتريت العنز ففتح كفّيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهماً فعيروه بذلك وقيل ان الذى اشتراه ظبي فلما فتح أصابعه أفلت الظبي •• وقالوا فى باقل

يلومون فى حُمقه باقلاً ... كأنَّ الحماقة لم تُخلَقِ

ولا تُكثروا العذل فى عيّه ... فللعيُّ أجملُ بالأموَقِ

خروج اللسان وفتح البنان ... أحب الينا من المنطِقِ

••قيل وقدم وفدٌ من العراق على سليمان بن عبد الملك فقضوا حوائجهم وانصرفوا فقال رجل منهم بلغني ان أمير المؤمنين يبرز للعامة فأنا أقيم بعدكم يوماً أو يومين فلعلى ان أراه وأسمع كلامه ثم أنبئكم فلما كان الغد برز سليمان للناس وجلس على سريره وأذن للعامة فدخلوا وفيهم العراقى فجلس فى سماط سليمان الى جنب رجل أحمق من أهل

الشام فقال له الأحمق ممن الرجل قال أنا من أهـل العراق قال فعل الله بك وفعل وجعل يشتمه ويذكر أباه وعرضه وقال مثلك يقعد في بساط أمير المؤمنـين والعراقى يناشده الله ويسأله أن يكف عنه فيأبى الى ان قال سليمان أيكم يخبرني من الذى يقول

أنخن القرونَ فَعَقلُنها كمعطف المسيب عراجين ميلا

ويفسر لنا قوله فله جارية برحالنها والشامي مقبل على العراقى لايفتر عن شتمه ويقول ياجاسوس فقال له كف عني فاني أنفعك قال وهل معك خير قال نعم قم فقل لأمير المؤمنين أنا أعرف من قال هذا وأفسره فاذا قال من قاله فقل امرؤ القيس فاذا قال ماعنى به فقل البطيخ فقال الشامي ياأمير المؤمنين أنا أعرف من قال هذا وأفسره فقال هات قال امرؤ القيس فتبسم سليمان وقال فما عنى به قال البطيخ فضحك سليمان حتى استلقى على فراشه ثم قال ويحك عمن أخذت هذا العلم فقال عن هـذا العراقى فأشار سليمان الى العراقى فأقبل اليه فقال له من أنت قال رجل من أهل العراق كنت قدمت مع فلان وفلان فقضوا حوائجهم وانصرفوا فأقمت أرقب جلوس أمير المؤمنين فقعدت الى هذا الشامي فلم يدع سباً ولا شتما الا استقبلني به فقلت له كف عنى فاني أنفعك قل لأمير المؤمنين كذا وكذا فكان منه ماقد سمعته فضحك وقال أتعرف أنت من قاله قلت كثير عـزة قال وما عنى به قلت قرون الرأس والمسيب الخادم والمراجين قـد اختلفوا فيه فقال بعضهم عناقيد الكرم وقال بعضهم عراجين النخل فأمر له بجائزة سنية وقال له الحق بأصحابك .. وحكى عن أبي عباد الكاتب انه قال كنت يوما عند المأمون فدعا بالغداء وكان يستنزل من قام من مجلسه عند ذكر الطعام ويقول هذا من أخلاق اللئام فقدموا اليه بطيخاً على أطباق جدد فجعل يقور بيده ويذوق البطيخة فاذا حمد حلاوتها قال ادفع هذه بسكينتها الى فلان فقال لى وقد دفع الى بطيخة كانت أحلى من الشهد المذاب ياأبا عباد بم تستدل على حمق الرجل قلت ياأمير المؤمنـين أما عند الله فعلامات كثيرة وأما عندى فاذا رأيت الرجل يحب الشاهلوج ويبغض البطيخ علمت انه أحمق قال وهل تعرف صاحب هذه الصفة قلت نعم ياأمير المؤمنين الرستمي أحدُ من هذه صفته قال فدخل الرستمي على أمير المؤمنين فقال له المأمون ماتقول فى

البطيخ الرمشى قال يأمير المؤمنين يفسد المعدة ويلطخها ويرقها ويُرخي العصب ويرفع البخار الى الرأس قال لم أسألك عن فعله انما سألتك أشهيٌّ هو قال لا قال فما تقول فى الشاهلوج قال سماه كسري سيد أجناسه قال فالتفت المأمون اليّ وقال الرجل الذي كما فى حديثه أمس من تلامذة كسرى في الحمق .. قال ودخل أبو طالب صاحب الطعام على المأمون وكان أحمق فقال كان أبوك يأبا خيراً لنا منك وأنت يأبا ليس تعدنا ولا تبعث الينا ونحن يأبا تجارك وجيرانك قال فجعل المأمون لايزيده على التبسم .. قال وقال مروان بن الحكم لرجل انى أظنك أحمق فقال ظنٌّ أو يقين قال بل ظن فقال أحمق مايكون الشيخ اذا استعمل ظنه .. ومما قيل فيهم من الشعر

يأثابتَ العقل كم عاينتَ ذا حمقٍ — الرزقُ أغرَى به من لازم الجرب

وانى واجدٌ فى الناس واحدةً — الرزقُ أروَغُ شيءٍ عن ذوي الادب

وخصلةً ليسَ فيها من يُخالفنى — الرزقُ والنوكُ مقرونان في سبب

.. ولآخر

أرَى زَمناً نَوْكاهُ أسعدُ أهله — على أنه يشقى به كل عاقلِ

مَشي فوقهُ رِجلاهُ والرأسُ تحته — فكبُّ الأعالى بارتفاع الأسافلِ

.. ولآخر

رأيتُ الدهرَ بالأحرار يكبو — ويرفعُ رُتبةَ القوم اللئامِ

كأنَّ الدهرَ موتورٌ حقودٌ — يُطالبُ ثأرَهُ عند الكرام

.. ولآخر

كم منْ قويٍّ قويٍّ فى تقلُّبه — مهذَّب اللبِّ عنهُ الرزقُ منحرفُ

ومن ضعيف ضعيف العقل مختلطٍ — كأنه من خليج البحر يغترفُ

محاسن مضاحيك وألقاب

قال كان اسم الأقيشر المغيرة بن الأسود وكان يغضب اذا دُعيَ بالاقيشر فمرَّ ذات

يوم بقوم من بني عبس فقال بعضهم ياأقيشر فنظر اليه طويلا وهو مغضب ثم قال

أتدعوني الأُقيشرُ ذاكَ إسمي وأدعوكَ ابن مطفئةِ السراجِ

تناجي خدنها بالليل سرًّا وربُّ الناس يعلم من تناجي

فسمي ذلك الرجل ابن مطفئة السراج وبذلك يعرف ولده الى اليوم •• قال وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل عامل الحجاج على الكوفة وكان يلقب أبا صفية فاستعدت امرأة على زوجها فأتاه صاحب العدوى عند المساء فأعلمه فقال لم اغدو معها فبات الرجل يقول لامرأته لو قد أتيت الأمير لقات أبا صفية انها تفعل كذا وكذا فيأمر من يوجعك ضرباً وجعل يكرّر عليها بأبي صفية فحفظت الكنية وظنت انها كنيته فلما تقدمت اليه قالت أصلحك الله أبا صفية فقال لها أبو عبد الله عافاك الله فأعادت فقال لها أبو عبد الله فأعادت فقال يافاسقة أظنك ظالمة خذ بيدها الخبيثة وحكم للزوج عليها •• وولى يوسف بن عمر رجلا من بني سليم يلقب بأبي العاج وكان يغضب منه فقدم اليه رجل خصماً له فقال ياأبا العاج فقال أبو محمد يابن البظراء فقال أتقول هذا لأمي وقد حججت قال لايمنعها ماقلت من الحج

فن منه في الطمع

قيل لاشعب أي شيء بلغ من طمعك قال ناديت بصبيان ولعوابي فقلت لهم لأنحيهم عن نفسي ان في دار بني فلان عرساً وهناك نثار فولوا عني مبادرين وجعلت أشتد معهم طمعاً في النثار •• قال وكان في دار بعض جيرانه عرس فتجوع ولزم منزله طمعاً في ان يدعى فلما تعالى النهار وجاع ولم يدع قال قبح الله هذا الخبز وقام الى طعام له فقدمه وجعل يأكل فسمع وقع الباب فقال من هذا قال من دار العروس قال اصبر فديتك ودخل الخلاء فرمى بجميع ماكان أكله وغسل فه وخرج اليه فقال تقول لك مولاتي أعيرونا الهاون ساعة فقال مر فأمك وأم مولاتك زانية يابن الفاعلة •• وقيل له هل رأيت اطمع منك فقال لم مررت وصديق لي بدير فتنازعنا كلاماً فقال لي

صديق أيزُ الراهب فى إست أم الكاذب نخرج الينا الراهب وقد أنعظ وهو يقول من الكاذب منكما بأبي وأمي أنتما

فن منه آخر

مرَّ ضريرٌ على رجل بصير فقال أين الطريق فقال البصير خذ يمنة فأخذ يمنة فسقط في بئر فقال البصير انا لله غلطت أردت ان أقول يسرةً فقلت يمنــة فقال الضرير من أسفل البئر ويحك أهذا من الغلط الذى يستقال •• قال وقيل للعلاء بن عبد الكريم بكم اكتريت الدار فقال بدينارين وطعامهما قالوا ويلك وما طعامهما فقال صاحب الدار يأكل معي كلما أكلت •• قال وسمع اعرابي إماما يقرأ إنا أرسلنا نوحا الى قومه فارتج عليه فجعل يردد الآية فقال ياهذا ان لم يذهب نوح فأرسل غيره •• قال وشرب اعرابي وعلى يساره ابن له فسقاه فقال له جليسه السنة ان تسقي من عن يمينك قال قد علمت ولكنه أحب اليَّ من السنة •• قال وقيل لابن رواح الطفيلي كيف ابنك هذا قال ليس في الدنيا شئ مثله سمع نادبة خلف جنازة وهي تقول واسيداه يذهب بك الى بيت ليس فيه ماء ولا طعام ولا فراش ولا وطاء ولا غطاء ولا سراج ولا ضــياء فقال ياأبه يذهبون به الى بيتنا •• وقال بعضهم جاء جماعة من أصحاب مَزْيد اليه فقالوا قم بنا نتنزّه فانه يوم طيب فقال هو يوم أربعاء قالوا فان فيه وُلد يونس بن متى عليه السلام فقال بأبي وأمي صلى الله عليه لاجرَم انه التقمهُ الحوت قالوا نُصر فيه رسول الله صلى عليه وسلم قال أجلْ ولكن بعد إذ زاغت الأبصار وبلغت القــلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا •• قال ووقع بين رجل ومزيد كلام فقال له الرجل أتكلمني وانا نكت أمك فرجع مزيد الى أمه فقال ياأمه أتعرفين فلاناً قالت أى والله أبوعيلة فقال ناكك شهد الله أسألك عن اسمه وتأتيني بكنيته •• وكان الحارث بن قيس الفزاريّ شيخاً أعمى وكان له ابن شيخ وابنة حرورية وامرأة ترى رأي المعتزلة وكانوا جلوساً معــه فقال بيده عليهم وجسهم ثم قال ان الله جــلّ وعزّ يحشرني واياكم يوم القيامة طرائق

قدداً .. وقال الجاحظ قيل لرجل طويل اللحية مالك لاتأخذ من لحيتك قال لأصون بها عرضي فان الناس يقولون انظر الى لحيته كأنها طارةٌ وخلق الله هذه اللحية ولحيته كأنها جوالقٌ ولا بارك الله فى هذه اللحية فما لي أعرض لشيءٍ يصون عرضي .. وحدّث رجل من عامر بن لؤيٍّ قال كان صبيٌّ منا ترك له أبوه غنما وعبيدا فخرج يوما فنظر الى جارية في خبائها فهويها ومال الى أمها وسألها ان تزوّجها منه فقالت حتى أسأل عن أخلاقك فسأل عن أكرم الناس اليها فدُلّ على شيخ كان معروفاً بحسن المحضر فاتاه وسلم عليه وقال ماجاء بك فاخبره فقال لاعليك فان العجوز غير خارجة من رأيي فامض الى منزلك وأقمْ يوما أو يومين ومُر بغنمك ان تُساق ونادِ فى أهلك أمّا من أراد ان يحلب فليأتنا ودعني والأمر فشاع الخبر فخرجت العجوز مع من خرج والشيخ مع القوم فنظر الى الشاب وقد كانت العجوز أخبرته بشأنه فقال هو هو فقالت نعم قال لقد حرّمت حظك قالت اني أريد ان أسأل عن أخلاقه قال أنا ربيته قالت فكيف لسانه قال خطيب أهله والمتكلم عنهم قالت فكيف سماحته قال ثمال قومه وربيعهم قالت فكيف شجاعته قال حامي قومه والدافع عنهم قال فطلع الفتى فقال أما ترين ماأحسن ماأقبل ماانحنى ولا انثنى فلما قرب سلّم فقال ماأحسن ماسلّم ماحار ولا ثارَ ثم استوى جالساً فقال ماأحسن ماجلس ماركع ولا عجز قالت أجلْ فذهب يحرّك فضرط فقال الشيخ ما أحسن والله ماضرط ما أطنها ولا أعنها ولا نفخها ولا بربرها ولاقرقرها فنهض الفتى خجلا فقال الشيخ ما أحسن والله مانهض ما انختل ولا انفتل العجوز أجل والله فصح به وردّه فوالله لزوّجناه ولو خرئ

محاسن المزاح

قيل أهدى نعيمان الأنصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرّة عسل وكانت فيه دُعابة وكان اشتراها من اعرابي بدينار وأتى بالاعرابي الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له خذ الثمن من ههنا فلما قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

نسائه قال له الاعرابي اعطني يارسول الله ثمن العسل فقال عليه الصلاة والسلام هذه إحدى هنات نعيمان وسأله لم فعلت فقال أردت ان أبرّك يارسول الله ولم يكن معي شيء فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم وأعطي الاعرابي حقه ٠٠ وعن الهيثم قال قدم تميم الداري من الشام وكان تاجراً فأتاه نعيمان وقال له هل لك في غلام تاجر له فضل ودين قال وكيف لي به قال انه ان علم ببيعنا إياه لم تنتفع به ولكن انطلق معي حتى أريكه فانه عندنا بمنزلة الولد قال فأدخله المسجد وأراه سويبط بن عبد العزّي فنظر اليه تميم فأعجبه فقال بكم قال بمائة دينار قال هي لك فأخذ منه المائة الدينار فلما حضر شخوصه أتى نعيمان فقال الغلام فمضي معه الى المسجد وقال دونك الغلام فجاء تميم وسويبط يصلى فصلى الى جانبه ركعتين ثم قال له خفف فخفف وقال له ماحاجتك قال قد باعك أهلك مني قال وأي أهلي فارتفع الكلام بينهما حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ماشأنكم قال تميم يارسول الله باعنيه أهله فقال صلى الله عليه وسلم اني لأظن ان نعيمان صاحبه عليَّ به فلما جاء قال له ويحك ماهذه قال بأبي أنت وأمي يارسول الله تزوجت امرأة ولم يكن عندى نفقة ولا صداق أدفعه اليها ولم أجد الا مارأيت فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال لتميم هي لك عندنا ٠٠ وذكروا ان نعيمان مرّ ذات يوم بمخرمة ابن نوفل الزهري الضرير في المسجد فقال له مخرمة خذ بيدي حتى أبول فأخذ بيده حتى اذا كان في أقصى المسجد قال له اجلس فجلس يبول فصاح به الناس ياأبا المسور انك في المسجد قال ومن قادني قالوا نعيمان قال والله لأضربنه بعصاي هذه ان وجدته فأتاه نعيمان وقال له ياأبا المسور هل لك في نعيمان قال نعم قال فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان بن عفان وهو خليفة وتنحّى عنه فعلاه بعصاته ضرباً فصاح به الناس ضربت أمير المؤمنين قال ومن قادني قالوا نعيمان قال لاجرم لا تعرّضت له أبداً

* * * * * *

محاسن مزاح الشعراء

قيل دخل أبو دلامة على المهدى فسلم ثم قعد وأرخى عيونه بالبكاء فقال له مالك

قال ماتت أم دلامة فقال انا لله وانا اليه راجعون ودخلت له رقة لما رأى من جزعه فقال له أعظم الله أجرك ياأبا دلامة وأمر ان يعطي الف درهم وقال له استعن بها في مصيبتك فأخذها ودعا له وانصرف فلما دخل الي منزله قال لأم دلامة اذهبي فاستأذني على الخيزران فاذا دخلت عليها فتباكي وقولي مات أبو دلامة فمضت واستأذنت على الخيزران فأذنت لها فلما اطمأنت أرسلت عينها بالبكاء فقالت لها مالك فقالت مات أبو دلامة فقالت انا لله عظم الله أجرك وتوجعت لها ثم أمرت لها بألفي درهم فدعت لها وانصرفت فلم يلبث المهدي ان دخل على الخيزران فقالت ياسيدي أما علمت ان أبادلامة مات قال لا ياحبيبتي انما هي امرأته أم دلامة فقالت لا والله الا أبو دلامة فقال خرج من عندي الساعة آنفاً فقالت خرجت من عندي الساعة وأخبرته بخبرها وبكائها فضحك وتعجب من حيلهما ٠٠ قال وكان أبونواس ولعاً بأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي فكتب على اسطوانة في مسجد بمقدار قامة وبسطة

صلى الاله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

فانت عندي بلاشك بقيتهم مذ احتلمت وجاوزت الثمانيا

فقال لكيسان ويحك أما رأيت هذا الفاجر قم ما صنع قم بنا نحكه لئلا يراه الناس فبرك أبو عبيدة وركبه كيسان ليحكه فلما ثقل عليه قال له أوجز فقال له كيسان قد بقي لوط فقال عجل حكه فهو المعني وعليه تدور فضيحتي ٠٠ وذكروا ان أبا الشمقمق دخل على أمير المؤمنين موسى الهادى فقال له أنت الذى تقول

ان أمين الله موسى الذى لا يشترى المدحة بالدين

أيا أمين الله والمصطفى دق ثناياى بألفين

فقال موسى اجلدوا بظر أم هذا بألفين فقال أبو الشمقمق واستها بألفين فضحك وقال واستها بألفين ٠٠ قال وكان جميل بن محفوظ يلي أرجان وأبو دهمان يلي نيسابور فزارهما أبو الشمقمق فأساء اليه جميل وأحسن اليه أبو دهمان فقال

رأيت جميل الأزد قد حق أمه فداك أبو دهمان أم جميل

واجتمعا بعد ذلك عند يحيي بن خالد يتناظران في حساب فأربي جيل على أبي دهمان فقال له أبو دهمان احفظ الصهر الذي جعله بيني وبينك أبو الشمقمق فضحك يحيي حتى استلقى على قفاه وفحص برجليه

تم ولله الحمد أولا وآخراً طبع كتاب [المحاسن والمساوى] وذلك في غرة شهر صفر الخير سنة الف وثلاثمائة وخمسة وعشرين هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية •• وكان ذلك في مطبعة السعادة الكائنة بجوار ديوان المحافظة بمصر

فهرس الجزء الثاني من كتاب المحاسن والمساوى للبيهقي

(تم الفهرس)